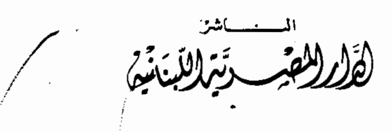
العيون الحمراء

عبد الوهاب مطاوع

الناشر

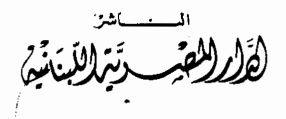



العيون الحمراء



عبدالوهاب مطاوع

الناشر



الناشـــر : الـــدار المصريـــة اللبنانيـــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ١٧١٧ / ٩٢
الترقيم الدولى : 1 - 76 - 5083 - 977
جمـــع : آر ـ تك
العنوان : ٣٣٩ ش السودان ـ ت : ٣٤٧٢٥٥٥
طبـع : آمـــون
العنوان : ٤ عطفة فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ ـ ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الثانية : ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م
الطبعة الثالثة : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م
تصميم الغلاف : سيد عبد الفتاح


مكتبة المهتدين الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

(صدق الله العظيم)

مقدمة

العيون الحمراء هو اسم هذا الكتاب السادس من سلسلة كتبى التى تضم مجموعات من القصص الانسانية الواقعية التى اقتربت منها من خلال موقعى كمشرف على بريد الجمعة فى الأهرام ، وطالبنى قراء البريد بجمعها فى كتاب يستلهمون منه تجارب الآخرين فى مواجهة اختبارات الحياة المتكررة .

وقد أوحت الى بهذا العنوان رسالة نشرتها فى بريد الجمعة لشاب وحيد ، كانت تربطه بأبيه علاقة حب عميقة مثالية ثم فقد أباه فجأة قبل أن يشتد عوده فبكاه طويلا وبمرارة أورثته حساسية فى عينيه .. فاستقر اللون الأحمر فى إحداهما .

ولقد إخترت لهذا الكتاب عنوان « العيون الحمراء » اشارة إلى عيون المهمومين والمظلومين ومن يمضون فى الحياة طاوين أجنحتهم على أحزانهم الخاصة ، وتنبهت وأنا أفكر فى مغزى هذا العنوان الى أن عيون الانسان هى بحق خير مؤشر لحالته النفسية والعاطفية والذهنية ، فالمهموم عيونه حمراء وسوداء من أثر البكاء أو من أثر الانفعال المكتوم بأحزانه ، ومسحة الأسى تنعكس أبرز ما تنعكس على عيون الإنسان وتستقر فيها ماطالت آلامه .

وعيون الانسان فى حالة سعادته الطاغية ضاحكة ومتراقصة ، وعيونه فى لحظات الحياة الأ[illegible] كابية .. وعيون خالى البال صافية كالماء الرائق .. وعيون المهموم بأمره غائبة ساهمة ، وعيون الأذكياء لامعة وعيون الأغبياء خاملة . ولأن الحياة مزيج متعادل غالباً من لحظات الأسى ولحظات السعادة ، فان عيون الإنسان تتراقص أحيانا من السعادة وتحتقن فى أحيان أخرى فى المواقف الأليمة والصعبة فى حياته ، سواء لانت له عيونه .. أو استعصت عليه الدموع . وفى هذا الكتاب مجموعة من قصص بعض أصحاب العيون الحمراء الذين استودعونى همومهم وسألونى الرأى والمشورة فى آلامهم، وحاولت قدر جهدى أن أجفف بعض دموعهم .. فنجحت فى بعض الأحيان .. وفشلت فى بعض الأحيان .. وأضفت الى عيونهم عينا حمراء جديدة فى أحيان أخرى !

وكان عذرى دائما هو أننى بشر مثلهم له قوته أحيانا فى مواجهة آلام الحياة .. وله ضعفه وانهزامه أمامها فى أحيان أخرى .. وانـنا جميعا « هذا الانسان » .

« حزين يتأسى بحزين » كما يقول الشاعر : وحائر يلتمس الأمان لدى حائر آخر أمام تناقضات الحياة التى لا حد لها □ .

عبد الوهاب مطاوع

طاحـــونة الهـــواء

□ انا ياسيدى مهندس معمارى عمرى ٤٤ سنة

نشأت ابنا وحيدا مع ثلاث شقيقات لأب يعمل مدرسا بالمدارس الحكومية .. وأم ربة بيت طيبة وعشت طفولة عادية بين ابوى وشقيقاتى أتمتع بحب أفراد أسرتى ، ويخفف ذلك بعض جفاف حياتى .. فلقد كان أبى مدرسا « لمادة » غير مطلوبة فى سوق الدروس الخصوصية فى تلك الايام فلم يكن له مورد سوى مرتبه .. وبالتالى كانت حياتنا متقشفة .. وتكاد تنحصر فى هدف واحد هو أن نتفوق فى دراستنا لنتخرج ونجد عملا ..

ومن أجل هذا الهدف الأساسى كان أبى يكرس حياته ويراقب دراستنا .. ويخضع البيت للأحكام العسكرية قبل الامتحانات .. ورغم حنان أبى وعطفه علينا جميعا إلا انه لم يكن يقبل أى تهاون فى أداء واجباتنا الدراسية وقد حدث فى فترة مراهقتى أن رسبت فى امتحان السنة الأولى الثانوية فخاصمنى لمدة عام كامل منذ لحظة ظهور النتيجة .. خصاما كاملا شاملا لايوجه لى فيه كلمة واحدة .. وإذا خاطبته لم يجبنى بشىء الى ان نجحت متفوقا وجاء ترتيبى الأول على المدرسة .. وفى هذه اللحظة فقط ابتسم فى وجهى لأول مرة

وهنأنى وسامحنى . ولقد أثمرت تربيته شبه العسكرية لنا فالتحقت بكلية الهندسة وتخرجت منها بتقدير جيد والتحقت بعمل حكومى وتخرجت شقيقاتى الثلاث تباعا بعدى من كليات نظرية .. وأحس أبى انه قد حقق رسالته فى الحياة .. فرضى عن ذلك وبدا يعاملنى كصديق .

وكنت قد بدأت أعمل فى مكاتب المهندسين المعماريين بعد الظهر .. وأرسم لهم اللوحات والتصميمات مقابل مكافآت محدودة ، وعُرفت عندهم بقدرتى على إنجاز أى عمل يطلب منى حتى ولو واصلت العمل فيه يومين بلا نوم .. فاصبحت أعمل كثيرا .. وأكسب أضعاف ماأتقاضاه من مرتبى .. وأبى يرقبنى بقلق .. وعلى هذا الحال أمضيت أربع سنوات بعد تخرجى .. اكتشفت بعدها أنى لم أفكر لحظة واحده فى موضوع الزواج ولم ألتفت إلى أية فتاة .. وكانت شقيقتى التى تلينى قد تزوجت من مدرس وتعاونا معا على تأثيث بيت بسيط للزوجية .. فسألنى أبى ونحن فى حفل الزفاف : وأنت أيها الشاب متى تتزوج ؟ .. فلم أحر جوابا .. فلقد كان مامعى من مدخرات وقتها يكفى لبدء مشروع الزواج .. لكننى كنت فى أعماقى أتطلع إلى حياة أرقى لايعانى فيها أبنائى جفاف حياتى السابقة ، فقررت أن أؤجل المشروع إلى أن أحقق حلمى الاكبر .

وجاءت فرصة تحقيق الحلم .. حين نجح مسعاى فى الحصول على عمل فى احدى الدول الخليجية وأبلغت أبى به وشرحت له

تصورى .. فسمعنى صامتا ثم قال لى: عندك مايكفيك لكنك غير راض فافعل ماتشاء .. ولكن احذر من ان تملكك النقود بدلا من أن تملكها أنت وطمأنته وأنهيت اجراءاتى .. وسافرت وتسلمت عملى سعيدا ونعمت بالمرتب الكبير الذى كنت أستطيع ادخار أكثر من نصفه .. وأرسلت لأبى وأمى مبلغا صغيرا مساهمة فى نفقات زواج أختى الثانية .. ثم جرفنى العمل مرة أخرى كحالى فى القاهرة فأصبحت أخرج من عملى الحكومى إلى مكاتب المهندسين .. وأسهر على اللوحات فى مسكنى حتى الصباح. وأمضيت العام الأول فى غربتى بلا اجازة سنوية لكى أستفيد بمقابلها المالى . وفى العام الثانى حصلت على أول اجازة لى فحزمت حقائبى وركبت الطائرة إلى القاهرة . وفى الطائرة جاءت جلستى بالصدفة إلى جوار فتاة مصرية خمنت أنها عائدة مثلى فى اجازة فتجاذبنا أطراف الحديث لقطع الوقت .. وعلمت منها أنها لاتعمل فى البلد الذى أعمل به وإنما كانت فى زيارة لشقيقتها المتزوجة هناك بهدف أن تجد عملا ، ولم تجد لأنها لاتحمل سوى الثانوية العامة . ووجدت نفسى مهتما بفتاة لأول مرة منذ سنوات طويلة فعرفتها بنفسى ورغبت فى أن أعرف عنوانها بحجة أنى أستطيع أنَ أوفر لها عملا فى الدائرة الحكومية التى أعمل بها .

وافترقنا فى المطار .. وعدت لبيتى وأسرتى .. وسعدت بهم وسعدوا بى وحضرت زفاف شقيقتى الثانية إلى موظف على قد حاله لكنه طيب وتحبه شقيقتى .. ثم اتصلت بالفتاة تليفونيا وطلبت تحديد موعد لزيارتها لاستكمال بعض البيانات .. وذهبت إلى بيتها

فاستقبلنى خال عجوز لها وأمها ثم جاءت هى فتجاذبنا أطراف الحديث لمدة ساعتين وانصرفت سعيدا .

وتكررت الزيارة واللقاء .. ووجدت نفسى منجذبا لها .. وراغبا فيها ولمست منها تجاوبا مماثلا .. فأبلغت أبى بالموضوع .. فنشط بجديته المعهودة للسؤال عن الفتاة وأسرتها .. ثم عاد بعد أيام ليقول لى : هل ضاقت بك الدنيا حتى لاتجد من تتزوجها سوى مطلقة عندها ولد ؟!

●

وكنت قد عرفت هذه الحقيقة منها قبل أيام فلم تؤثر فى رغبتى فيها .. فاطرقت برأسى صامتا ، فقال لى : ليس هذا هو اعتراضى الوحيد .. ولو كان لما توقفت عنده طويلا فربما كانت سيئة الحظ لكن الأسرة يابنى ليس فيها متعلم واحد مثلك وشقيقتها المقيمة فى مقر عملك متزوجة من سباك شبه أمى والأسرة كلها لها طابع سوق أخشى ألا نستطيع أن نتعامل معه .. فنحن وإن كنا بسطاء مثلهم إلا أننا متعلمون جميعا !

وسكت . وأدرك أبى بحكمته تصميمى .. فنفخ ضائقا وقال الأمر لله !

وخطبت فتاتى وعدت لمقر عملى وتواصل لقاؤنا بالخطابات والاتصالات التليفونية ، وتعمقت مشاعر الحب فى قلبى .

وعدت فى الاجازة التالية .. وعقدت قرانى عليها وأقمت معها لمدة أسبوعين فى أحد الفنادق ثم عدنا إلى مقر عملى وقدمت زوجتى

لأصدقائى وأسرهم .. وعشت شهور العسل الأولى فى غاية السعادة .. ثم واجهت أول مشكلة فى حياتى الجديدة حين عجزت عن استقدام ابن زوجتى للإقامة معنا لأنه ليس إبنى ولا أستطيع أن أستخرج له تأشيرة دخول .. ويئست زوجتى من إمكانية ذلك فطلبت أن تعود لتمضى معه الشهور الباقية على اجازة الصيف .

وعادت ، وعدت أنا لحياتى الأولى من العمل المتواصل لزيادة المدخرات وتحقيق الأحلام .. وكلفت زوجتى بشراء شقة فى القاهرة وحولت إليها المبلغ المطلوب باسمها وطلبت منها أن تكتب عقدها ايضاباسمها .. واعترف لك أنى فعلت ذلك لأنى خشيت إن حولت المبلغ لأبى ليقوم بهذه المهمة أن يستكثره .. ويستهول أن أدفعه فى شقة وهو من عمل ٤٠ سنة ولم يقبض طوالها مايصل إلى هذا المبلغ !

واشترت زوجتى الشقة .. وحولت إليها مبلغا آخر للأثاث وعدت فى الاجازة فوجدتها قد فرشت الشقة باثاث فاخر استنفد المبلغ الذى أرسلته كله بل ووقعت على شيكات بقيمة عدد من الأقساط الباقية .. ولم أجد مفراً من الدفع !

وشعرت بتأنيب ضمير حين لم أستطع أن أشارك إلّا بمبلغ زهيد جدا فى نفقات زواج أختى الصغرى .. وزاد من حرصى مابدا على زوجتى من ميل واضح للإسراف والفخفخة التى لاتتناسب من نشأتها العائلية .. لكن أبى وأمى لم يعتبا على واكتفيا بلفت نظرى إلى محاولة الحد من إسراف زوجتى حتى لاتضيع ثمرة شقائى هدرا .

ومضى عامان على زواجى ولم تحمل زوجتى .. وبدأنا رحلة

الفحوص فصدمت بأنى غير قادر على الانجاب .. وبأنها ايضا قد أصبحت كذلك فتعجبت من تصاريف القدر ووطنت نفسى على الرضا بحياتى هكذا . وعشنا حياتنا بعد ذلك سعداء أو هكذا اردت لنفسى فاهتممت بأمر ابن زوجتى واعتبرته إبنى .. وادعيت لزملائى فى العمل أنه من صلبى ، وأصبحت زوجتى تأتى لتقيم معى ثلاثة شهور كل سنة وأعود أنا إلى مصر فى الصيف لأقيم معها حوالى شهرين ، وفيما عدا ذلك فهى فى بيتها فى القاهرة وأنا فى بيتى فى الغربة . وارتحت لذلك الوضع لأنى كنت قد تحولت إلى آلة تعمل ليل نهار وخشيت ان يعرقل وجود زوجتى معى بصفة دائمة هذه الآلة عن الدوران .. خاصة وأنى تأكدت من أنها متلافة ولاتكف عن طلب النقود وأحاول أن ألبى رغباتها .. وأضاعف من جهدى لتكون لى ثروة كما أنى فى ذلك الوقت كنت قد بدأت أقوم بعمليات صغيرة لحسابى واستخدم المهندسين الشبان فى مساعدتى .

وهكذا مضت ١٥ سنة على زواجى بلغ « ابنى » فيها سن التاسعة عشرة واكتشفت للأسف انى لم استطع ان اغرس حبى فى عمق قلبه رغم مابذلته له وترحمت على أيام شدة أبى معنا .. وأنا أراه مستهترا مدللا متعثرا فى دراسته ينفق باليمين واليسار ويطالب بالنقود بوقاحة كأنها من ميراث أبيه رغم وجود والده على قيد الحياة .. ثم لايبدى اهتماما بشىء يتعثر فى دراسته ولايستطيع رغم الدروس والمحاولات الحصول على الثانوية ، لكن علاقتى بزوجتى كانت مرضية لى رغم تحفظات أبى وأمى اللذين بلغا السبعين على بعض سلوكها .. وعلى

ماليها المصطنع على شقيقاتى الثلاث اللاتى يعشن حياة بسيطة عادية وحرصها المتكلف على إظهار تميزها .. واعتيادها للثراء !

وقد اثمرت رحلة كفاحى فى الغربة وعملى المتواصل فيها الكثير .. فاشتريت قطعة أرض للبناء .. وشهادات استثمار كثيرة .. وبضعة أفدنة مستصلحة بالقرب من وادى النطرون وسلمتها لأزواج شقيقاتى البسطاء مقابل مصلحة مشتركة فخدموها باخلاص وتولوا شئونها بكل أمانة ، وسيارة فارهة تقودها زوجتى وابنها فى شوارع القاهرة . وقد اشتريت كل ذلك وسجلته باسم زوجتى بل إن كل مدخراتى السائلة وضعتها باسمها فى البنك فى مصر لتستطيع التصرف فيها عند غيابى بالسفر . ولاتسلنى لماذا فعلت ذلك فلقد كانت بعض أسبابى أنى أردت إشعارها دائما بالأمان خاصة وأنها تتصور أنى قادر على طلاقها والزواج من غيرها فى أية لحظة مع أنى قد سلمت لنفسى منذ زمن بعيد أنى ضعيف معها ولاأستطيع تحمل فكرة انفصالنا . وكانت بعض هذه الأسباب هى ضغوطها على بعد ان استراحت لهذه الطريقة فى تحقيق اهدافها . وربما كان منها ايضا سامحنى الله أنى حرصت على ألا أطلع أبوى وشقيقاتى على مدى ثرائى لكيلا يطمعوا فى.. مع أنهم فى منتهى القناعة وربما كانوا أكرم منى . لكن هذا ماحدث فكنت أدعى أن بعض مااشتريته باسمها هو من مالها مع أنها لامورد لها إلا نفقة ابنها التى قررتها المحكمة ولاتزيد على ٢٨ جنيها كل شهر !

ورغم كل شىء فلقد كنت راضيا وسعيدا .. أعمل كالطاحونة فى الشهور التى أعيش فيها وحيدا .. ثم أستمتع بالسعادة مع زوجتى

حين تجيئنى فى مقر عملى وأخفف من ساعات عملى . وحين أعود إليها فى مصر أغرق معها فى السعادة والنزهات والخروج إلى الملاهى والفنادق التى تحب زوجتى الجلوس فيها .

وكنت فى إحدى هذه الاجازات السعيدة ياسيدى حين شكت زوجتى فجأة من زغللة شديدة فى عينيها .. ثم أصيبت بدوخة وتكرر ذلك فاصطحبتها الى الطبيب فبدأنا رحلة طويلة كشفت لنا عن كارثة فى مخ زوجتى وبدأنا رحلة الآلام ، وأجرينا لها جراحة دقيقة فى القاهرة .. تحسنت بعدها وأستردت عافيتها .. ثم لم تمض عدة شهور حتى أطل الخطر من جديد فعدت إليها .. وسافرت معها إلى لندن وباريس .. وعدنا إلى مقر عملى واستطعت بفضل اتصالاتى أن أرتب لها إجراء جراحة جديدة فى أكبر مستشفى بالبلد على يدى خبير أجنبى زائر . وبعدها بشهور اصطحبتها إلى لندن لإعادة الفحص .. فصفعنى الأطباء الانجليز بالحقيقة القاسية كما اعتادوا هم أن يصارحوا بها المريض وأهله : أنها مسألة عام على الأكثر ياسيدى .. إن لم تكن أقل .. ولاأمل فى جراحة أخرى .. وعدت كارها كل شىء وكـ
أقسى ما آلمنى هو أن زوجتى قد علمت بكل شىء على غير ارا
وهالنى أنها لم تنهر .. ولم تفقد قوة أعصابها .. وإن كانت فترا صمتها تطول من حين آخر .. أما ماعدا ذلك فهى لاترفض دعوة للخروج أو السهر وتتلهف على السعادة أكثر مما مضى .

ولم أشأ أن أبتعد عنها طويلا فالححت عليها أن تبقى معى فى مقر عملى واستجابت . وبعد شهرين طلبت منى أن تعود لتكون بجوار

ولدها مع قرب الامتحان فوافقتها وبدأت أتصل بها كل يوم .. وفجأة تنبهت إلى شيء هام لم ألتفت إليه طوال انشغالى بعملى المستمر ثم بهذه المحنة التى اعترضت طريق سعادتنا . وجاء ذلك عفوا حين اتصلت بها وطلبت منها ان تدفع من حسابى فى البنك لزوج شقيقتى الكبرى مبلغا طلبه منى لشراء صوبة زراعية للأرض الجديدة .. ففوجئت بعدم حماس زوجتى لذلك بل وبفتورها ومحاولتها اثنائى عن هذا المشروع رغم اتفاق السابق عليه بدعوى أنه لاداعى له . ثم فوجئت باصرارها على الرفض بلا أسباب فانهيت المكالمة .. وجلست أفكر ذاهلا .. ياإلهى إن كل ماكسبته من شقاء ١٩ عاما فى الغربة ومن عملى المتواصل ليل نهار بلاآدمية بل ومن تقتيرى على نفسى خلال شهور وحدتى .. هو الآن باسم زوجتى .. فماذا أفعل إذا حم القضاء ؟

ورغم حبى لزوجتى وتأثرى لحالها بل وضعفى معها ، فقد استشرت محامياً صديقا لى اعترفت له بالحقيقة لأول مرة وهى أن إبنى هذا ليس إبنى ولا أمل فى أن يكون بارا بى لأنه ليس كذلك حتى لأمه ، فنصحنى بأن استرد بالتفاهم معها وعن طريق الهبة أو البيع ماكتبته باسمها من شقة وأرض زراعية وأرض بناء وسيارة وحساب فى البنك لأنها من مالى .

وحين عدت إلى مصر .. حاولت أن أتلمس الطريق إلى هذا الهدف مع حرصى على أن أكون عادلا فطلبت منها أن تبيع لى الأرض الزراعية وأرض البناء والشقة وأن تهب السيارة لابنها وتقسم النقود

الموجودة فى البنك، وهى مبلغ كبير، بينى وبينه ليحصل بها على شقة أصغر ويضمن دخلا معقولا إلى أن يعمل مع تعهدى لها بأن أرعاه إلى أن يقف على قدميه .. فإذا بزوجتى الحبيبة التى لم أسيء إليها مرة واحدة طوال ١٦ عاما ترفض رفضا باتا التنازل عن أى شيء لى لا الشقة ولا الأرض ولا أرض البناء ولاحساب البنك .. لاشيء لاشيء ياسيدى هل تصدق ؟ وأعدت الكرة معها مرة أخرى فوجدتها أكثر إصرارا وإصرارا بل وبدأت تجتنبنى ، فرثيت لحالها وحالى وحاولت أن أؤجل الحديث فى الموضوع لفترة قادمة وخجلت من أن يفتضح أمرى أمام أبى الذى تجاوز السبعين ويعيش بمعاشه المحدود ولم أقدم له واحدا على ألف مما قدمته لزوجتى . ومع ذلك فهو على استعداد لأن يعطينى روحه لو أردت ، فعدت إلى مقر عملى قانطا ومسلما أمرى لله . وفى أول ليلة وجدت نفسى ساهرا فيها على لوحة لايقبل مهندس تخرج منذ ٥ سنوات فقط أن ينفذها احتراما لسنوات خبرته ، وقبلت أنا ذلك رغم خبرتى الطويلة طلبا لأجرها. سألت نفسى وقد انقضى معظم الليل .. هل كتب عليَّ الشقاء إلى آخر يوم من أيام عمرى .. وهل فى العمر متسع لأبدأ من جديد وأحقق ما أردته لنفسى بعد أن طار فى الهواء ماجمعته بالعرق والعناء طوال السنين الطويلة ؟ لقد عاهدت نفسى ألا أتخلى عنها فى محنتها .. ومهما حدث .. وأن أقف إلى جوارها حتى اللحظة الاخيرة .. لكنى أسألك هل يرضى موقف زوجتى منى – وبعد هذه العشرة الجميلة منى لها – الله والشرع والقانون .. ثم ماذا افعل ياسيدى ؟ □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

انه أمر مؤلم بالطبع أن يكون هذا الموضوع هو موضوع الحوار مع انسانة تواجه مثل هذه المحنة لكنك تقول أن أعصابها قوية وأنها تمارس حياتها برغبة قوية فى إسعاد نفسها .. وكل ذلك يوحى بأن الأمر كله يجرى فى جو من الواقعية المجردة يسمح بالحديث فى الأمر بلا حرج ومادام الأمر كذلك فسوف أجيبك عن تساؤلاتك الحائرة فأقول لك :

أما عن القانون فموقفها من ناحيته لاغبار عليه ولايملك حيالها شيئا لارغامها على أن ترد عليك مالك . ومادام كل شيء باسمها من الناحية الشكلية طواعية واختيارا منك فمن حقها قانونا أن تمنح ومن حقها أن تمنع كما تشاء .. بل يستطيع ابنها لو كان مجترئا على الحق ولم تتفاهم معه أن ينازعك فى أية تصرفات بالبيع أو الهبة لك من ممتلكاتها الآن ويطعن بعدم صحة الهبة نظرا لحالتها الصحية الحرجة عند عقدها .

وأما عن الشرع فلقد خالفته أنت حين كتبت كل ثروتك باسم زوجتك ولم تبق شيئا منها باسمك . وقد فعلت ذلك لأنك أردت وإن لم تعترف بذلك أن تحجب هذه الثروة عمن يستحقون فيها مع زوجتك شرعا إذا حم عليك القضاء وهما أبواك لأنك لم ترزق البنين . ومن لم يقبل بعدل السماء فى مسائل الوراثة ليس من حقه أن يشكو من ظلم من مكنهم هو من ظلمه باجترائه على هذا الشرع وبمخالفته قبل أن يعرف خطأه ويندم عليه .

وأما عن الله سبحانه وتعالى فهو لم يرض عن تصرفك فى البداية وهو المطلع على خبايا الصدور ويعلم دوافعك الحقيقية إليه.وهو أيضا لايمكن أن يرضى عن تصرفها فى النهاية لأنه العادل الذى لايرضى بالظلم ولايرضى عن عمل يخالف روح شريعته وروح عدله. لقد قررت زوجتك فيما يبدو لى أن تورث معظم ثروتك التى شقيت أنت فى جمعها لمدة ١٩ عاما فى عمل متواصل كرحى طاحونة الهواء إلى ابنها الذى لايرثك إذا عادت الثروة إليك بينما يرث هو معظمها إذا ظلت باسمها إلى النهاية . وهى فى سبيل تحقيق هذا الهدف قد اغلقت أبواب التفاهم معك وأصمت أذنيها عن نداء العدل وأى نداء آخر بل واستخسرت أن تبدد جزءا من مالها السائل فى شراء بعض ماتحتاج إليه الأرض لتحافظ عليه لإبنها سهلا . وفى ظنى أنها تتصور انك قادر على أن تكرر التجربة وأن تجمع ثروة أخرى ، وتعرف أن ابنها مستهتر وفاشل وعاجز عن الكسب ولايبشر ماضيه بمستقبل آمن له إن لم يستند إلى مال يغنيه عن الكفاح الذى لم تؤهله له تربيته ! ومادام فى الدنيا من كتب عليهم الشقاء ليكسبوا مثلك بالدم والعرق قوتهم وماهم .. فلماذا يشقى أهل الدلال والاستهتار إذا استطاعوا أن يسلبوك ثروتك ؟ أنه منطق فاسد لايخشى الله بالطبع وحنان ظالم بابنها على حساب مكافح مثلك ، حتى ولو لم يعجبنى بعض أمرك مع أبويك وشقيقاتك . ولو أنصفت زوجتك لما انتظرت أن تفاتحها أنت فى هذا الأمر من الأصل .. ولخشيت أن تلقى ربها وفى عنقها أغلال مالك المنهوب .. ولبادرتك بابداء رغبتها الإنسانية العادلة فى أن تؤمن مستقبل ولدها بما يضمن له حياة كريمة ببعض مالك وبرضا نفسك

وقبولك ليكون ماتمنحه له من مال حلالا لا شبهة فيه ثم ترد عليك بعد ذلك معظم مالك غير متفضلة عليك بشيء وانما راجية من الله أن تكون قد أبرأت ذمتها أمامه .. واشترت منك براءة صفحتها وأدت الأمانة إلى أهلها كما يفعل من يخشون الله واليوم الآخر ، فالمال المنهوب لايغنى الأبناء ولايحميهم من غدر الزمان ، وإنما يحميهم منها ما نورثه لهم من عمل صالح ومال لاشبهة للحرام فيه .

فاسألها برفق مرة اخرى أن تفعل .. فان لم تستجب فسلم أمرك إلى الله الذى لاتضيع عنده الودائع . واكتف بحقك الشرعى فى « ثروتها » وهو الربع لأنها ذات ولد .. وواصل حياتك باعتدال هذه المرة وبغير لهاث محموم وراء المال وبغير استخفاء به على أبويك وشقيقاتك فهؤلاء هم الرحماء بك وهم من يفخرون بكل ماتصيبه من خير ، وارع حدود الله فى مستقبل أيامك واعمل بنصيحة أبيك التى لم تعمل بها للأسف حين حذرك من أن يملكك المال بدلا من أن تملكه ، واستفد بعبرة قصتك ودرسها الثمين فى تجنب الأخطاء والعثرات ..

فما أكثر ما فى قصتك .. من دروس وعبرة .. وما أكثر ماتحمله من معان .. ولكن لمن يتفكرون □



بداية الطريق

□ أنا من كتبت إليك منذ عام تقريبا:

أروى لك قصتى التى نشرتها واخترت لها عنوانا لخص كل معاناتى ومشكلتى فى عبارة واحدة هى .. « طاحونة الهواء » ولقد تقبلت بنفس راضية لومك الشديد لى لأنى باعدت بينى وبين أبوى وأخواتى وأسأت بهم الظنون فاذا بمن ظننته مأمنى منهم هو من ضاعت عنده الحقوق . ثم نصحتنى بأن أواصل الكفاح مع زوجتى باللين والصبر لاسترداد حقوقى بعد التنازل لها راضيا بما تراه كافيا وعادلا لتأمين مستقبل ابنها وهو هاجسها الوحيد ودافعها الاول للامتناع عن رد مالى إلى مع استمرارى فى محاولات العلاج حتى اللحظة الاخيرة، وتكفيرى عن تقصيرى تجاه إبوى وأخواتى بالعودة لهم وطلب صفحهم ومحاولة تعويضهم بما فى يدى عما حرمتهم منه بإنشغالى بحياتى الجديدة مع زوجتى. وأريد الآن أن اروى لك ما جرى خلال الشهور الماضية فأقول لك انى لم أتوقف لحظة عن طلب العلاج فى أرقى المستشفيات فى البلد الذى أعمل به وتحت اشراف أطباء عالميين من حين إلى آخر أحاول مع زوجتى الاقتراب من الموضوع الشائك فلا أجد منها إلا كل إصرار وعناد . أما أسرتى فلقد حاولت فعلا التكفير عن إهمالى لها بأداء بعض الواجبات الصغيرة التى لاترقى إلى تكلفة سهرة واحدة من سهراتى السابقة مع زوجتى فى

الفنادق الكبرى ، فإذا بالقلوب الصافية تزداد صفاء .. وإذا بالوجوه تطفح بالعرفان الشديد .. بل ويعتذر بعضهم بإصرار عن قبول أى شيء لأن علاج زوجتى يكلفنى الكثير « وليس هذا وقته .. ويكفيك ما أنت فيه أعانك الله عليه وشفى لك زوجتك » . فلم أتمالك مشاعرى واغرورقت عيناى بالدموع وأنا أسأل نفسى كيف حرمت نفسى طوال هذه السنين من هذا الود المبرأ من الغرض وهذا العطف الذى لم أجده أبدا فى أى مكان آخر . واستسلمت لما جرت به المقادير وواصلت الليل بالنهار فى العمل مرة اخرى لأحاول تعويض بعض ماضاع .. وحرصت على أن أؤدى واجبى فى علاج زوجتى على أكمل وجه ثم نفذ سهم القضاء فى موعده .. فأديت واجباتى الأخيرة معها وانطوت تلك الصفحة من حياتى بأيامها السعيدة والشقية وبدأنا اجراءات تقسيم التركة ، فخصنى من مالى وأملاكى مايخص الزوج فى ميراث زوجته ، ونال ابن زوجتى النصيب الأوفى من ثمرة كفاحى وغربتى . ورأيت ألا أنازع من يعد فى منزلة ابنى خاصة وانه لايد له فى سوء تصرفى ، فتساهلت معه فى بعض شئون الميراث واضعا فى الاعتبار مصلحته كشاب يتيم لاسند له فى الحياة إلا ذلك المال . لكنى تفاديا للمشاكل رأيت أن أشترى منه نصيبه فى بعض الأملاك المشتركة التى لانفع له فيها ولن يستطيع استثمارها وربما تتسرب من بين يديه إلى غرباء قد لاأستطيع التوافق معهم فطلبت منه ردا على تساهلى معه أن اشتريها منه بقيمتها التى اشتريتها بها منذ ثلاثة أعوام فقط ، فاذا به يرفض أن يبيعها لى إلا بسعر اليوم . ومازلنا نتفاوض ومازلت آمل أن يكرمنى ببعض التساهل حفاظا على الصلة

التى جمعت بيننا ، ومازال هو يأمل فى أن أتساهل معه أكثر إكراما لأمه الراحلة .. ولكن ذلك ليس المشكلة فلابد اننا سوف نتوصل إلى حل وسط بيننا .. ولم اكتب لك من أجل ذلك .. وإنما لأروى لك الفصل الآخر من قصتى ولأقول لك أنى قد تعلمت من تجربتى أشياء كثيرة ذات قيمة كبيرة وعدت إلى ربى الذى نسيته فنسينى وإلى أهلى الذين أسأت بقناعتهم الظنون فثبت لى أنهم أغنى منى بكثير وأنهم ليسوا فى حاجة إلى أو إلى مالى .. وإنما أنا الذى احتاج اليهم وإلى اهتمامهم الصادق بأمرى وهمهم بى . وقد عقدت العزم على أن أواصل الكفاح والعمل من جديد لا لكى أجمع من الثروة ماضاع .. وإنما لأوفر لنفسى الحياة الكريمة الآمنة .. ولأرد لأبوى وأسرتى جميل صنعهم معى وتقبلهم لى بعد مابدا لهم من سوء طويتى تجاههم فى تلك السنوات العصيبة . وأرجو ان يوفقنى الله سبحانه وتعالى .. فيما اعتزمت □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لابن عطاء الله السكندرى حكمة معروفة تقول : من علامات النجاح فى النهايات .. الرجوع الى الله فى البدايات ، وأنت ياصديقى قد وضعت قدميك الآن على البداية الصحيحة للنجاح الحقيقى .. فامض فى طريقك إليه مستفيدا من دروس تجربتك القاسية ، وواثقا من أن العجلة الدوارة التى نقلتك من البساطة إلى الثراء ثم تراجعت بك بضع خطوات للوراء سوف تدور مرة اخرى لتحملك إلى أهدافك الجديدة بالإرادة والصبر والفهم الصحيح لحقائق الحياة

الأجدر بالاهتمام . وسوف يكون نجاحك هذه المرة مختلفا عنه فى الماضي حتى ولو لم يبلغ نفس المعدلات السابقة لأنك ستكون أنت أيضا انسانا مختلفا يعرف أن المال ليس هدفا فى حد ذاته وإنما وسيلة من وسائل الانسان لتحقيق الأمان لنفسه . ثم يبقى الهدف الأعلى الذى يشقى للوصول إليه دائما هو السعادة وراحة القلب وسلام النفس . وهو هدف قد يتحقق بأدنى معدلات النجاح المادى .. وقد لايتحقق بأقصى معدلاته . وأنت فى كل الأحوال لم تكن مرشحا له فيما سلف من أيامك حين كنت بعيدا عن ربك وعن أهلك الحقيقيين ومشحونا بالهواجس والظنون تجاههم . ولكنك فى كفاحك الجديد للأمان والاستقرار سوف تتغير فى حياتك وفى شخصيتك بل وفى استمتاعك بما تحققه من نجاحات صغيرة فكل خطوة ستحققها ستسعد بها سعادة مضاعفة وستفخر بها فى العلن وتفخر بها أكثر منك أسرتك. ولن تحتاج إلى أن تتخفى بثمار نجاحك كأنما جنيتها من طريق غير مشروع. وسواء نجحت المفاوضات مع ابن زوجتك أم لاوأغلب ظنى أنها لن تنجح .. فلن تتوقف طويلا أمام ذلك ولن تسمح له بأن يفسد عليك سلامك بعد أن جرى ماجرى إذ ماذا يفيد البكاء على القليل وقد ضاع منا الكثير وذبلت زهرة العمر فى المعاناة والشقاء . ويحق لنا الآن أن نتطلع إلى نصيبنا العادل من السعادة والأمان □ .

الدائـرة الملعـونـة

□ اكتب اليك قصتى وأطلب مشورتك

وأرجو ألا تتسرع فى مهاجمتى والقسوة على قبل ان تتفهم ظروفى .. فأنا فتاة جميلة كنت طالبة متفوقة فى إحدى كليات الطب بالأقاليم ، وفى الكلية استلفت نظرى طالب ممشوق القوام طيب القلب يرتدى ملابس عادية مما يدل على أن إمكاناته المادية متوسطة .

ولقد لفت نظرى إليه أنه يطيل النظر إلى ولا يرفع عينيه عنى فى أى مكان نوجد به داخل الكلية . وكنت أسعد بهذه النظرات وهذا الاهتمام .. وأحرص على أن أوجد حيث يوجد لأسعد باهتمامه بى .. ولم أصده بقسوة رغم أنى لاأفكر فى الارتباط به وأتطلع إلى شخص ذى منصب ووضع اجتماعى و« ثقل » كبير يتناسب مع جمالى وتفوقى وطموحى .

وأعترف أننى أخطأت فى ذلك، ولعلى أتحمل وزره أمام ضميرى .. فقد واصل اهتمامه الشديد بى وفوجئت به ونحن طالبان بالسنة الثانية يرسل لى رسالة رومانسية مع إحدى زميلاتى يعرض على فيها حبه ويطلب موافقتى على أن يتقدم لخطبتى ، فرفضت ذلك بشدة لأنه طالب .. وبلا إمكانات وأصيب زميلى بصدمة وانطوى

على نفسه ورسب فى تلك السنة بينما نجحت أنا. وقلَّ اهتمامه بى وحرصه على الاقتراب منى إلى حد كبير ، لكنه ظل على حبه الصامت ونظراته الحزينة لى وواظب على أن يكتب إلى كل عام رسالة غرامية واحدة يبثنى فيها حبه وهيامه ويرسلها مفتوحة مع إحدى زميلاتى فاقرؤها وأسعد بمافيها ، ثم أردها إليه بلا أى إشارة تفيد بأنى قد غيرت موقفى .. واستمر هذا الحال ٤ سنوات تخرجت بعدها من كليتى وبدأت سنة الامتياز فى مستشفى الكلية. ثم فاتحتنى إحدى شقيقاته فى خطبتى لأخيها فرفضت ذلك بشدة ، فقد كان يتقدم لى فى تلك الفترة رجال ممتازون ذوو ثقل ونفوذ. وبعذ ذلك بيومين فوجئت به يتقدم منى فى المستشفى ويسألنى بأدب والدموع تلمع فى عينيه عن سبب رفضى له .. فتحدثت معه بجفاء شديد لكى يتوقف عن ملاحقتى .. واعتقدت أنى قد وضعت بذلك الفصل الأخير لهذه القصة .. لكنى فوجئت بعد يومين آخرين بوالدته وشقيقته تنتظراننى بباب البيت وتقولان لى باكيتين أن زميلى بين الحياة والموت فى مركز السموم بالقاهرة بعد أن حاول الانتحار بابتلاع عدد كبير من الأقراص .. فبكيت بشدة وصرخت فى وجهيهما برفضى التام الزواج منه ولو لم يبق على ظهر الارض رجل غيره .. وقدرت بعد ذلك أنه قد فقد الأمل فى نهائيا .

ومضت أيام .. ثم خرجت فى الثامنة مساء ذات ليلة من نوبة عملى فى المستشفى وكنا فى الشتاء والجو بارد والشارع خال من المارة فاذا بزميلى ينزل من سيارة استعارها من أحد أصدقائه والشرر يتطاير من عينيه ويأمرنى بالركوب وهو فى حالة هيستيرية ، وقبل أن أتمالك

نفسي جذبني ووضع على أنفي منديلا وانطلق بالسيارة . وافقت بعد قليل فوجدت نفسي فى شقة أخيه الذى يعمل فى الخارج وقد اعتدى على .. فانطلقت أصرخ فى هيستيرية وأصبت بالانهيار . فسد فمي ثم جلس فى هدوء شديد .. ينظر الى بابتسامة حزينة .. حزينة تحمل كل حزن الدنيا ،وقال لى انه سوف يدعنى أعود الى بيتى ويترك لى مطلق الخيار فى إبلاغ النيابة .. وانه لن يهرب من حكم القانون ويستقبله بصدر رحب جزاء لما فعل ولو صدر ضده الحكم بالاعدام فهو راض بقدره وبمصيره .. ويستحق كل مايحكم به القضاء لجريمته البشعة فى حق الانسانة الوحيدة التى أحبها .

ثم أتجاوز عن هذه الفترة البشعة بدون تفاصيل لأقول لك أن أمرى قد افتضح فى مدينتى وبين أقربائى وبين زملائى فى المستشفى فتركت العمل واحتجبت عن الناس .وحسم أهلى الأمر بالموافقة على زواجى منه بعد هذه المأساة . وتزوجته بلا فرح وبدون أن أرتدى ثوب الزفاف .. وكان يوم زواجى يوما حزينا لأسرتى فبكى أبى وبكى اخوتى جميعا ولم يكلمه أحد منهم كلمة واحدة . وبكيت أنا فى صمت وبللت دموعى ملابسى بينما جلس زوجى صامتا يبتسم نفس الابتسامة الحزينة ويحس بجو العداء والكراهية المحيط به ولايملك إلا الصمت والهدوء .

ثم انتقلنا إلى شقة الزوجية التى أعدَّت على عجل وأثثت بأثاث بسيط وودعنا أو ودعنى أهلى باكين مولولين كأننا فى مأتم ولسنا فى فرح .

وانفردنا بنفسينا فى شقة الزوجية ، فقام زوجى باعداد طعام العشاء وإحضاره وراح يهدىء من روعى ويقسم لى أنه سوف يعوضنى عما فقدته ، وسوف يكفر عن جريمته بأن يجعلنى اسعد فتاة فى العالم. وأمضينا الليل بملابس الفرح الكاملة حتى أشرقت الشمس وبدأ اول يوم من ايام حياتى الزوجية. ومضت الأيام وعاملته بجفاء ونفور واضحين ، وعاملنى هو بحب واحترام . وبعد أسابيع من زواجى مرض أبى مرضا شديدا ثم توفاه الله بعد ٦ شهور .. وانتظمت حياتنا ولم تكن حياة عادية فقد رفضت تماما أن أقوم بأى عمل من أعمال البيت أو أشاركه فى أى شىء ، فكان هو يقوم باعداد الطعام وغسل الصحون وغسل الملابس فى الغسالة واعتاد ذلك واعتدته أنا أيضا .

وتحسنت أحواله المادية بعد زواجنا بقليل ، فباع قطعة أرض من ميراثه وافتتح عيادة صغيرة. وبدأ يحقق نجاحا فى عمله وساعده على ذلك أنه مرح ولبق ومحبوب ، وبعد قليل اشترى سيارة متوسطة ثم قطعة أرض بناء صغيرة لنبنى عليها فى المستقبل بيتا لنا. وانجبت منه طفلين جميلين رحت أقضى معظم أوقاتى معهما ومايتبقى لى منها أقضيه فى قراءة كتب الطب. ومضت ٦ أعوام على حياتنا .. لم يجرح كرامتى خلالها بكلمة واحدة أو باشارة ، وكان دائما سعيدا بأقل شىء أعطيه له ويتفانى فى محاولة إسعادى أنا وطفليه ويخرج معنا بسيارته لنذهب إلى الأماكن الجميلة ويعود من عمله يوميا فيضع كل إيراد العيادة فى درج المكتب المفتوح لانفق منه كما أريد وبلا أى حساب

من ناحيته على ما انفقت .. ووسط كل ذلك وجدت نفسى ذات مساء بعد أن أعد لنا طعام العشا أطالبه بالطلاق وأتمسك به فسمعنى فى صمت وذهول ثم ابتسم نفس ابتسامته الحزينة .. ابتسامة ليلة الكارثة وليلة الزفاف .. ثم لم ينطق سوى بعبارة « تصبحى على خير » ؟

وفى الصباح قال لى انه يعدنى بتنفيذ ماطلبت منه خلال شهرين .. ورجانى ألا يعرف أحد من أهلى وأهله بهذا الأمر لأنه سيموت خجلا إذا عرف به أحد .. ولم يغير شيئا من معاملته لى بعد ذلك فاستمر يعاملنى بأدب واحترام ويغسل الصحون والملابس .. لكن حالته النفسية ساءت تماما ففقد مرحه وشحب لون وجهه .. وأصبح يتقيأ كل طعام يأكله حتى نقص وزنه .. وأصيب بمغص دائم .

ولاحظت عليه كل ذلك فرثيت لحالته وذات مساء رق قلبى له فارتديت رداء نوم جميلا واقتربت منه فاذا بوجهه يحمر خجلا كأننا زميلان فى الجامعة ثم تساقطت دموعه صامتة .. وانصرف خجلا .

وبعد ذلك فوجئت به وقد أعاد بدلته الجديدة التى اشتراها إلى نفس المحل ثم باع السيارة وأودع ثمنها فى البنك باسمى .. ثم وزع معظم ملابسه القديمة على بعض أقاربه .. وأبلغنى بكل ذلك مؤكدا لى أنه سينسحب من الحياة خلال أسابيع لأنه فشل فى أن يكفر عن خطيئته معى طوال السنوات الخمس الماضية ، ولأنه لايطيق أن يعيش ويرانى وقد أصبحت زوجة لغيره .. ووجدت نفسى فى قمة الحيرة

والحسرة بعد هذا الموقف .. فأنا أعترف لك صادقة أنى لا أعرف ماذا أريد .. ولا ماذا أفعل .. إنى لم أستطع أن اصفح حتى الآن عمن اغتصبنى راغمة وحرمنى من ارتداء فستان الزفاف الأبيض الذى يصيبنى بأزمة نفسية كلما رأيته فى التليفزيون حتى الآن . ولم أستطع أيضا أن أنسى أن أبى مات مريضا بعد ٦ شهور من زواجى الاضطرارى .. وأن الجميع أجهشوا بالبكاء ليلة هذا الزواج .. لكنى من ناحية أخرى لاأتمنى له أن يرتكب هذه الجريمة فى حق نفسه وحق طفليه .. ولا أتمنى له هذا المصير . إننى أراجع نفسى أحيانا فأحس أن كلاً منا قد دمر الآخر أو حكم عليه بذلك فمن تراه قد قتل شريكه أنا أم هو ؟ وكيف أمنع وقوع هذه الجريمة الجديدة ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أنى قد ترددت فى أن أصدق روايتك .. لكنى آثرت بعد تفكير طويل أن أتبع معك منهجى فى التعامل مع رسائل القراء وهو أن أصدق مايتحدثون به عن أنفسهم مهما بدا لى غريبا ، مؤكدا دائما أنى أبدى رأيى فى مشاكلهم على ضوء مايعرضون على من وقائع .

وبهذا المعيار أقول لك ياسيدتى أن كليكما قاتل قتل الآخر ومثَّل بجثته ، لكن هناك فارقا كبيرا بين جريمة كل منكما فى حق شريكه !

فزوجك قد اغتال فعلا بجريمته البشعة انسانيتك كفتاة وطموحك وحقك الطبيعى فى اختيار شريك حياتك .. والحياة التى تحلمين بها .

وأنت قد اغتلت رجولته وإرادته وكرامته ورغبته فى الحياة ،حتى لقد آثر التفكير فى الانسحاب منها إذا أصررت على جلده إلى النهاية بخطيئته والانفصال عنه . وليس ذلك مستبعدا عليه وهو صاحب الميول الانتحارية القديمة .

لكن هناك فارقا جوهريا بين الجريمتين .. فجريمة زوجك رغم بشاعتها ورفضنا لهادائما ،هى جريمة دافعها الحب الذى ملك عليه كل أمره وأفقده رشده فانساق إليها فى غيبة العقل والوعى . وقد حاول بعد ذلك مخلصا أن يكفر عنها بكل الوسائل فتفانى فى حبك .. وتنازل لك عن إرادته وحقوقه كرب أسرة إلى حد امتهان نفسه .. وعاملك بكل الحب والاحترام وجعل هدف حياته هو اسعادك وارضاءك ، راضيا بالقليل الذى تجودين به عليه متأففة من حين لآخر ، وهو قد ارتكب جريمته مرة واحدة وقضى الأمر وتاب عنها وتقبل الله توبته .

اما جريمتك أنت فهى جريمة دافعها الانتقام لا الحب ، وجريمة مستمرة متجددة . كما أنها جريمة إرادية ترتكبينها بوعى بما تفعلين وباصرار عليه ، وليست جريمة لحظة طيش وحمق غاب فيها العقل عن رشده .. وندم عليها مرتكبها .. لهذا تمتهنينه بإصرار طوال ٦ سنوات ، وترفضينه فى صمت بارد ، وتتقبلين مايقدمه لك من قرابين بازدراء من لايرى فيه مايستحق حتى الشكر .. أو يفتح له باب المغفرة .

وهذه هى السادية والتلذذ بتعذيب الآخرين .. بلا مواربة !

فلقد كنت تستطيعين - إذا أردت - إصلاح الخطأ بأن تتزوجى هذا الشاب لعدة شهور أو أسابيع حفاظا على الشكل الاجتماعى، ثم تنفصلين عنه بغير انجاب إن لم تستطيعى أن تغفرى له جريمته .. كما كنت تستطيعين أن تتقبلى تكفيره على جريمته بعد حين، وتسعدى بما يقدمه لك كل يوم على مذبح حبك، وتواصلى معه الحياة بلا رغبة فى الانتقام منه .. ولارغبة فى تعذيبه خاصة وقد أصبح أب طفليك .. لكنك لم تفعلى هذا ولاذاك .. وإنما آثرت أن تجلديه بخطيئته فى حقك كل يوم طوال ٦ سنوات . وأن تستخدمى معه أسلوب التعذيب المغولى الذى كان يعتمد على إطالة التعذيب لأقصى فترة ممكنة حتى يموت الجسد قطعة قطعة بدلا من قتل الضحية فى لحظة رأفة بها.

فعم تحاسبينه الآن ياسيدتى وقد صرت زوجته وأم طفليه . ؟ وتفانى هو فى حبك وإسعادك بما لاأستطيع أن أدلل عليه، وقد حذفت من بعض سطور رسالتك مايخدش الحياء العام، ويؤكد تفانيه فى حبك .؟ إنك ياسيدتى تتصورين أنك تستحقين زوجا أفضل منه .. زوجا كما تقولين فى رسالتك له « ثقل » ونفوذ ووضع اجتماعى يتلاءم مع جمالك وطموحك وتفوقك .. وأنت بذلك تعترفين بأنه ليس للحب دور فى حساباتك، ولعلك تشتركين فى الإحساس العجيب مع بعض الزوجات الحالمات اللاتى قد يعاشرن أزواجهن كل رحلة العمر وهن ينطوين على إحساس باطنى غريب بأنهن درر ثمينة لم يكن يستحقها ازواجهن !

وهو احساس لايرجع غالبا إلى مبررات حقيقية بقدر مايرجع إلى

إحساس كاذب بالمغالاة فى تقدير الذات .. وأحسب أنك واحدة من أسيرات هذا الإحساس الواهم ، ولن تقتنعى بكذبه إلا إذا اصطدمت بحقائق الواقع الصلبة ،واستجاب زوجك لطلبك الطلاق وتخلص من وهم الرغبة فى الانسحاب من الحياة ، وتركك تواجهين الحياة وحيدة بضعة شهور ،واستعاد هو رغبته فى العمل والحياة وتلفت حوله ليرى أن فى الدنيا نساء غيرك . ولنر بعد ذلك كيف ستطيب لك الحياة بعيدا عنه بغير أن يوقد أحد الشموع فى معبدك كل يوم بعد أن استنمت طويلا إلى حبه الطاغى لك .. وقد كنت تسعدين به دائما منذ أيام الجامعة وربما كنت لا تخلين من حب له لايقاس بالطبع بحبه لك . والمؤكد أنك تحبين فيه حبه لك وتحبين فيه حرصه على مودتك وارضائك وتستريحين لتعبده الدائم فى محرابك . وأغلب ظنى أنك لم تطلبى الطلاق رغبة فيه ،وإنما رغبة فى كيِّه مرة أخرى بالنار لكى يظل جرحه حيا إلى الأبد ، ولكيلا يتخلص من إحساسه بالذنب تجاهك فيتراخى فى التكفير الدائم عن خطيئته معك .. اننى لا أريد أن اظلمك فأقول أنك تفعلين ذلك بوعى كامل به ، فمن الجائز جدا ان تكون رغبتك الباطنية فى الانتقام منه هى التى تحركك إلى ذلك بغير أن تدركى كل أبعاده ، لكنها على أية حال قسوة لاتقل بشاعة عن قسوة جبابرة المغول ، فالله يغفر الخطايا جميعا اذا صدقت توبة التائب .. فكيف لاتغفرين أنت ؟ ومن أدراك أن أباك لم يكن ليرحل عن الدنيا فى موعده إن لم يجر ماجرى .. ومتى ضمن « الثقل » والنفوذ والوضع الاجتماعى السعادة لمن يبحث عنها .. وماذا يساوى فستان الزفاف الأبيض الذى حرمت أنت منه إن لم يكن بشيرا بالسعادة ..

وكم ارتدته من لم يعرفن طعم السعادة يوما واحدا بعده .. وكم حرمت منه من انعم الله عليهن بها !

ياسيدتى .. كفِّى عن محاسبة هذا الشاب عن جريمته القديمة .. وعيشى حياتك الطبيعية كزوجة تشارك زوجها اهتماماته وتقوم بواجباتها وأعبائها المنزلية .. وتخلصى من رغبتك الباطنية فى الانتقام منه وإذلاله، فلقد كفر عن خطيئته بما فيه الكفاية .. وفكرى فى طفليك اللذين لم يجبرك أحد على إنجابهما ، فهما وحدهما جديران بأن تمسحى من أجلهما عن صدرك كل مرارة الماضى □ .



شجـــرة الـصـــبـــر !

□ أكـتب إلـيك ياسيدى

وأنا في حال لايعلم بها الا الله سبحانه وتعالى .. واريد أن أقص عليك قصتى . لقد بدأت قصتى .. أو قصتنا أنا وشقيقى الوحيد ، حين وجدنا نفسينا طفلين محرومين من حنان الأم ورعاية الأب . نعيش فى بيت قديم يقع على مشارف القاهرة .. ونلعب فى صالته مع طفلة دميمة شرسة ، تعانى من تشوه خلقى فى ظهرها ، كنت أظنها أختى حتى عرفت أنها ابنة خالى ، وأن هذا البيت بيته وأنه ضمنا إلى أسرته بعد وفاة أبى وزواج أمى من آخر .

وفى هذا البيت نشأنا وعشنا طفولتنا كما يعيشها طفلان محرومان من أبويهما .. ويعرفان أنهما ضيفان على الأسرة التى تؤويهما ، لهذا فقد كنا نحس دائما بالانكسار .. ونخجل من مطالبتهما بشيء .. ونتعجب للجرأة والشراسة التى تتعامل بها ابنتهما .. معنا ومعهما ومع الجميع .. وكان أخى الذى يكبرنى بعامين أكثر مسالمة وانكسارا منى .. فهو لايعترض على شيء .. ولايطلب شيئا .. ولايسخط على شيء ، ويتحمل وذالات ابنة خالنا التى كثيرا ما كنت أضيق بها أنا . وكلما تعرضت لموقف أكون مطالبا فيه بشيء أضيق به يسارع

شقيقى بالتطوع للقيام به بدلا عنى ليتجنب صدامى مع أحد .

وكانت أمى تجيء لزيارتنا مرة كل شهر فتمضى معنا يوما وتعطينا بعض الهدايا الصغيرة وتخص إبنة خالى باكثرها .. وتدعو لخالى بالستر فى الدنيا والآخرة لأنه آوانا وسترنا بعد أن رفض زوجها ضمنا إلى أسرته المثقلة بالأبناء من زوجة سابقة .. ومضت بنا الحياة فالتحقنا بالمدرسة. وكان خالى يملك محلا صغيرا لتجارة الأدوات الصحية ويعود إلى البيت للغداء فينام ساعة ثم يرجع إلى محله ، وحين بلغنا سن الصبا ، بدأ خالى يطالبنا بالذهاب إلى محله فى فترة الظهيرة للعمل فيه خلال غيابه .. وكنت أضيق بذلك لأنه يشغلنى عن دروسى وأؤديه ساخطا ، ثم أنفِّس مع أخى عن ضيقى ونحن مستلقيان آخر الليل فى سريرنا .. فيكبح جماحى بكلماته الحزينة .. مرددا دائما أن هذا هو أبسط حقوق خالى علينا ، وأننا ضيوف وأن الضيف ليس من حقه أن يعترض على صاحب البيت فى شيء .. ثم يتطوع بالذهاب للمحل فى اليوم المخصص لى بدلا منى . ويقنع خالى بذلك .. وتخلصت أنا من هذا الواجب الثقيل ولكن على حساب راحة شقيقى المضحى دائما الذى راح يضاعف من ساعات سهره .. ليعوض انشغاله بأعمال المحل .

أما فى الصيف فقد كنا نعمل فى المحل .. من الصباح للمساء ونحمل الأدوات الثقيلة للعملاء .. وأهرب أنا من هذه المهام الثقيلة أحيانا « فيغطينى » شقيقى ، فضلا عن انه دائما المسئول عن قضاء مطالب خالى وزوجته ، فإذا أراد خالى أن يكلفنى بقضاء شيء ..

أسرع يقول انه سوف يؤديه خيرا منى ليعفينى منه . ونفس الشيء فى أعمال البيت التى كنا نشارك فيها تخفيفا عن زوجة خالى ، بينما ترفض ابنتها فى عصبية أن تؤدى أى عمل منها وتسخر منا ونحن نمسح البلاط فى الصباح البارد فى الشتاء ، حتى كدت مرة أبطش بها وأقذفها بالجردل لولا أن أسرع شقيقى فوقف بينى وبينها، وتلقى الجردل هو على ملابسه .. وعلى هذا الحال عشنا حياتنا نرضى بأقل القليل ونرتدى ملابس أبناء أقاربنا ، وأضيق أنا بكل ذلك ، أما اخى فلا يضيق بشيء حتى ولو تألم له صامتا .. وأنهى شقيقى دراسته الثانوية وكان مجموعه يؤهله للالتحاق بكلية تجارة القاهرة ، وكنت الوحيد الذى يعرف أمنيته الصامتة ككل أمانيه وأحلامه ورغباته. لكن جلسة واحدة مع خالنا وأمى غيرت طريق حياته بغير أدنى اعتراض منه .. فقد اقترح عليه خالى أن يختصر الطريق ويلتحق بمعهد لمدة عامين قريب من مقر إقامتنا ، فوافق على الفور ولم يجرؤ على مجرد الكشف عن أمنيته أو رغبته الصامتة. وحين عاتبته ونحن وحدنا فى الليل على استسلامه هكذا غلبته دموعه وهو يقول لى .. وماذا تنتظر من شاب لا أب له ولا مال عنده ولاتملك أمه أمر نفسها ، وبتنا ليلة كئيبة .. وتخرجت أنا بعده بسنة وأهلنى مجموعى للالتحاق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة .. فلم أستشر أحدا وقدمت أوراقى لمكتب التنسيق وحددت رغباتى .. وأخى يتعجب من أمرى ويسألنى عما سأفعل إذا حجب خالنا عنى مساعدته ، فأجيبه ببساطة انى سأعمل أى عمل وسأكسب رزقى إلى أن أتخرج .. لكن خالى لم يعترض وإن كان قد استاء لعدم مشاورتى له فى الأمر ، ولم يحجب عنى مساعدته .

وبدأت أنا أعمل فى الصيف لأوفر بعض مطالبى .وتخرج شقيقى وأدى خدمته العسكرية وعين فى وظيفة صغيرة. وتخرجت أنا بعد تعيينه بشهور وبدأت استعد لأداء الخدمة العسكرية، ففوجئت بأمى تفاتحنى فى أمر غريب .. هو أن أتقدم لخطبة إبنة خالى الشرسة التى تتشاجر مع الجميع والتى تنتابها حالات هياج عصبى شديد ويخشاها أبواها ، وفشلت فى الحصول على الثانوية العامة .. ورفضت الفكرة بلا تردد، وشرحت لها أن أسباب رفضى ليست دمامتها أو عيبها الجسمى .. وانما سوء طباعها وشراستها التى تحملت أنا وأخى منها الكثير ،فضلا عن حالات هياجها العصبى المتكررة. ولم تقتنع أمى بذلك وبكت طويلا وهى تشرح لى أن خالى وزوجته ينتظران منى أنا بالذات لأنى المهندس الذى سيكون له شأن، أن أرد لهما الجميل بالزواج من ابنتهما التى لم يطلبها للزواج أحد .. فلم أتحرك عن موقفى وقلت لها أنى أستطيع رد الجميل فى المستقبل باكثر من طريقةٍ، لكنى لن أضحى بسعادتى من أجل ذلك .. وانى ساغادر بيت خالى إذا تمسكت بمطلبها، وانصرفت حزينة .. وفى الليل رويت لشقيقى ما حدث فسمعنى صامتا وأسفت أشد الأسف لذلك لأنى لم أتنبه إلا فيما بعد إلى أن طلب أمى منى أنا بالذات بأن أتزوج إبنة خالى إنما يتضمن إساءة لشقيقى الكبير الذى ترى أمى أنى أفضل منه لأداء هذا الواجب لأنى مهندس .. فى حين أنه لو لم يختصر الطريق راغما لما استطعت أنا مواصلته .. وفى الصباح ذهبت لإدارة التجنيد وغبت ٤٥ يوما ثم عدت فإذا بشقيقى قد خطب ابنة خاله . وفهمت على الفور ماحدث خلال غيابى ،وعرفت أن أمى قد حدثته فشقَّ عليه

أن يخيب رجاءها، وربما شقَّ عليه أن أبدو ناكرا للجميل أمام خالى وزوجته، فتقدم كعادته ليسدد عنى ديونى .. فاصطحبته للخارج وقلت له مشفقا انه ليس مطالبا بهذه التضحية من أجلى، وأننا نستطيع لو ضاقت بنا الدنيا أن نقيم فى غرفة على السطح فى أى مكان وأن نبيت على الأرض إلى أن يغير الله من حالنا . لكنه أصر على أنه فعل مافعل بارادته وبرغبته .. وانه لايكره إبنة خالنا رغم مانالنا منها .. ويعذرها ويغفر لها بعض طباعها بسبب ظروفها .. ويأمل فى انها سوف تتغير الى الاحسن بعد الزواج. وهكذا استسلم شقيقى مرة اخرى لما أرادوه منه .. و« فدانى » بالزواج من إبنة خالى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره .. ولم يتغير شىء فى حياته بعد الزواج سوى انه استقل بغرفة فى البيت القديم مع زوجته، وأديت أنا الخدمة العسكرية .. وخرجت وتوفيت أمى وحزناً عليها كثيرا رغم أنها لم تعطنا الكثير من رعايتها .. وعملت أنا مهندسا بوزارة الرى فى محطة للصرف فى منطقة العامرية الصحراوية .. ووجدت نفسى أقيم فى بيت مخصص لمهندس الرى ويقوم على خدمتى فراش يطهو لى الطعام .. وسعدت بالانتقال لهذا المكان تخلصا من الضيق الذى يخنقنى وأنا أرقب حال شقيقى الوحيد مع زوجته، التى ازدادت طباعها سوءا بعد الزواج ولم تتورع عن إهانته عند كل اختلاف عابر، أو عن تذكيره بأفضال أبيها عليه حتى بالرغم من ثورة الأب نفسه عليها عندما يسمع بذلك .

وفى وحدتى تواصلت الرسائل بينى وبينه ووجد فى الكتابة لى متنفسا عما يطوى عليه صدره طوال السنين .. فراح يبثنى نجواه

وشوقه لى وافتقاده للسرير الذى كنا ننام فيه متجاورين كل ليلة ،وأنا أنفس عما فى صدرى وهو يخفف عنى إلى أن أنام ، ويتعرض فى كلمات قصيرة لزوجته التى انجبت ولدا. وكيف انه يرعى معها حقوق خاله وزوجة خاله التى ربّتنا حتى النهاية طالبا الهداية من الله .. وأفهم من وراء السطور أن طباعها قد ازدادت سوءا ، لكنه يتصبر ويتعفف عن الشكوى .

وتنقلت أنا بين مواقع العمل وكلها خارج القاهرة ، وترقيت وزادت مسئولياتى .. وشغلت لفترة عن الرد على رسائل شقيقى بعض الوقت .. وعدت ذات يوم إلى بيتى فوجدت رسالة منه يعاتبنى فيها على إهمالى الرد على رسائله. ويكتب لى فيها عبارة أوجعتنى – ومازالت حتى الان – قال فيها :

« لو تذكرت كما اتذكر انا دائما انه بعد وفاة أمنا لم يعد لكل منا فى الدنيا على اتساعها سوى الآخر لما طاوعك قلبك على إهمال الرد على رسائلى » فتفجر الحب والعطف فى قلبى تجاهه .. وأسرعت أرد على رسالته وأعتذر له .. وكنا نلتقى كلما سمحت ظروفى باجازة وأحمل له ولزوجته ولطفله الهدايا .. وأحمل الهدايا لخالى وزوجته ردا للجميل .. وبعد سنوات أعرت للعمل فى دولة افريقية عملت فيها ٤ سنوات تحسنت خلالها أحوالى المادية جدا وأصبحت لى مدخرات كبيرة فأرسلت لأخى مبلغا من المال ليؤجر لى به شقة فى القاهرة فقام بالمهمة خير قيام واستأجر لى شقة فى حى جديد بخلو معتدل . وعلمت فى غربتى بوفاة زوجة خالى فحزنت عليها وترحمت عليها

طويلا وحان موعد عودتى بعد ٤ سنوات من الغياب والفراق .. فاشتريت لأخى ملابس وقمصانا وأجهزة كهربائية وركبت الطائرة عائدا إلى مصر ،وأنا أتخيل كيف سيكون لقاؤنا فى المطار وماذا سأفعل حين أرى ملامحه الطيبة وفرحته الصادقة بى . ووصلت الطائرة وخرجت من المطار فلم أجده فى انتظارى .. ووجدت خالى يتعثر فى شيخوخته ، فسألته بلهفة عن شقيقى فقال انه متعب بعض الشىء وفى المستشفى . وأحسست بانقباض شديد واستأجرت سيارة أجرة وضعت فيها حاجياتى وطلبت من خالى أن يعود بها إلى بيته .. واستأجرت سيارة أخرى وانطلقت بها إلى المستشفى وهناك صدمت حين عرفت انه فى غرفة الانعاش وممنوع زيارته .. وقابلت الطبيب المسئول وشرحت له ظروفى وألححت عليه فى السماح لى بزيارته فرقّ لحالى وسمح لى بزيارة لمدة دقائق. ودخلت غرفة الانعاش ووجهتنى الممرضة إلى سريره ، فرأيت شقيقى ممدداً عليه فى جلباب ابيض وقد تحول إلى خيال .. واقتربت منه ودموعى تسبقنى وهو مقيد بأنابيب المحلول والأكسوجين .. وأمسكت بيده وقبلتها وقلت له بصوت مرتعش .. سلامتك ياخويا .. فابتسم ابتسامة ضعيفة .. وردد الكلمة مترنما بها كأنما يسترجعها لنفسه ببطء « ياخويا » .. الله .. من زمان ماسمعتهاش ثم راح فى غيبوبة .. وسالت دموعى وسحبتنى الممرضة للخارج وهى تواسينى .. وعلمت منها انه فى حالة توهان منذ يومين وأن اللحظة التى خاطبته فيها كانت لحظة إفاقة نادرة ، وخرجت إلى الطبيب واستفسرت عن حالته وتجمدت أطرافى وأنا أسمع منه حقيقة مرضه الذى لاأعرف كيف بدأ .. لكننى لم أفقد

أبدا الأمل فى الله .. وفى تغلب شقيقى على مرضه، فهو شاب فى الثامنة والثلاثين .. ولم يمرض أبداً قبل ذلك وذهبت إلى بيت خالى .. وسمعت من زوجة شقيقى كل التفاصيل. وحملت حقيبتى وذهبت للإقامة فى فندق قريب من المستشفى ولازمت باب غرفة الانعاش .. وكلما جاءتنى فرصة تسللت إليه وأمسكت بيده .. وكانت حالة التوهان مستمرة ومع ذلك فقد سمعته فى إحدى المرات يهذى بكلم « ياخويا » يتمتم بها ببطء وهو غائب عن الوعى .. فجاو دموعى .. وتمنيت أن يأذن الله بالشفاء لكى أعوضه عن كل م فى حياته من شقاء .. ووثقت علاقتى بالعاملين بالغرفة وأغ بهداياى ليعتنوا به. وأعطيت أحد الممرضين تليفونى فى الف ليستدعينى عند الحاجة .. وعدت ذات ليلة من عنده متأخرا غاية الاجهاد فنمت، ثم صحوت على تليفون من الممرض يد للحضور، فنهضت مفزوعا وارتديت ملابسى على عجل وهرولت قدمى للمستشفى ودخلته فى الفجر، فجريت فى اتجاه غرفة الانع فاذا بالممرض ينادينى ثم يجذبنى من يدى فى صمت ويشير بيده إ اتجاه آخر ويقول لى .. من هنا ثم يقودنى إلى .. إلى الثلاجة ! .

نعم ياسيدى الى الثلاجة لألقى النظرة الاخيرة على شقيقى الو وأقبل جبهته وأغسلها بدموعى، فقد مات شقيقى فى ساعات الليل التى غبت فيها عنه، فخسرت سندى الوحيد فى الحياة والانسان الوحي الذى أحبنى ربما أكثر مما أحب نفسه .. ورحل عن الدنيا بهذه البساطة .

الانسان الذى لم يأخذ من الدنيا شيئا .. ولم تحمل نفسه كرها لأحد، وعاش محروما من السعادة فى طفولته وفى صباه .. وفى شبابه كانما كتب عليه الشقاء من مولده إلى مماته .

لقد مات شقيقى ياسيدى قبل أن اتمكن من سداد ديونه التى تثقل عنقى وتضحياته بنفسه ومستقبله من أجلى .. وآثر أن يرحل وأنا أستعد لتحقيق حلمى الكبير ،وهو أن أدعوه للاقامة معى فى شقتى الجديدة ، وأن أغير عقد إيجارها باسمه ،واشترى شقة تمليك لى قبل أن أعود لنفس الدولة الافريقية بعد ثلاثة شهور عسى أن يخفف استقلاله بحياته وامتلاكه لشقة خاصة من غلواء زوجته ، أو على الأقل ليكون له مأوى إذا اختلف معها وعجز عن مواصلة الحياة معها ،خاصة وأن له شركاء هم اخوته فى بيته المتهالك البعيد .. لكنه لم ينتظرنى لكى أقدم له حتى هذه الهدية ورحل وهو مستمر فى دفع فاتورة يُتمنا ونشأتنا فى بيت خالى من صحته وسعادته حتى اللحظة الأخيرة .

لهذا فأنا حزين .. حزين ياسيدى اسأل نفسى دائما واسألك ماذا أفعل لكى أخلِّص نفسى من الإحساس بالألم الذى يفرينى .. وطيفه يلازمنى ليل نهار وأنا أستعرض شريط حياة شقيقى الوحيد كل يوم وأبحث فيها عن لحظة سعادة حقيقية فلاأجدها ،وأجدنى مسئولا بعض الشيء عن ذلك لأنى تركته يستسلم دائما ويضحى من أجلى ويعيش حياته كشجرة الصبر .. تشقى بالعطش .. ولاتشكو عطشها □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول .

نعم ياصديقى هناك أناس يعيشون بيننا قد لانكتشف وجودهم من فرط حرصهم على ألا يزعجوا الآخرين بأنينهم وسخطهم ورغباتهم وتطلعاتهم وصغائرهم ، فيعبروا الحياة كما تعبر النسمة الرطيبة الوجوه فتلطفها فى شدة القيظ بغير أن نراها ، ثم نحس فجأة بعمق خسارتنا فيهم ، وبأهمية ماكانوا يمثلونه فى حياتنا من النبل الانسانى ، وبمدى ماخلّفوه وراءهم من فراغ سحيق ،عندما يرحلون عن الحياة فى صمت بعد أن أعطوها الكثير ، وبغير أن يأخذوا منها الكثير ، كأنما خلقوا ليكونوا أشجارا للصبر تؤكد سمو الحياة المطرد وخيريتها والأمل فيها .

ومن هؤلاء كان شقيقك الوحيد بغير شك ياصديقى .. وهاقد دارت دورة الحياة فاختفت من مروجها زهرة أخرى وجاء دورك الآن لكى تؤدى واجبك الحزين تجاه إبنه الوحيد ، كما أدى خالك من قبل واجبه الانسانى تجاهكما . فانهض لأداء هذا الواجب وتعزَّى به عما فاتك من تحقيق أمنيتك فى إسعاد شقيقك وهو على قيد الحياة ، فنحن نعوض فى أبنائنا ماحرمنا منه نحن من أسباب السعادة فى صبانا وشبابنا وحياتنا .. فلم لايكون هذا الطفل اليتيم هو إبنك الذى تعوض فيه لأبيه كل ماحرم هو منه ؟ لست أشك فى أنك سوف تفعل .. لكنى اطمئنك إلى أن وطأة إحساسك بالألم لعجزك عن إسعاد شقيقك ، سوف تختفى للأبد حين تنهض بمسئولية إبنه ، لأن الآباء يتواصلون مع الحياة فى أبنائهم .. ولاشك أنك ستكون الأب النبيل

لهذا الابن الوحيد، وانه سوف يتدفق داخلك نبع من السعادة والرضا عن النفس عند قيامك بهذا الواجب .. أما فراقك لشقيقك الوحيد الذى أحبك من أعماق قلبه، وحزنك لطريق الآلام الذى استغرق حياته القصيرة ، فأفضل ماتفعله لكى تتخفف منه، هو أن تعطى للحياة كما أعطاها هو بسخاء ، وأن تتزوج وتشكل أسرة صغيرة تمد جذورك فى الأرض وتخفف من إحساسك بالوحدة، وتجعل لحياتك قيمة ومعنى ، وتظللها أنت بالحب والنبل والعدل والعطاء .. فالشجرة التى لاتظلل أحدا بأوراقها لاتعرف معنى السعادة الحقيقية التى عرفها شقيقك .. ولربما كان نصيبه منها أكبر مما تتصوره أنت رغم خلو حياته من لمحاتها الظاهرة، فالسعادة سر خفى لايعرف كنهه سوى أصحابها . وإسعاد الآخرين والتضحية من أجلهم والرضا بكل ماتحمله رياح الحياة .. وخلو النفس من الكراهية والحقد وزهدها فى كثرة الرغائب فضلا عن الإيمان بالله والرضا عن النفس، من أسرار السعادة الخفية التى قد لاتلوح مظاهرها للآخرين .. وأحد الصوفية كان يعيش حياة جافة قاسية محرومة من كل أسباب السعادة الظاهرة ، ومع ذلك فقد قال « لو علم الحكام مانحن فيه من نعيم .. لقاتلونا عليه بالسيوف » !

فلم لاتكون لشقيقك – المضحِّى المبادر دائما لإرضاء الآخرين وإسعادهم – هو أيضا سعادته الخاصة التى نعم بها خلال حياته القصيرة ؟ .

اننى لاأقول لك ذلك تخفيفا عنك فقط .. وإنما أيضا لكيلا

تضاعف من خسارتك بفقده بخسارتك لسلامك النفسى، ولكى تنطلق لأداء واجبك النبيل تجاه ابن شقيقك وانت غير مثقل بهذا الإحساس الأليم .. وفقك الله لأدائه على خير وجه وحقق لك به كل ماترجوه لنفسك من خير ومن جزاء □ .



النـــداء

□ أنا زوجة أبلغ من العمر ٣٥ عاما :

حاصلة على بكالوريوس الهندسة ومن عائلة محترمة ومتزوجة من طبيب .. ولنا أبناء كلهم ذكور ، منهم ثلاثة توائم ، وكلهم يتعلمون فى مدارس أجنبية .. وقد أمضينا فى إحدى الدول العربية عشر سنوات وأدَّينا أنا وزوجى فريضة الحج ٥ مرات .. ثم عدنا إلى بلادنا الحبيبة لنكمل بقية المشوار .. ومشكلتى ياسيدى تتلخص فى أنه منذ عدنا إلى بلادنا منذ عامين ، وزوجى الطبيب المحترم يغيظنى ولاينادينى أمام الأولاد إلا بـ « ياأم منخار » فيقول مثلاً اعملى كذا ياأم منخار .. هاتى كذا ياأم .. أيه رأيكم ياأولاد فى أم .. وبدون سبب أو غضب يفعل ذلك .

إننى لا أمتدح نفسى لكن شكل وجهى منسق جداً .. وأنا سيدة محترمة بين الأقارب والأصدقاء ، وزوجة مطيعة لزوجى وهادئة ومنظمة وسيدة بيت إلى أقصى حد .. وقد رفضت الوظيفة وفضلت رعاية زوجى وأولادى .. فهل يصح بعد المشوار اليومى المتعب من غسيل وطبيخ وتنظيف وكى الملابس ثم المذاكرة لـ ٥ أبناء كل دروسهم بالانجليزية ، أن يأتى زوجى الطبيب المحترم وينادينى بيا أم منخار بدلاً

من إسمى ،أو بدلاً من إسم أكبر أبنائى ! لقد حاولت التفاهم معه باللين .. فلم يرتدع ، فهددته بمغادرة البيت فقال لى لماذا .. هل ضربتك بسكين .. أنها مجرد كلمة « حقيقية » أقولها .. وقد صبرت سنين وأريد أن أناديك بما كنت أكتمه فى صدرى ! .

فهل هذا يرضى الله .. ياسيدى ؟ .

لقد فكرت فى الانتحار أكثر من مرة .. ولم يمنعنى عنه سوى خوفى من غضب الله .. وفكرت فى الطلاق . لكن ماهو ذنب الأبناء الخمسة فى أن أعرضهم للبهدلة ... لمثل هذا السبب . وقد حرت كيف أتصرف مع هذا الرجل ... علماً بأنى لا أجد شكلى فى حاجة إلى جراحة لأن وجهى مقبول جداً ... وزوجى ليس فى حياته امرأة أخرى ولايكرهنى ... لكنه يصرّ على أن يحرق دمى بهذه العبارة عشرات المرات كل يوم فماذا أفعل معه ... وأليس هذا حراماً ياسيدى ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نعم حرام ياسيدتى مادمت لاتتقبلين هذه الدعابة السخيفة وتستشعرين فيها الإساءة أمام نفسك ... وأمام أبنائك . وتعمد تحقير الزوجة بما يجرح مشاعرها ، ويسهم فى إسقاط اعتبارها أمام أبنائها جريمة لايجوز لمنصف أن يرتكبها .. حرصاً على كرامة زوجته التى تشاركه حياته وتحمل إسمه .. وحرصاً على معنويات أطفاله الذين يتعرضون لمتاعب نفسية لاحصر لها إذا اهتز مثال الأم أو الأب

أمام أنظارهم .. ثم حرصاً على كرامته هو نفسه التى قد تتعرض للخطر إذا تطور هذا الهذر إلى مشاجرات مستمرة ... وإهانات متبادلة بين الطرفين ، ولاشك أن زوجك لم يفكر فى كل ذلك ، وهو يستجيب لطبيعته فى هذا التصرف ... وحسبه أن يتذكر أن الإشارة إلى مايكره الإنسان أن يشير إليه أحد ، ليس من آداب التعامل بين الغرباء .. فكيف بها بين من جمعت بينهما المقادير فى حياة واحدة ؟ .

طالبيه ياسيدتى بحزم بالكف عن هذا النداء البغيض ... وحاولى من ناحية أخرى ألا تظهرى ضيقك الشديد به حتى لايتمادى فيه ، فبعض الناس تسعدهم إغاظة الآخرين .. ويفتر حماسهم إذا أحسوا بأن سهامهم لم تصب آهدافها .. وذكريه دائماً بقول الرسول الكريم : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» .. فلا ينقصن إيمانه ، بهذا التصرف الصغير .. وشكراً □



دائـــرة النـــدم

□ لا أعرف كيف أبدأ رسالتي إليك ..

لأنى أكتبها إليك وكلِّى إحساس بالندم كلِ الندم على ماضاع منى وماخسرته فى حياتى .. ولأبدأ أولا بأن اذكِّرك بنفسى، فانا الطبيب زوج السيدة التى نشرت رسالتها منذ حوالى أربعة شهور بعنوان « النداء » والتى كتبت تشكو اليك من أنى أصر على أن أناديها أمام اطفالنا الخمسة بـ « يا أم منخار » ! حتى ضاقت بذلك ورجتنى أكثر من مرة أن أقلع عن هذا النداء السخيف .. وحتى طالبتنى ذات مرة بالطلاق احتجاجاعليه، فكنت ألومها على هذا التفكير الصبيانى ثم أعود إلى نفس النداء كان شيئا لم يكن .

لقد نشرتَ رسالتها وطالبتنى بمراعاة شعورها .. وبعدم الاستهانة بهذا التصرف الصغير الذى يتسبب فى ايلامها وقد يؤدى الى نتائج وخيمة .. وبعد نشر الرسالة بأسابيع سافرنا معا لأداء عمرة رمضان التى أصرت زوجتى على أدائها هذاالعام، ولم أفلح فى إقناعها بتأجيلها بالرغم من أننا قد أدينا معا فريضة الحج ٥ مرات خلال اقامتنا فى السعودية، فاستجبت لرغبتها وسافرنا لأداء العمرة فى العشرة الأواخر من رمضان . وفى فجر يوم ٢٨ رمضان أدَّت زوجتى صلاة الفجر فى

المسجد الحرام ، فإذا بها تسقط على الارض مغشيا عليها وهى تؤدى الصلاة .. وسارعت بنقلها الى المستشفى فاذا بها تلقى وجه ربها الكريم قبل أن تصل السيارة اليه .. وإذا بى أودعها الثرى الطاهر فى الاراضى الحجازية .. وأعود إلى أولادى الخمسة الصغار بغيرها وأنا لاأصدق ماجرى .. ولاأعرف كيف حدث .

اننى منذ ذلك اليوم ياسيدى وانا أعيش ذاهلا وحزينا ومكتئبا وقد انقطعت عن عملى كطبيب . ولا أعرف كيف أجيب عن أسئلة أطفالى الخمسة الحائرة عن أمهم .. ولماذا عدت من السفر بغيرها . ولا أعرف كيف أقنع عقولهم بانهم لن يروها مرة أخرى ، وأنها الآن فى عالم آخر بعيد تحفّ به الملائكة ويسوده السلام .

اننى محطم ومنهار وأحس بأنى مهما فعلت فلن أستطيع أن أمحو ذنبى الذى ارتكبته فى حقها وآلمتها به حتى لقد فكرتْ فى الانتحار ذات مرة تخلصا من ندائى السخيف لها كما كتبت إليك فى رسالتها . وأريد أن أزيح عن صدرى هذا العبء الثقيل وأعترف لك بالسبب الذى لم أبح لها به ودعانى إلى مناداتها بذلك النداء اللعين لمدة عامين متتاليين ، فالمشكلة ياسيدى اننى أبلغ من العمر ٥٥ سنة ، وكان عمر زوجتى ٣٥ سنة لكن مظهرها كان يوحى بان عمرها لايزيد على ٢٥ سنة .. وحين كنا فى السعودية كانت زوجتى ترتدى النقاب . وبعد نتهاء عملى فيها وعودتنا لمصر منذ عامين خلعت زوجتى النقاب وارتدت الحجاب العادى فظهر جمالها وأصبحت لافتة للانظار بشدة فى أى مكان نذهب إليه لأنها كانت على قسط كبير من الجمال .

ومع أن زوجتى رحمها الله كانت على درجة عالية من الأخلاق والهدوء والرقة والتسامح والتواضع، إلى جانب ثقافتها العالية كخريجة للمدرسة الألمانية تجيد الألمانية والفرنسية والانجليزية، ومهندسة آثرت عدم العمل والتفرغ لرعاية أطفالنا وهم خمسة ذكور .. مع كل ذلك فقد كنت أغار عليها بشدة حتى من أقرب الناس إليها، وأغار من نظرات الاعجاب والاحترام التى تقابل بها فى كل مكان .. ومع أنها كانت ملاكا فى بيتها وفى حياتها معى .. وحريصة على أداء كل واجباتها المنزلية والأسرية وتستذكر للأولاد دروسهم حتى أصبحوا من الأوائل دائما .. فلقد هدانى تفكيرى السقيم بعد عودتنا إلى مصر إلى أن أناديها بهذا النداء اللعين، لكى أكسر به أنفها وأمنع الغرور بجمالها من أن يتسلل إليها، مع أنها كانت آية فى التواضع والبعد عن الغرور. لكن هكذا أوحت إلى أفكارى وليتنى مااستجبت لها ولا آذيتها فى مشاعرها فما كانت مغرورة بجمالها .. ولا مشغولة فى حياتها بشىء سوى أطفالها وزوجها وبيتها. وكلما تذكرت كم كان يؤلمها ذلك النداء وكم عاتبتنى فيه وكم بكت منه أضيق بنفسى .. وألعن الغيرة القاتلة التى دفعتنى إليه .. واحس بالهلع والحزن والألم لأنى قد فقدت هذه الزوجة الملائكية المطيعة المتدينة التى كانت تؤدى الفروض فى مواعيدها وتصوم يومى الاثنين والخميس بانتظام .. ولم يكن لها رجاء عندى فى شهورها الأخيرة سوى أن أكفّ عن إيلامها بهذا النداء العابث.

إنى حزين ياسيدى لكل ذلك .. ولا أعرف كيف أكفر عما

فعلت ولا كيف أريح ضميرى منه .. وأخرج من دائرة الاكتئاب لكى أرعى أولادى الصغار □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لو أنصف الإنسان لما آذى مشاعر أحد، ولما أحس بالندم على مافرط منه فى حقهم .. لكن متى كان الإنسان منصفا وعادلا مع الجميع ؟ لقد اعترفت لنفسك ياسيدى قبل أن تعترف لى بالسبب الحقيقى الذى دفعك لإيلامها بذلك النداء السخيف .. ولعله لم يكن واضحا تماما فى ذهنك وأنت تتعمده وتتمسك به ، وانما كان فى أغلب ظنى يترجم هواجس ومخاوف غامضة لديك .. فلما رحلت زوجتك الملائكية المتدينة عن الحياة .. وخلوت إلى نفسك وراجعت ما كان من أمرك معها ،تبين لك ماكان خافيا عليك فى وقتها واعترفت لنفسك به .. ولو كانت تلك الدوافع واضحة تماما فى عقلك الواعى .. وشريكة حياتك ترجوك أن تعفيها من ذلك النداء البغيض ، لسهل عليك التخلص منه . لكن آفة الإنسان أنه يرفض غالبا أن يعترف لنفسه بضعفها .. ويفضل أن يتظاهر أمام نفسه أولا بالقوة مع أن ضعفه البشرى من سماته كإنسان .. ولو اعترف به كل إنسان لنفسه ، لتجنب الكثير من المتاعب وتجنب إيلام الآخرين ولما أحس بالندم بعد فوات الأوان .

إن اعترافك ياسيدى بدوافعك الحقيقية لتصرفاتك مع زوجتك الراحلة فى العامين الأخيرين .. وبغيرتك الشديدة عليها هو فى

تقديرى أول خطوة فى طريق استعادتك لتوازنك النفسى .. وإحساسك بالذنب تجاهها إحساس إنسانى نبيل، لكنك تستطيع أن تتخلص منه بأن تحفظ لزوجتك ذكراها .. وتشيد بفضلها أمام الجميع .. وترعى أبناءها وتغرس فيهم حبها والوفاء لذكراها، وبأن تحقق فيهم كل آمالها التى لم يمهلها العمر لكى تحققها لهم .

فهذا هو الطريق لتكريم الأعزاء الغائبين والوفاء لهم ، أما آلامك النفسية فإن الزمن كفيل بها .. ولا دواء لها غيره، وهى من تلك الأمور التى عناها مصطفى صادق الرافعى بقوله :

مسائل مالها من حلٍّ ولكن
إذا نُسِيَت ففى النسيان حلُّ

نعم ياسيدى .. ففى النسيان حلٌّ .. وفى الصبر على ما أصابك والخروج إلى العمل .. والمشاركة فى النشاطات الاجتماعية والإنشغال بأمور الحياة وشئون الأبناء أكثر من حل لآلامك ومعاناتك بإذن الله .. فلاشك أن رعاية خمسة أطفال صغار تحتاج إلى الخروج من دائرة الاكتئاب والندم وإلى الاحتشاد النفسى لتحمل هذه المسئولية الكبيرة أعانك الله عليها .. وعلى غيرها من مشاكلك والسلام ☐ .

لحظــــة طــيــش

□ أنـا شـاب أحمـل مؤهـلا عالــيـا :.

وأعمل بوظيفة طيبة بالقاهرة وقد تعرفت على زوجتى فى أحد الأندية الرياضية لأنى أصلا رياضى .. وقد أعجبنى فيها أنها هادئة ورومانسية كما بدت لى خلال التعارف ، فتزوجتها بعد فترة قصيرة وبدأت حياتى معها .. وحاولت كزوج ورب أسرة أن أكون مثاليا معها وأن ألبى كل طلبات بيتى وزوجتى ، لكن مشكلتى باختصار هى أن زوجتى مدخنة شرهة ولست انكر أننى ايضا مدخن وإن كان معدل تدخينى أقل بكثير من معدل تدخين زوجتى .

وللحق فان زوجتى كانت تدخن حين تعرفت بها ،لكننى تجاوزت عن ذلك أو لعلى اعتبرته شيئا من المدنية والحضارة فى مجتمعنا الجديد ! فغالبية من يرتدن نادينا من السيدات والآنسات يدخنَّ ، ولم أشعر بأن ذلك سيتسبب فى مشكلة حادة إلا بعد أن أنجبنا طفلا أصبح عمره الآن ٣ سنوات . لهذا فقد حاولت إقناعها بالإقلاع عن التدخين حرصا على صحتها وعلى صحة طفلنا وفشلتُ .. فامتنعت أنا عن التدخين لكى أشجعها على الامتناع لكنها لم تمتنع ، بل ولم تحاول .. إلى أن حدث ذات يوم أن وجدت طفلى يمسك فى يده

بسيجارة.. ويحاول إشعالها بولاعة السجائر ، فاخذت السيجارة والولاعة من يديه ونهرته بعنف وحذرته من العقاب الشديد إذا عاود ذلك مرة أخرى .. وبعد ذلك بعدة أيام عدت من عملى إلى البيت وقت الأصيل ، فسألت زوجتى عن طفلى الصغير فأشارت بيدها بما يفيد أنه يلعب فى الشرفة فتوجهت إليه لأداعبه .. ففوجئت به جالسا فى الطرف البعيد من الشرفة وفى يده سيجارة مشتعلة يضعها فى فمه وينفخ فيها ، فثرت عليه ثورة شديدة ونزعت السيجارة منه وانهلت عليه لوما وتوبيخا ، فانفجر فى البكاء ولم يجد مايدافع به عن نفسه سوى أن يقول لى من بين دموعه « اشمعنى ماما » فهدأت ثورتى قليلا .. واحتضنته وقلت له وأنا أحاول أن أتمالك نفسى أن ماما مريضة وأن الطبيب يعالجها بتدخين السجائر وأنها حين تشفى من مرضها سوف تمتنع عن السجائر ، نهائيا لأنها ضارة بالصحة . وهدأ طفلى قليلا ، لكن نفسى لم تهدأ فعدت إلى زوجتى لأناقشها فى هذا الأمر وأمرتها بالامتناع عن التدخين نهائيا ، واحتدت المناقشة بيننا فمدت يدها بآلية إلى علبة السجائر لتشعل سيجارة ، فخطفت علبة السجائر من أمامها ورفضت أن أعطيها لها فتشاتمنا .. ففوجئت بها تبصق على فى عصبية شديدة ! ووقفت مذهولا وصامتا ثم وجدت نفسى أقول لها بانفعال شديد « كتَّر خيرك » ثم بحثت عن حقيبة الأوراق التى أحملها فى يدى وانصرفت من البيت وتوجهت إلى بيت أسرتى ، وأنا فى غاية الضيق. وسألنى أبى عما بى فانتحيت به جانبا ورويت له ماحدث بالتفصيل ، وسمعنى مهموما . لكنى ماأن وصلت إلى عبارة وبصقت على فقلت لها كتر خيرك ثم تركت لها البيت حتى

وجدت أبى ينتفض فى جلسته ثم يرفع يده ويصفعنى على وجهى صفعة شديدة ! .

وتسمَّرت فى مقعدى مذهولا مرة أخرى، وزاد من ذهولى أن أبى لم يضربنى منذ كبرت، وأنها المرة الاولى التى يصفعنى فيها وأنا زوج وأب وموظف مرموق .. فقلت له ذاهلا أتضربنى ياأبى ؟ فقال لى باصرار : نعم أضربك لأن هذا ماكان ينبغى عليك أن تفعله حين بصقت زوجتك على وجهك أيها الشاب الكبير المتزوج .. لكنك لم تفعل لأنك لست رجلا .. ثم صمم على أن أطلقها مؤكدا لى أن الزوجة التى تبصق على زوجها تحتقره .. وعلىَّ أن أفعل ذلك .. أو ألا أدخل له بيتا بعد ذلك ويتبرأ منى .. وحملنى مسئولية الزواج من فتاة مدخنة معتبرا ذلك سلوكا مشينا .. ومرددا بحسرة وألم أنه كان يحسبنى رجلا .. لكن يا ألف خسارة !

وهكذا وجدت نفسى فى موقف عصيب زاد من همى بتصرف زوجتى هما جديدا ! لقد أردت بعدم ضرب زوجتى أو تأديبها حين فعلت مافعلت ألا يتطور الأمر بيننا لأنها عصبية وبيننا طفل يرى ويسمع ، وأريد له أن يتربى بين أبوين .. لكن الموقف ازداد تعقيدا بما حدث، فماذا أفعل وأنا رغم حزنى الشديد مماحدث لاأريد أن أهدم بيتى الذى بنيته ولا أريد أن أحرم إبنى من حنان أبويه .. وفى نفس الوقت لا أريد أن أخسر أبى الذى ربانى وعلمنى فأتجاهل رأيه ومشاعره وهو فى هذه السن .. فماذا أفعل هل أطلقها بناء على رغبة أبى لكى أصون رجولتى ، علما بأنى لست متيَّما بها وأستطيع

الاستغناء عنها ، لان زواجى بها لم يكن عن حب جارف وإنما مجرد اعجاب أم ماذا افعل ياسيدى ؟ □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

معظم النار من مستصغر الشرر ! فحين قرأت السطور الأولى من رسالتك تصورت أن مشكلتك الأساسية هى أن زوجتك مدخنة - وهى آفة كريهة فى حد ذاتها - فاذا بهذه المشكلة الصغيرة تقود أسرتك إلى كارثة أشد هولا .. ياإلهى !. ماذا حدث للعلاقات الانسانية ومن أين جئت أنت - فى مواجهة حمقها - بهذا القدر الهائل من ضبط النفس الذى يحسدك عليه حكماء الهنود ! على أية حال .. إن أباك ياصديقى محقٌّ فى حزنه من أجلك وفى ثورته عليك . وصفعته لك - مع تحفظى على تصرفه هذا - هى فى النهاية صفعة حب واعزاز لك .. فقد كَبُرَ عليه أن تسكت على مانالك .. من زوجتك مهما كانت دوافعك .. ورأى فى ذلك تخاذلا لايليق بك لهذا فإنى التمس له العذر تماما وأفهم مشاعره .

ولو لم يكن لك طفل برىء لم يختر أبويه لنصحتك بلا تردد بأن تستجيب لمشورة أبيك ، لكن لأن هناك طفلا بريئا حائرا بينكما فلابد من أن نفكر معا فى أمره وفى سعادته . لذلك فإنى أنصحك بأن تهجرها بغير طلاق فى البداية .. إلى أن تستوعب مافعلت وتدرك هول حمقها واندفاعها . ومع أنى لست من أنصار إشراك الأهل فى المنازعات الزوجية بقدر الإمكان حرصا على ألا تتشعب الخلافات وتتحول إلى جروح غائرة ، إلا أنه فى موقفك بالذات وبسبب إصرار أبيك على طلاقها إثباتا لرجولتك ، فان التصرف المتاح أمامك الآن

هو أن تبلغ زوجتك بوضوح أنك مضطر لأن تنفذ رغبة أبيك بعد أن تعدى الخلاف جدران عشكما .. وأصبحت رجولتك فى الميزان أمام أبيك ،وأصبحت علاقته بك مهددة بالانهيار إذا تجاهلت مشورته ، فإن شاءت ألا تفقدك وأن تفعل كما تفعل الفضليات وتضع سعادة طفلها ومستقبله نصب عينيها فلتردَّ عليك كرامتك ورجولتك اللتين اهتزتا بعنف فى مخيلة أبيك .. ولتقدم لك الترضية الكافية فى حضوره وبمباركته .. بل ولتطلب إليه أن يتوسط لديك لقبول اعتذارها وندمها على ماوقع منها فى لحظة طيش لن تتكرر ، ولتتعهد له ولك بأنها ستجاهد نفسها إلى أن تتخلص من آفتها الكريهة فى أقرب وقت .. ولسوف تهدأ نفس أبيك على الفور وسيجد فى ذلك اعتذارا كافيا وندما خالصا على ماجرى ، وسوف يحثُّك هو متفضلا ومؤثرا مصلحة طفلك الصغير على أن تعودإليها ،لأنه ماثار أصلا إلا حزنا عليك ، ولايرضيه شيء أكثر من أن يطمئن قلبه إلى أنك ستحيا سعيدا موفور الكرامة .

فان فعلت زوجتك ذلك فعد إليها وابدآ معا صفحة جديدة سعيدة بإذن الله ، أما إذا استعظمت هذه الترضية البسيطة ورفضتها ، فسوف يكون ذلك دليلا على انها لم تستوعب درس التجربة بعد ولم تستفد منه ، وفى هذه الحالة وبعد فترة مراجعة أخيرة للنفس تمنحها لها لإنقاذ طفلكما من الضياع لابد مما ليس منه بد .. عسى أن تعلمها مدرسة الأيام المريرة ماعزَّ عليها أن تتعلمه بلا ثمن حين كان كل شيء فى متناول ايدينا فأضعناه بحماقتنا وكبريائنا الكاذبة . ثم بكيناه .. ورجوناه .. وندمنا على ضياعه .. حين لاينفع الندم ! □


مكتبة المهتدين الإسلامية

عشرة العمر

□ أعرف أن قصتى غريبة

ويندر حدوثها لكنها الحقيقة المرة التى أعيشها والتى أريد لنفسى مخرجا منها ، فمنذ ١١ عاما تزوجت من زميل لى عقب تخرجنا معا فى الجامعة وبعد قصة حب عنيفة توَّجها الله بالزواج . ومنذ اليوم الأول من زواجنا كنت لزوجى الحبيب الزوجة والأخت والأم التى تحنو على طفلها المدلل . وكان اتفاقنا منذ البداية هو ان نسرع بالانجاب لان زوجى يحب الأطفال ويتلهف على الإنجاب . وطرت فرحا حين حملت فى عامى الأول من الزواج، لكننى أجهضت بعد قليل دون سبب معروف ، وحاولت أن أكرر الحمل مرة أخرى فلم يأذن الله لى به ولم تنجح جهود الأطباء فى تحقيق أملى وأمل زوجى ، وسلمت أمرى الى من بيده أمر كل شىء . وتفرغت لزوجى ولعملى كمدرسة . وحرصت دائما على أن أجعل من عشى الصغير واحة يستريح فيها زوجى وينعم فيها بحبى وحنانى وطاعتى له فى كل الأمور وسعد زوجى بحياته معى .. وتخلص قلبى من هواجسه بشأن لهفة زوجى على الانجاب .

ثم فوجئت به ذات يوم يفاتحنى برغبته فى أن يتزوج مرة ثانية لكى

ينجب الطفل الذى ينتظره وأنه يريد أن يتزوج الأخرى التى لم يقع اختياره عليها بعد فى نفس شقة الزوجية التى تضمنا معا ، لأنه غير قادر على إيجاد شقة أخرى .. وصعقت حين سمعت ذلك وبكيت حتى جفت دموعى ورفضت بالطبع .. لكنه بعد قليل استطاع أن يقنعنى بقبول المبدأ وبعد فترة أخرى استطاع أن يقنعنى بأن تعيش معنا فى نفس الشقة بسبب ظروفه وبصفة مؤقتة إلى أن يستطيع أن يحل مشكلة الشقة .. ووافقت مرغمة .. ولم يكن لى طلب عنده سوى أن يتعهد لى أمام صديق حميم له بألا يسىء معاملتى بعد زواجه ؟ وجئنا بهذا الصديق ورويت له قصتى والعهد الذى أطالب بأن يشهد عليه ، فاستنكر ذلك وخاطبه قائلا : إذا كانت ظروفك لاتسمح لك بإيجاد شقة أخرى فزوجتك لا ذنب لها فى ذلك ، وليس من الرحمة أن تحمِّلها هذا العناء .. فتنفست الصعداء وزالت الغشاوة عن عينى وتمسكت بألا يتزوج فى شقتى . واتفقنا على أن يبحث عن زوجة لها شقة ليقيم معها بعيدا عنى على أن يعدل بيننا .. فتذكر فتاة تقيم مع والدها ووالدتها فى شقة بمنزل أسرته ولم تتزوج بعد ، وسألنى عن رأيى فيها فشجعته على التقدم لخطبتها . وتقدم إليها فعلا وتمت الخطبة وتزوجها فى شقة أبيها .. وغاب عنى أيام العسل الأولى . فعرفت لأول مرة فى حياتى معنى الألم والإحساس بالقهر والمرارة وأمضيت اليومين الأولين فى الفراش لا أنام ولا أستطيع أن أغادره ..ثم فجأة أنزل الله علىَّ سكينته وقررت أن أواجه الأمر الواقع بهدوء فسألت نفسى : هل اريد الطلاق منه ؟ لا .. ألا أسعد باللحظات التى يعيشها معى وقد قبلت من الأصل مبدأ زواجه لكى ينجب طفلا أنا عاجزة عن

إنجابه نعم، إذن لا معنى للمعاناة والألم وضياع الوقت .. ونهضت فجأة من فراشي وقد تولانى نشاط غريب فقمت بتنظيف الشقة وإعادة ترتيبها وغيرت مواقع بعض قطع الأثاث فيها لتكتسب شكلا جديدا ثم خرجت فاشتريت لنفسى بعض الملابس الجديدة وعدت رتديتها ليعود زوجى فيجدنى فى أجمل صورة . وجاء زوجى بعد ساعات ففوجىء بمنظرى وبشكل البيت وبروحى الودود .. ومرت لحظات الحرج الأولى كما تمر كل لازمات، وعشنا أيامنا بطريقة عادية لا اختلاف فيها سوى أنى تعودت تدريجيا على أن اقضى ليلة وحيدة كل ليلتين وعشنا على هذا الحال فى هدوء .. لكن الزوجة الجديدة لم تحمل بعد عام من زواجها . واكتشف زوجى أن بها عيبا عضويا يمنعها للأسف من الحمل والانجاب .. فطاف بها على الأطباء دون أى أمل فى العلاج، ولم يحتمل حدة طباع أمها التى تقيم معها فطلقها يائسا وعاد للتفرغ لى .. ومضى عام سعيد فى حياتنا قدّرت خلاله أنه قد رضى بنصيبه من الحياة بعد أن جرب الزواج مرة اخرى ولم يكتب له الله الانجاب . لكن تقديرى خاب مرة ثانية فقد بدأ يفكر فى الزواج ورفضت مرة أخرى، وطالبته بأن يتحمل قدره كما اتحمله أنا فى صبر فلم يستجب وصمم على رأيه ، فوافقته على الزواج واتفقنا على أن يتزوج هذه المرة من سيدة سبق لها الانجاب ليتأكد من قدرتها على تحقيق أمله وبدأ يبحث عن زوجة . وكانت لى زميلة بالمدرسة التى أعمل بها أرملة ولها طفلان،واستريح اليها فعرضت عليها أن تتزوجه فدهشت لهذا الطلب الغريب ورفضت مناقشته لكنى ألححت عليها بأن تفكر فيه على مهل .. فوعدتنى إشفاقا علىَّ وبعد أيام سألتها عن

.. ومازلت بها حتى وافقت على الفكرة لكن اهلها هم الذين رفضوا أن تتزوج من رجل له زوجة أخرى .. ثم عرض عليه صديق له أن يتزوج من سيدة مطلقة لها طفل ولها شقة فتقدم لها زوجي ورحب به أهلها واعتبروا ابقاءه عليّ وحرصه على استمراري كزوجة له رغم عدم انجابي دليلا على طيب عنصره . ولأنه سوف يتزوج في شقتها .. فقد قدم لها مهرا قدره ٥ آلاف جنيه مقابل الشقة وتم الزواج وقمت أنا بعمل البوفيه الخاص بالفرح !

وشغلت نفسي خلال أيام العسل كالعادة باعادة ترتيب شقتي وتجميلها وشراء ملابس جديدة ليجدني عند عودته كما يحب أن يراني .

وتحقق أمل زوجي هذه المرة سريعا فقد حملت زوجته من الشهر الأول وفرح بذلك فرحة طاغية ، لكنه للأسف لم يهنأ بفرحته طويلا فقد بدأت زوجته بعد حملها تكلفه مالايطيقه .. وبدأت تطالبه بشقة أخرى غير شقتها .. وبدأت طباعها تسوء معه يوما بعد يوم ، حتى لم يعد يطيق البقاء معها ويعود إلى حزينا . ثم ازداد غضبه منها ومن أسرتها مع تصاعد الخلافات ، فانقطع عن الذهاب إليها نهائيا منذ ثمانية شهور . وأنجبت زوجته مولودها فلم يذهب زوجي لرؤية طفله الذى تلهف عليه طوال السنوات الماضية . واتصلت هي بشقيقه بعد عشرين يوما من الولادة لتبلغه بالخبر فلم يذهب زوجي إليها رغم ذلك ، وأرسل شقيقه نيابة عنه وانقطعت أخبارهم عنه عند هذا الحد .

وحتى الآن لم ير زوجى ابنه .. لهذا فقد ساءت حالته النفسية جدا ،وأصبح يثور لأتفه الاسباب واحتملته وحاولت التخفيف عنه وعاملته كما كنت أعامله منذ زواجى به كزوجة وأخت وأم ولكنه للأسف تغير كثيرا وأصبح جامد المشاعر وفى حالة غريبة من اللامبالاة ،لا يهتم بى إذا بكيت ولايعلق بشىء إذا تصرفت أى تصرف . ولقد حاولت مرارا أن أعيده إلى طبيعته المرحة وإلى شخصيته الحقيقية ففشلت .. وبدأت أفتقد حبه وحنانه . وليت الأمر توقف عند هذا الحد فلقد بدأ زوجى يفكر مرة ثالثة فى الزواج لكى ينجب طفلا يقوم على تربيته بنفسه ،لأنه قرر أن يطلق الأخرى ويشعر أنها سوف تحرمه من ابنه ،وحجته فى ذلك ان « الشرع قال اربعة » وانه لايفعل ما يغضب الله .

لكنى أرفض بشدة هذه المرة أن يتزوج ويكفينى ماعانيته من قبل من زواجه مرتين وماسببه لى من آلام نفسية .. لكن المشكلة أنى فى نفس الوقت لا أطيق الحياة بدونه لأنه عشرة عمرى .. فماذا أفعل .. وماذا أقول له ؟ □

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

قولى له ياسيدتى « لم أرك عدلت » ولا تخشىْ شيئا فلقد قالها من قبل اعرابى جلف لسيد الخلق أجمعين ، وأعدل من حكم بين الناس من البشر ،فلم يبطش به ولم يزد عن أن قال له متعجبا : ومن يعدل إن لم أعدل أنا ؟

أما أن زوجك لم يعدل معك برغبته فى أن يتزوج للمرة الثالثة بعد زواجكما الذى توج قصة حب طويلة ، فهذا أمر لاجدال فيه فاننا حتى لو تفهمنا رغبته فى الزواج من أخرى لكى ينجب .. وفهمنا قبولك بذلك إدراكا لحاجته للانجاب وتمسكا بمن تحبين ولو تعاليت على آلامك .. فلقد تزوج ياسيدتى مرة فلم ينجب وتزوج مرة ثانية فانجب لكنه لم يسعد بمن أنجبت له ولم يتحمس لرؤية طفله الذى كان يتلهف عليه والذى عرَّضك لهذه المحنة من أجله مرتين .. فماذا يريد أكثر من ذلك ؟ ومن يدريه أنه سوف يوفق للانجاب من الثالثة ، وانه لن يشقى بها كما شقى بالأخرى فلا يتلهف لرؤية طفله منها إذا كتب له الله الانجاب مرة ثانية ؟

وأين يجد كل هؤلاء السيدات اللاتى يقبلن به وهو زوج لزوجة محبة ومخلصة ومتفانية فى إسعاده وفى الحرص عليه مثلك ؟ وإلى متى سوف يتوقع منك أن تعارضيه قليلا فى البداية ثم تمنحيه موافقتك راضية أو غير راضية لأنك مغلوبة على أمرك معه !

وإلى متى سوف يتوقع منك أن تنهضى وأنت مذبوحة من الألم لإعداد بوفيه الفرح ثم لإعادة ترتيب الشقة وشراء ملابس جديدة لكى تتجملى فى انتظاره بعد كل زفاف .

إن الحرص على « عشرة العمر » يجب أن يكون متكافئا بين الطرفين وليس من طرف واحد وإلا صار هوانا ومذلة !

فإذا كان من حقه أن يتطلع لانجاب طفل ينشأ بينه وبين زوجته

فإن من حقك بكل تأكيد أن تحجبى عنه موافقتك على الزواج وأن تطالبيه بالانفصال إذا أصر عليه .. ولن تظلميه إذا فعلت ، فلقد أنجب فعلا ويستطيع أن يشبع عاطفة الأبوة فى طفله ولو كان فى حضانةأمه . وأغلب ظنى أنه لو لمس منك قدرة حقيقية على الرفض ومغالبة نفسك على قبول الانفصال عنه لتردد ألف مرة فى أن يضحى بك وبعطائك السخى له من أجل أمل فى علم الغيب ولو أنصف لفعل .. ولرضى بحسن اختيار الله له ولم يعدل به بديلا . أما إن لم يفعل فسوف تكتشفين بعد قليل أنك قادرة على الحياة بعده .. وربما مع غيره . وسوف يكتشف هو أن السعادة كانت بين يديه لكنه أضاعها بتطلع الانسان الدائم إلى ماليس بين يديه ، وآفة الإنسان الشرَه ! .

أما حجة « ان الشرع قد قال أربعة » هذه فهى حجة يرددها كثيرون بغيرفهم ، ويعطون بها انطباعا خاطئا يسيئون به الى الشرع حين يصورون الأمر وكأن الأصل هو تعدد الزوجات والاستثناء هو الاكتفاء بواحدة ! فى حين أن تعدد الزوجات « رخصة » وليس « دعوة » إلى الزواج بأكثر من واحدة أو أمرا بذلك . وليرجع من يفتون بغير علم إلى كتب الفقه ليتأكدوا من ذلك ، وأقربها مثالا لمن يريد ، كتاب فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق الذى يقول فى ص ٢٥٠ من الجزء الثانى ان : « تعدد الزوجات ليس واجبا ولا مندوبا » أى ليس واجبا ولا مستحبا ، إذ أن عبارة الأمر المندوب فى الشرع هى : الأمر المستحب (المعجم الوسيط ص ٩٤٦) .

وليرجعوا أيضا إلى كتاب « بيان إلى الناس من الأزهر الشريف » الذى يقول بالنص فى ص ٢٣٠ الجزء الثانى : « انه ليس أمرا واجبا بل مباحا يتوقف على حاجة الرجل إليه وقدرته عليه » .

كل ذلك بالاضافة إلى تقييده بشرط العدل الذى يضيق دائرته إلى أقصى الحدود ، وبحق الزوجة فى أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها وبحقها فى طلب الانفصال عنه إذا فعل .

فما هى إذن حاجة زوجك الى الزواج للمرة الثالثة بعدك ؟ □

دموع الصمت !

□ اكتب إليك ياسيدى ..

لأسألك هل صحيح انه لايليق بالرجل إذا كبر وتزوج وأنجب ورأس موظفين وموظفات أن يبكى كلما غلبته مشاعره ؟ ولكى أعينك على أن تفتينى بالرأى السليم سأشرح لك ظروفى .

فأقول لك اننى تفتحت للحياة فوجدت نفسى يتيم الأب أعيش مع أمى وأختين فى إحدى المدن الصغيرة ، يرعانا خالى الذى يقيم فى البيت المجاور لنا وأخ أكبر يعمل موظفا فى القاهرة ولايزورنا إلا فى الأجازات الصيفية . ورغم غيابه عنا فلقد كان نجم العائلة الذى لا تُرد كلمته فى شأن من الشئون ، والمثل الأعلى لى ولشقيقتى الإثنتين . أما عند خالى فقد كان « الأستاذ » الذى أنهى تعليمه واغترب وتوظف .. واستحق احترام الآخرين . ولم يكن لأخى الأكبر دور يذكر فى المسئولية المادية عنا فلقد كنا نعيش على معاش أبى وريع قطعة أرض صغيرة . ولم يقلل ذلك من حبنا واحترامنا له لأننا نشأنا على احترام الكبير مهما كان وضعه بيننا ، وكانت ظروف حياتنا تضطرنا إلى التقشف الشديد وتحرمنى من كثير مماأحتاجه ، فكنت أحتمل ظروفى

بصبر .. وكنت أقضى العام الدراسى كله ببنطلون واحد وقميص واحد ، وأقضى الشتاء ببلوفر أثرى قديم . وحين بلغت المرحلة الثانوية ونما جسمى أصبحت أرتدى ملابس أخى القديمة مهما كان حجمها ، واتحمل سخرية السفهاء من زملائى حين يرون « الجاكتة » التى أرتديها تتدلى تحت ركبتى . وهكذا عشت حياتى حتى حصلت على الثانوية العامة ، وآن الأوان للالتحاق بالجامعة فى العاصمة . وكان أخى عزْبا لم يتزوج وقد تحسنت ظروفه المالية وأصبح يركب سيارة صغيرة ، فبت أحلم باليوم الذى سأنتقل فيه للإقامة معه فى شقته وأعيش حياته الراقية ، ففوجئت بمجلس العائلة يجتمع ويبلغنى بأن علىَّ أن أبحث لنفسى عن سكن بجوار الكلية التى سألتحق بها لأن شقة أخى لن تتسع لى بحجة انها بعيدة عن الكلية . وفهمت أن أخى لايريدنى أن أقيم معه لأسباب قدَّرها هو ، ولم اعترض لكنى أحسست بشىء من المرارة. وشددت الرحال إلى المدينة الواسعة وطفت بشوارعها بحثا عن سكن حتى عثرت على جحر فى بيت خرب بلا مياه ولا كهرباء واتفقت مع اثنين من زملائى على الإقامة فيه واقتسام إيجارها وتكاليف المعيشة فيها ، وبدأت حياتى الجامعية وكلى أمل وتفاؤل وواجهت حياة الغربة وحيدا فى المدينة الكبيرة .

وبعد اسبوع توجهت لزيارة شقيقى فى مسكنه الراقى لأقضى معه يوم الجمعة وأتمتع بدخول الحمام وتناول وجبة طعام شهية ، فاستقبلنى بفتور وطلب منى عدم زيارته لأن اصدقاءه يزورونه باستمرار وهو لايريدنى أن أختلط بهم حتى لا أنصرف عن دراستى !

وفهمت أنى غير مرغوب فى ظهورى فى عالمه الخاص ، وتألمت داخلى ومع ذلك لم أفقد حبى أو احترامى له .

وعدت إلى الشقة مهموما ، وسألنى شريكاى عما فعلت مع أخى وماذا أكلت عنده ، فرويت لهما قصة خيالية عن فرحته بى حين رآنى وكيف عانقنى وكيف تغذّينا طعاما شهيا وكيف قدمنى لأصدقائه من كبار الموظفين . لكن القصة لم تنطل على أقربهما منى فانتهز فرصة غياب شريكنا الثالث فى المطبخ وسألنى عما بى .. فلم أستطع أن أمنع دموعى وأنا أروى له القصة الحقيقية .. ومنذ ذلك اليوم لم أزر شقيقى فى مسكنه حتى تخرجت. وكان هو خلال سنوات الدراسة يزورنى مرة كل شهرين فيأتى بسيارته ويتركها فى أول الحارة .. ثم يدخل متأففا من رائحة المجارى التى تنبعث من البيت والشقة ، ويرفض شرب الشاى ويمضى معنا عدة دقائق يسألنا خلالها عن دراستنا كأنه ناظر يفتش فصلا ويسأل تلاميذه عن دروسهم .. ثم ينصرف مودعا منا بالإجلال والإكبار . وعلى هذا الحال مضت حياتى حتى تخرجت وبيعت قطعة الأرض الصغيرة لاتمام زواج شقيقتى .. واحتفظ خالى بما تبقى من ثمنها ليوزعه بالعدل بينى وبين شقيقى عند زواجنا وبدأت أبحث عن عمل .

وبعد شهور جاءنى خطاب القوى العاملة وعملت بإحدى المؤسسات ، وعمل زميلاى فى الشقة المتواضعة ، فقررنا أن نبحث عن شقة أفضل نسبيا ،وتمكنا بعد شهور من الانتقال إلى شقة بها ماء

وكهرباء وخرجنا إلى سطح الأرض من الجحر الذى عشنا فيه ٦ سنوات .

وكنت فى عامى الأخير بالكلية قد ارتبطت بزميلة لى ظللت عامين طويلين أنظر إليها فى صمت وأرجوها لنفسى بغير أن أجرؤ على مفاتحتها بمشاعرى ، إلى أن بادرتنى هى فى العام الثالث وشجعتنى على مصارحتها وتعاهدنا على الزواج وتركزت أحلامى حولها ، فخففت عنى كثيرا من متاعب حياتى . وبعد أن عملت بدأت تطالبنى بالتقدم لخطبتها ونظرت فوجدت نفسى شابا فى الرابعة والعشرين وأعمل .. فلماذا لا أتجرأ على مفاتحة أهلى فى أمر زواجى الذى لن يتم قبل أعوام وحدثت أمى وخالى وشقيقتى فرحبوا جميعا .

ثم جاءت المهمة الصعبة وهى نيل موافقة أخى الكبير الذى لن تتم خطوة بغيره ، فكتبت له رسالة طويلة وطلبت منه فى نهايتها مباركته لمشروع زواجى . وكان حرجى الوحيد فى الأمر هو أنه كان قد بلغ الثامنة والثلاثين ولم يتزوج ، لأنه يؤمن بأن الانسان لايصح له ان يتزوج إلا بعد أن « يكوِّن » نفسه ويقيم بنيانه كاملا . وتركت الرسالة له فى صندوق بريده وانتظرت أياما فى قلق بالغ أن يفاجئنى بزيارته ويحاسبنى حساب الملكين قبل أن يعلن موافقته لكن الأيام مضت ولم يزرنى .

ثم فوجئت به يدعونى لمقابلته فى شقته فذهبت إليه وجلست مترقبا ما سيقول فاذا به يفاتحنى بانه قد قرر ان يتزوج لان العمر قد تأخر به وانه سوف يحتاج إلى كل مابقى من ثمن الأرض لأنه سيتزوج فتاة من

أسرة كبيرة ويطلب « رأيى » فى ذلك .. فأحسست بغصة فى حلقى وكتمت مشاعرى ولم أستطع إلا أن أقول له : ألف مبروك ، وفهمت الإشارة بغير حاجة لشرح طويل .. انه يقول لى اصرف نظرا عن موضوع الزواج وسأتزوج أنا بدلا منك ولن تنال شيئا من النقود قبل ٥ أو ٦ سنوات وإن شئت فلن أعطيك منها شيئا لأنى استحق نصيبك بما ساعدت به الأسرة خلال فترة تعليمك .

وعدت إلى مسكنى مهزوما .. واتصلت بى فتاتى تتعجلنى فابلغتها عجزى وأحللتها من عهدها معى .. فتركتنى ساخطة وتزوج أخى سيدة مطلقة ولها بنت ومن أسرة ثرية . وبالغ فى الإنفاق على الزواج ليظهر فى مستوى لائق بأسرتها ، ولم أشك أنا لأحد وواصلت حياتى البسيطة .. وبعد عامين تزوج شريكا السَكن وغادرا الشقة وبقيت فيها أعانى متاعب الوحدة وحياة الغربة . وأنجب أخى طفلة وطفلا وسافر عدة سنوات ثم عاد ، وبلغت أنا الثانية والثلاثين وثقلت على حياة الوحدة . وشكوت لأمى متاعبى وطالبتها بأن تبحث لى عن فتاة مناسبة ترضى بإمكاناتى المحدودة وشقتى المتواضعة . كنت فى حالة يأس من كل شيء فأردت أن أتزوج من أى انسانة تقبل بى وفى حدود مدخراتى الصغيرة وشجع أخى هذا الاتجاه وطالبنى بان أتزوج فتاة من أسرة بسيطة لكى تقنع بالحياة معى ، لأن زوجته الثرية قد استنزفت ماله بانفاقها وإسرافها مع حرصها الشديد على ألا تنفق قرشا من مالها بحجة أن ابنتها أحقُّ به !

وتزوجت بلا حب من فتاة من معارف الأسرة ، وبدأت حياتى

معها راضيا بنصيبى من الدنيا وعرفت الاستقرار لأول مرة بعد ١٤ عاما من الوحدة والاغتراب .

وبدأ أخى يزورنى فى شقتى المتواضعة كثيرا ويمضى معى الأمسيات ويرحب بدعوتى له للعشاء ، وبدأ يصارحنى بمتاعبه مع زوجته وأنانيتها وكبريائها وثوراتها العصبية المستمرة . وقال لى ذات مرة انه لايحس بالراحة الحقيقية إلا فى بيتى البسيط هذا ، وانه كان يتمنى لو تزوج من أول فتاة أحبها وعاش معها حياة سعيدة بسيطة كحياتى .. ووجدت الدموع تنهمر من عينى وهو يرقبنى بدهشة ! .

فشقيقى يشكو لى من زوجته الثرية التى لم يسعد معها والتى حرمنى بسببها من الارتباط بمن أحببتها ، وحكم على بأن أتزوج ممن لم أحبها .. ولم أستطع أن أحبها لجفاء طبعها وجمودها وفتورها ، وإن كنت أتحمل حياتى معها راضيا . وبدلا من أن أنقم عليه وجدت نفسى تفيض عطفا واشفاقا عليه ، وهو الذى لم يشعرنى يوما بأى عطف على ، وأصبحت أكثر من السؤال عنه ومن دعوته لزيارتى .. وازوره للاطمئنان عليه وأتحمل كبرياء زوجته وأنفتها من أجله ، بل ولا أشكو من ذلك لأحد حتى لزوجتى . وسافرت فى مهمة عمل إلى الخارج فحرصت على أن أعود محملا بالهدايا له ولزوجته ولابنتها بالرغم من أنه قضى فى الخارج ٤ سنوات ولم يفكر فى إهدائى شيئا .

ولم انقطع عن زيارته حتى بعد أن أهانت زوجته زوجتى ذات مرة بلا سبب ، وخاصمت كل منهما الأخرى للأبد . ثم جاءتنى فرصة للعمل فى الخارج فشجعنى أخى على قبولها وسافرت لمدة ٣

أعوام عدت بعدها وقد جمعت مدخرات بسيطة ، لكن الله بارك فيها فزادت ونمت ، فقد عرض على أبناء خالى أن أشترى بيتهم المتهدم بعد أن هجروه لأنهم فى حاجة إلى ثمنه للزواج، فاشتريته رغبة فى مساعدتهم وبأعلى سعر قدره أصحاب الخبرة ، فلم تمض سنوات حتى تضاعفت قيمته وجاءنى من اشتراه بعشرة أمثال سعره .. واستقرت أحوالى المادية والحمد لله وكبر ابنائى وترقيت فى عملى ، وإن كانت زوجتى قد بقيت على فتور مشاعرها وجمودها وخصامها لى بسبب وبغير سبب ، وانتظارها منى دائما أن أبدأها أنا بالصلح بحجة أننى الرجل .. وأن الرجل هو الذى لابد أن يبدأ . ثم فوجئت ذات يوم بفتاتى الأولى تزورنى فى مكتبى وقد ازدادت جمالا على جمالها القديم ، وشكت لى من أن زوجها قد هاجر منذ ٦ سنوات إلى أمريكا ويرفض اصطحابها معه .. ولايزورها إلا لمدة ٣ أسابيع كل سنة، وانها تتحمل وحدها مسئولية تربية ولدها وطفلتها ، فتدفق الينبوع القديم فى داخلى لكننى أوقفته عند حده ، ولم أستجب لها حين دعتنى بعد ذلك الى إحياء حبنا القديم ، وقلت لنفسى ان زمن المغامرات قدانقضى، وما أنا بقادر على أن أتخلى عن التزاماتى تجاه أولادى وأتزوجها ، ولا أنا أستطيع أن أتقبل الخيانة .. أو أحرِّض زوجة عليها مهما كنت راغبا فيها ، فصمدت لمشاعرى القديمة ورفضت مجاراتها فى رغبتها أن تحصل على الطلاق للهجر وتتزوجنى مع بقائى مع زوجتى .. واقنعتها بالرضا بحياتها من أجل أولادها .. وتحملت أنا هذه العاصفة الداخلية وحدى ، ولم أصارح أحدا بها حتى الآن فانعكست على سلوكى واكتئابى .

ثم زرت أخى ذات يوم بغير موعد سابق ففوجئت بأصوات عالية صادرة من شقته فدخلت منزعجا ، فإذا بزوجته فى إحدى ثوراتها تنهال على أخى بكلمات قارصة مهينة أمامى . وعزَّ على أن أرى مثلى الأعلى يتعرض للإهانة فهتفت بها أن تحافظ على كرامته أمام اخيه الأصغر .. فاذا بها تواصل انفجاراتها لاعنة الأكبر والأصغر على السواء فصفعها أخى .. وازدادت هى هياجا وكانت فضيحة رقدت بعدها يومين مريضا بسبب انفعالى ، وغبت عن العمل وامتنعت بعدها عن زيارته فى بيته ولم أبح لزوجتى بما حدث وكتمته فى صدرى .

ويبدو ياسيدى أن المصائب لاتأتى فرادى كما يقول المثل العربى .. فبعدها بأيام افتعلت زوجتى أزمة جديدة بلا أى سبب وهجرت البيت إلى بيت أبيها .. فتحملت وحدى رعاية الولدين لمدة أسبوعين حتى طاوعتنى نفسى على الذهاب إليها وأعدتها .. فعادت ، وعدت وأنا أحس أننا نتقدم معا فى طريق مسدود ! ورغم ذلك لا أشكو منها ولم أشك منها أبدا حتى لأحد من أهلى أو أصدقائى . وبعد هذه الأزمة بأيام أصبت باغماء فى العمل واستدعوا لى الطبيب فاكتشف اصابتى بمرض السكر .. ولم انزعج لذلك كثيرا لأنى مؤمن بالله وبدأت العلاج والالتزام بنظام غذائى معين . وبعد عدة أسابيع لاحظت عدم قدرتى على تحمل أى جهد ، فعدت للطبيب الذى أجرى لى فحوصا عديدة وانتهى الى أنه قد طاف بى طائف آخر من مرض جديد يتطلب نظاما غذائيا أكثر قسوه ويحرمنى من معظم أنواع الأطعمة ومن أشياء أخرى كثيرة ، فتقبلت قضائى أيضا صابرا

وراضيا، ولم أصارح أحداً بمرضى الجديد. وأصبح طعامى الآن أقل رفاهية حتى من طعامى أيام التقشف والحرمان .. فكأنى بالحرمان بدأت .. وإلى الحرمان الأشد أعود، مع الحرص الشديد على عدم إجهاد نفسى رعاية للمرض الحديث الذى أرجو ألا تشير إليه .. والحمد لله من قبل ومن بعد .

وأنا الآن ياسيدى لا أشكو لك مرضى ولاحرمانى ولا افتقادى للدفء العاطفى فى حياتى الزوجية، لكننى أشكو لك شيئا آخر هو أنى قد أصبحت كثير البكاء رغم أنى بلغت الخامسة والأربعين من العمر وزوج وأب ورئيس عمل لا افتقد الحزم وحسن الادارة فى عملى .

فاذا مازارنى أخى الأكبر ذات مساء ولاحظت عليه سهومه واكتئابه وشكا لى من حياته، سالت دموعى لفترة طويلة حتى أصبح هو يتجنب أن يحدثنى عن متاعبه .

وإذا زارتنى شقيقتاى أو زرتهما قابلتهما بالدموع تسحُّ منى كأنى طفل غرير، وإذا شكت لى إحداهما من زوجها جاوبتها دموعى قبل أن يجيبها عقلى وحكمتى، وإذا علمت أن أمى مريضة بكيت طويلا أمام ولدى الصغيرين .

وإذا شاهدت موقفا فى تمثيلية تليفزيونية يقسو فيه أخ على أخيه أو يتخاصمان ثم يصطلحان أبكى بغزارة، حتى أصبحت أتجنب رؤية معظم التمثيليات . وفى معظم الليالى أجلس وحيدا فى شرفتى وأتذكر بعض مشاهد حياتى فأجد الدموع تنساب منى بلا وعى . وزاد من المشكلة أن زوجتى لا تحترم دموعى .. فهى إما أن تسخر منى

فأحس بالخجل والضيق .. وإما أن تثور على وتتهمنى بأنى غير راض عن حياتى معها وأحب غيرها وأريد التخلص منها .. وقد تؤلمنى بعبارة أو اخرى من نوع « ماتروح تتجوزها وتريحنى » فأقول لنفسى صامتا أين المفر .. من هذا الكرب فى داخلى وحولى ؟

اننى أسألك هل بكائى هذا حالة طبيعية أم انه عرض لمرض نفسى علىَّ أن أبدأ بعلاجه .. وهل هو عيب حقا أن يبكى الرجل كما تقول لى زوجتى .. وماذا أفعل لكى أعيش فى سلام .. وأنا أحترم الجميع وأحب الجميع وأتحمل حتى الاساءة من أقرب الناس إلى بلا شكوى .. ودائما أحرص على مجاملة أهلى وأقاربى وأصدقائى حتى ولو لم يجاملونى ! هل عندك تفسير لحالتى هذه ؟ □

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

ليس أقسى على الإنسان من فجيعته فى نفسه وفى أحلامه ، وأنت ياصديقى قد سُلبت منك أحلامك ولم تكافح جدِّيا للدفاع عنها ، وأحسست دائما أنك لاتنال من الآخرين بقدر ماتعطيهم .

ولأنك من أصحاب المثل العليا الذين يلتزمون بالسلوك القويم فى حياتهم وينفرون من الخطأ والإثم والرذيلة ويتوقون دائما إلى النقاء والبراءة والحق والخير ، فأنت لاتستطيع إلا أن تمضى فى طريقك كما أنت ، ولاتستطيع أن تفكر فى سعادتك الخاصة على حساب تعاسة ولديك وزوجتك ، ولاتستطيع أن تعامل من قسا عليك بمثل ماكنت تتمنى أن تعامله به .

ومشكلة أمثالك هى أنهم بقدر حرصهم على ألا يجرحوا مشاعر الآخرين، فإنهم يتألمون لأية إساءة تنالهم منهم ، ويتوقعون دائما أن يحرص عليهم الآخرون كما يحرصون هم عليهم ،.لهذا تتأذى نفوسهم من أى لفتة عابرة قد لاتؤذى غيرهم ، ويميلون عادة إلى كتمان انفعالاتهم ومشاعرهم كما تفعل أنت، فتتحول آلامهم العابرة إلى ضغوط نفسية تثقل على عقلهم الواعى فيحاول أن يتخلص منها بإسقاطها إلى دائرة اللاوعى .. فتستقر فيه حينا ، ثم تعود للظهور فى أشكال مختلفة .. كنوبة بكاء بلا سبب مباشر يستحق البكاء .. أو فى إحساس بالاكتئاب والضيق بلا سبب مفهوم .. أو فى مرض عضوى ليست له أسباب واضحة أو غيرها من الأشكال .

وفى ظنى أن استشعارك لقسوة أخيك القديمة عليك ووقوفه فى طريق تحقيق حلم زواجك ممن أحببتها، مازال عاملا مؤثرا فى شخصيتك وفى علاقتك به حتى الآن . ذلك أنك حين أصبحت قادرا على أن تحمى نفسك من ظلمه لك وعلى معاملته معاملة الند للند ، فوجئت بهذا الصرح الكبير فى خيالك يتحول إلى شخص لايستحق إلا رثاءك له . وتحولت رغبتك الداخلية فى الانتصاف لنفسك منه إلى إشفاق عليه وإلى ضغط آخر يضاف إلى ضغوطك الأخرى ، فكأنما كان عبئا نفسيا عليك فى سطوته وبطشه وعبئا مماثلا فى ضعفه وتعاسته ، فحاول أن تصفح عما فعل بك صفحا حقيقيا كما صفحت دائما عن كل من آذوك .. لأنك فى حقيقة الأمر لم تغفر له

فى أعماقك قسوته الماضية عليك .. ولست ألومك فى ذلك، لكننى أطالبك فقط بألا تسمح للمرارة منه بأن تعشش داخلك للأبد .. ولعل فى حالتك هذه ما يدعو الآخرين إلى أن يرحموا ضعفاءهم من مثل هذه القسوة التى تحفر آثارها فى شخصية الانسان إلى آخر العمر .

فالقسوة ليست فقط هى القسوة الجسدية وإنما هناك نوع أشد ضراوة هو القسوة العقلية أو الذهنية التى يؤلم فيها الإنسان الآخرين بتصرفاته معهم وبأنانيته بغير أن يمد إليهم يدا بالإيذاء أو يكويهم بالنار . والمحاكم الامريكية على سبيل المثال تعتبر القسوة العقلية مبررا كافيا للطلاق وتحكم به بمقتضاها .. فلماذا نعذِّب الآخرين وفى أيدينا اذا احتكمنا إلى العدل والضمائر أن ندعهم يعيشون حياتهم سعداء وأن نحيا نحن أيضا إلى جوارهم سعداء ؟ .

إن نصيحتى الوحيدة لك بعد ذلك هى ألا تكتم مشاعرك داخلك وحدك .

فالنفس إناء إذا ضاق بما فيه انفجر ، وأنت اعتدت إن تختزن آلامك وتضيف إليها آلام غيرك ، فتعلَّم أن تشرك الآخرين معك فى آلامك وأن تشكو لمن تصطفيهم منهم مما يثقل على صدرك .. بل وتعلّم أن تشكو لأخيك أيضا كما يشكو لك هو، بل ولا مانع من أن تعاتبه عما بدر منه تجاهك فى الزمان الأول لتصفو نفسك تماما من المرارة وتخلُص مشاعرك له تماما ، فأيسر على النفس أن تبدى رأيك

فيما لاتقبله من أن تتكتمه ثم تخلو إلى نفسك فتجتره وحيدا وتزداد وطأته عليك .

أما دموعك فلا عيب فيها .. فهى تنفيس عن كل الآمك ومعاناتك ، وهى دموع الصمت التى تعبر عما لاينطق به لسانك .

وأنت ياصديقى لديك مخزون من الذكريات المؤلمة والاحباطات تساعد حساسيتك المفرطة على استرجاعها فى كل حين ، فتطلق ينابيع عينيك معبِّرة عن رثائك لنفسك والآخرين .. فلا تخجل من دموعك .. فإنما يبكى أصحاب النفوس الشفيفة التى لم تحجِّرها ضغوط الحياة ومازلت تهفو لعالم لايتألم فيه الإنسان .. ولايقسو فيه أحد على أحد .. فابك إذا أردت حتى تشتفى .. وانهر زوجتك إذا سخرت منك ، وادع لها الله أن يمنحها بعض رقتك وحساسيتك وشمائلك الطيبة الخيرة ، وطمئنها إلى أن مثلك لايختار سعادته على حساب سعادة غيره ، لأن نفسه قد طُبعت على التضحية لاسعاد الآخرين .. حتى ولو شقى بهم .. أما عن مرضك الآخر .. فهو ليس مستعصى الشفاء ، وهو فى رأيى ليس أخطر أدوائك ، فكتمانك لمشاعرك وآلامك دائما قد يعرِّضك إذا استمر لما هو أقسى منه لاقدر الله.. فانج بنفسك ياسيدى من شبح الاكتئاب وتلفت حولك تجد فى ولديك وفى بعض وجوه حياتك الأخرى مايمسح عنك آلامك واسعد بما أتيح لك من أسباب ، فليس أحقُّ بالسعادة ممن عرف الشقاء .. وليس أحقُّ براحة القلب والنفس ممن لايتمنى للآخرين إلا كل هناء مثلك .. مع تمنياتى لك بالصحة وسعادة القلب والروح معا بإذن الله □ .

الـوتـر المـشـدود

ترددت قليلا فى نشر هذه الرسالة لأنى لاأنشر عادة مثيلاتها من الرسائل .. لكنى وجدت فيها بعض ما قد يفيدنا الاطلاع عليه من احـوال النـفس البشرية ، فتغلبت على ترددى ورأيت ألا أحبسها فى صدرى وحدى .

□ سيدى .. أريد أن أسألك سؤالا يلح على ..

لماذا لا يقبل الرجل « الشرقى » أن يطلق زوجته وقد عرف وتأكد أن هناك رجلا آخر قد ملك عليها قلبها ؟ ولماذا يصر الرجل الشرقى على عدم طلاق زوجته بعد أن طلبت منه ذلك وتوسلت اليه إلى حدٍّ أن أخبرته بأن هناك رجلا آخر فى قلبها ؟ لماذا ؟ .

اننى بكل أسف هذا الرجل الشرقى .. وهذا السؤال المحرج أوجهه إلى نفسى كل يوم ولا أستطيع الاجابة عنه . لهذا أردت أن أشركك معى فيه . ولنبدأ القصة من البداية .. كلانا أنا وهى من حملة المؤهلات المتوسطة ونعيش فى إحدى عواصم الاقاليم وقد تمت خطبتنا عن طريق المعارف ، ثم عقدنا القران لنستفيد ببعض المزايا التى تتيحها لنا قسيمة الزواج كقطن التنجيد وحجز الشقة الشعبية

وخلافه . وكان علينا أن ننتظر سنوات حتى يتم الحصول على الشقة وتجهيزها للزواج .. وبعد عقد القران بعام تم تعيين زوجتى على الورق فى مؤسسة كبيرة بنفس المدينة التى نقيم فيها .. وكنت أنا أعمل فى مؤسسة أخرى . وبعد عدة شهور من تعيينها حدث الحدث الذى كنت أظن أنه لايحدث إلا فى الافلام فقط ، إذ من بين خمسمائة آنسة وسيدة يعملن تحت رئاسة مدير شاب وسيم تعلم فى الخارج ويشهد له الجميع بالاستقامة والأمانة وطهارة اليد وتتمناه أية امرأة .. من بين كل هؤلاء السيدات والآنسات وقع هذا المدير فى غرام السيدة التى حملت اسمى بعد عقد قرانى بها ، ولم يُرِد ولم يتمنى غيرها ، وبادلته هي حبا بحب وبجنون ، حتى اصبحا حديث المؤسسة كلها . ثم بلغتنى الأخبار . وتمزقت بالإحساس بالعار والحنق والغيظ .. وبعد تردد قصير واجهتها بما سمعت فلم تنكر ، وإنما طلبت منى الطلاق فى هدوء ، لأن قلبها ليس معى ولن يكون لى أبدا ، ولأنها كما قالت لن تحب أحدا إلا هذا المدير حتى اللحظة الأخيرة فى عمرها .. وصعقت واستعديت عليها أهلها وحاصرتها بهم ، وتعجلت إتمام الزواج لكى أضعها فى موقف لاتستطيع فيه أن تتزوج من مديرها .. وتم الزواج فعلا ومر على زواجنا الآن ست سنوات أنجبنا خلالها طفلين . وطوال هذه السنوات لم أكسب قلبها أبدا حتى هذه اللحظة ، وطوال هذه السنوات كان لى جسمها فقط أما قلبها فلم يكن لى ولن يكون لأنى أعرف عن يقين أنهما مازالا على عهدهما من الحب العفيف ، ولا أستطيع أن أدينها بأى خطأ فى حقى أو فى حق الدين أو المجتمع .. والكارثة أنها رغم الطفلين ورغم كل هذه السنوات مازالت تأمل فى

أن أطلقها ، ومازال مديرها ينتظرها ولم يتزوج حتى الآن . وأنا أحس بها تتعذب وتكتم وتتألم وتعطيني من نفسها فى حسرة وألم ، ثم أجدها تبكى وحدها بالساعات ، وأسمعها تنتحب حتى وهى تصلى ، فأحس أحيانا بأنى أريد أن أسرِّحها باحسان ، خاصة وقد أخبرتنى بكل شىء قبل الزفاف .. وفى أحيان أخرى أحس بأنى أريد أن اقتلها هى ومديرها الولهان ، ثم أفكر فى أطفالى فأطرد هذه الفكرة عن خاطرى .. وبين هذا الإحساس وذاك مضت حياتى معها ومازالت حتى الآن .. اننى لا أحبها جدا أو للدرجة التى تجعلنى أتحمل هذا العذاب ، لكنى أتمسك بها إغاظة لها ولمديرها الذى أعجب من أمره ، وأريد أن أدفع نصف عمرى لو أعرف منه فقط ماهو الشىء المميز والفريد الذى وجده فيها ولم يجده فى غيرها ويجعله يتمسك بها الى هذا الحد ! أننى أكاد أجن أو أرتكب حماقة أندم عليها ، فقد كنت أظن أن كليهما سينسى هذا الحب بعد الزواج أو بمجرد إنجابها وانشغالها بالأطفال وبشئون الحياة . لكنى اكتشفت أنى كنت واهما فحرمانهما من بعضهما قد زادهما جنونا وتعلقا ، وهى تعرف أنى أعرف أنها مازالت تتمنى أن أطلقها لكى تتزوج منه ، ولم تكفَّ طوال السنوات الماضية عن مطالبتى بطلاقها .. إلا حين هددتها بأنى سأقتل مديرها إذا لم تكف عن طلب الطلاق .. فصدقتنى .. وكفَّت فعلا .لكنها راحت تذبل وتذوى منذ أدركت أنى لن أعطيها حريتها أبدا وتستسلم لنوبات طويلة من البكاء خفية عنى .. وتحاول ألا تظهر أمامى شيئا من ذلك لكنى أعرف .. وأعرف أن قلبها لم يكن لى ولن يكون .. وأفهم كل شىء فماذا افعل ؟ ☐ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

انك لم تغظها وحدها وإنما اغظتنى أنا ايضا برسالتك هذه وبمنطقك العجيب فيها ؟

فلقد تعاملت ياسيدى مع مشكلتك منذ البداية بمنطق الرجل الذى يقول عنه الانجليز فى أمثالهم أنه أراد يوما أن يغيظ زوجته فقطع أذنيه لكى تعايرها الزوجات بأن زوجها بلا أذنين !! فآذى نفسه أشد الأذى ولم يغظ فى النهاية إلا نفسه !

والحق انك قد تفوقت على هذا الرجل فى عناده ، فلم تدمر نفسك معنويا وانسانيا فقط ، وإنما دمرت معك هذه السيدة التى مهما كان خطؤها أو خطيئتها قبل الزفاف ، فلقد اعترفت لك بها منذ البداية ، وطالبتك بتسريحها باحسان وأكدت لك أنها لن تكون لك أبدا لأن قلبها رهينة عند غيرك إلى آخر نفس فى صدرها . ورغم بشاعة تصرفك حين حاصرتها بالأهل لكى تجبرها على اتمام الزواج ، فانك لم تكتف بذلك وإنما ارتكبت جريمة أشد نكراً هى إنجابك لطفلين من أم خَبِرت بنفسك حقيقة مشاعرها تجاهك ،وتأكدت من أنها لن تكون لك ذات يوم .. فكيف رضيت لنفسك هذا الهوان ؟

لقد أخطأت زوجتك بارتباطها عاطفيا بغيرك وهى مرتبطة معك بعهد الوفاء ، وأجرمت فى حق نفسها حين ضعفت عندما حاصرتها لاتمام الزواج ، ولم تصمد للعاصفة وتتمسك بالانفصال مهما كانت العواقب إبراءً لذمتها من الارتباط بك وقلبها لغيرك . وأجرمت معك

بانجابها هذين الطفلين وهى على يقين من آمر نفسها، ومازالت تتعلق بالأمل حتى اليوم فى غيرك .. أخطأت زوجتك لاشك فى كل ذلك لكن فى أى دين أو عرف أو منطق يكون عقاب خائنة العهد هو تهديدها بالأهل لإتمام الزفاف وتوريطها فيه ؟ أهكذا يتصرف الرجال شرقيين كانوا أم غربيين ؟ لاياسيدى لاتظلم الدماء الشرقية بهذا الافتراء .. فلقد استمع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى شكوى زوجة من أنها لاتحب زوجها ولاتطيق رؤياه وتخشى على نفسها من الفتنة ، فأمرها الرسول بأن ترد عليه ما أخذت منه ، وأمر زوجها بأن يطلقها ويتزوج غيرها رعاية لحقه وكرامته وحفاظا عليها من الزلل .

هذه هى الشرقية الحقيقية المستهدية بقيم الدين والعرف والرجولة والفروسية ، وليست مافعلت .. فإمساك الزوجة الكارهة على غير إرادتها أو تركها معلقة لسنوات طويلة فى نزاعات المحاكم لمجرد حرمانها من الزواج بآخر ،ليس سوى حضٍّ لها على الخطيئة والانحراف ، وهى مازالت تحمل إسم الزوج الذى يمسكها أو يراوغ لتركها معلقة .. ثم يسمى البعض هذا التصرف انتقاما ! فأى انتقام هذا ؟ إنه انتقام قاطع أذنيه وليس انتقام الرجال .. فعقاب خائنة العهد الحقيقى هو إخراجها من حياة من لم تحفظ عهده ، ومغالبة النفس للتخلص من أية مشاعر تجاهها ، ثم التطلع لحياة جديدة مع غيرها بعد أن تبرأ النفس من جراحها .. ويتكفل الزمن بمداواتها .

أما ماغير ذلك فليس انتقاما إلا من النفس .. ولا عقابا إلا لها ..

فأى عقاب للنفس أقسى من أن يرضى لها المرء بمعايشة هذا الجحيم وتجرُّعه يوما بعد يوم .. وفى مقدوره أن يعفى نفسه منه لو تعالى على آلامه وقرر مواجهة نفسه بدلا من مراوغتها ، وسلم بأن ماجرى له هو محنة شخصية قد يصادفها أى إنسان سيىء الحظ فى حياته ، وأنها لاتنال من احترامه عند الآخرين إلا إذا تمسك بمن لاتريد العيش معه وتستميت للانفصال عنه .

وأما ماعدا ذلك فحكم جرت به المقادير .. وليس علينا سوى التعامل معه بما يحفظ علينا كرامتنا وانسانيتنا .. وفى أعيننا نحن أولا .. قبل أعين الآخرين .

إننى أتردد ألف مرة قبل أن أشير على أحد بطلاق زوجته إذا كان له منها أبناء صغار .. وكان هناك بصيص من أمل فى الإصلاح .. لكنى فى حالتك الفريدة هذه لا أرى لك رأيا غيره وإن كان الثمن باهظا بكل اسف ، وسوف يدفعه طفلاك . لكن ربما يخفف من وطأته أنهما إن لم تفعل فسيرضعان من أمهما عدم احترامك ،وسيشبان فى بيت قوائمه آيلة للسقوط فى أية لحظة .. وسيواجهان نفس المصير اليوم أو غدا .. ولله الأمر من قبل ومن بعد ! □ .

الـــغـــراش الـخـالـــى

□ انـــا ام اخـطـــأت وارـيـــدك لن تــنـشــر رسـالـــتى

لكى تتعظ بها كل أم .. فلقد كنت زوجة لرجل ممتاز لا يحرمنى من شىء ، وأما لولدين وبنتين ، فدخل بيننا « شخص » ففقدت زوجى وتم الطلاق بعد أيام عصيبة دفعت ثمنها غاليا من صحتى ونفسى وأعصابى ، ومع ذلك فليست هذه هى المشكلة الأساسية، لكن المشكلة هى ابنتى وكبرى أولادى ، فبسبب الآلام النفسية الرهيبة التى عانيتها من زوجى فى الأيام الأخيرة قبل الطلاق ، عكستُ كل ذلك على ابنتى الكبرى وأسأت معاملتها إلى درجة لا أتخيلها .. فاذا سألتنى ولماذا ابنتى هذه بالذات ، فسأقول لك لأنها كانت صديقة أبيها وكاتمة سره . وبعد الطلاق وجدت نفسى بغير أن أحس أريد الانتقام من أبيها فيها .. فأصبحت أسىء معاملتها وأتعمد إيذاءها بشتى الطرق .. فوضعت مسئولية كل الأعمال المنزلية عليها دون اخوتها . وأصبحت أشترى لهم الملابس الجديدة ولا أشترى لها شيئا .. وحرَّضت اخوتها على أن يعاملوها كأجيرة تعمل فى البيت وليست كأختهم الكبرى التى ينبغى أن يحترموها .. حتى اعتادوا نفسيا على أن يعاملوها كخادمة ، وأن يسبوها إذا لم تحضر لهم الطعام ، فإذا

شكت لى فلا أنصرها ولا أنهر اخوتها .. وإلى جانب ذلك كنت أتعمد مضايقتها ، فاذا رأيتها واقفة أمام المرآة كأى فتاة فى سنها ، أطريت جمال أختها وبالغت فى ذلك ، إلى حد أن أقول لها إن الله قد وضع الجمال كله فى أختها وحرمها منه .. حتى كفَّت عن الوقوف أمام المرآة وعن الاهتمام بنفسها وتحطمت نفسيا تماما .. ومع ذلك فقد كان كبرياؤها يمنعها من البكاء فلا تبكى ، وإنما تنظر صامتة ومكتئبة ولاتجيب ، ومع تكرار إيذائى لها كفَّت تماما عن الضحك والابتسامة ، فلم أرها ضاحكة مرة واحدة طوال العامين الأخيرين . وليتنى اكتفيت بكل ذلك وهو كثير لكننى لم أكتف للأسف .. فقد كانت لها صديقات فرويتُ لهن أكاذيب عنها وحرَّفتُ بعض الموضوعات عنها فتركنها ، إلى أن وقعت الواقعة منذ حوالى شهرين حين ضربتها وضربها أخوها أمام الجيران ، فلم تبك أيضا ولم تدمع .. لكن حزن الدنيا كله كان فى عينيها . ثم انتهت الزوبعة ودخلت غرفتها .. ودخل اخوتها أسرتهم ودخلت سريرى وضميرى يؤرقنى لأول مرة منذ ٣ سنوات بسبب سوء معاملتى لها . فاستيقظ فى قلبى العطف عليها وأنا استعيد صورتها وهى تتلقى الضرب ولاتدافع عن نفسها ولا تبكى رغم تألمها الشديد .. ولعنت نفسى ولعنت الشيطان الذى أعمانى عن أنها كانت دائما أكثر أبنائى حنانا بىَّ وبإخوتها ، ودائما تخاف علىَّ وتخدمنى بإخلاص حين أمرض .. ولا تخص نفسها بشىء دون أن تعطينى وتعطى اخوتها منه . وأدركت مدى غفلتى وحمقى حين أردت أن آخذها بذنب أبيها ولا ذنب لها فيما جرى أو حدث .. فعزمت على أن أصالحها وأسترضيها وأعيد لها

احترامها بين اخوتها .. ولم أهدأ إلا حين استقر رأيى على لك ، فاستغفرت الله ونمت . وفى الصباح نهضت من نومى ودخلت الغرفة التى تنام فيها مع اختها لأصالحها فوجدت فراشها خاليا ، وبحثت عنها هنا وهناك فلم أجدها ، فعرفت أن ما لم أحسب له حسابا أبدا قد حدث وأنها غادرت البيت الى غير رجعة .

إننى اكتب لك الآن وقد مر شهران على غيابها عنا ، لم نكف خلالهما أنا واخوتها عن البحث عنها بلا جدوى . وأنا نادمة واخوتها نادمون ويقاطعوننى .. فإذا تحدثوا معى قالوا لى إن الله لن يغفر لى مافعلته بها . وأنا أكاد أجن وصورة وجهها الحزين الذى لا يبكى ولايضحك أبدا تتراءى أمام عينى كل لحظة .. وفراشها الخالى يذكرنى بكل مافعلت وما أجرمت فى حقها ، وقد انتابتنى أمراض الدنيا كلها منذ خروجها .

لقد كانت تقرأ لك وهى تتحمل ايذاءنا لها وتحترم آراءك وتتصبر على حالها بما تقرؤه من مآسٍ فى بريدك ، فهل تكتب إليها كلمة ترجوها فيها أن تعود إلى أسرتها النادمة على مافعلت بها والحزينة لفراقها .. إننى أرجوك أن تفعل رحمةً بأم نادمة تتعذب □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

هذا هو حالنا فى معظم الأحيان نحن البشر .. نقسو على من يحبنا ويترفق بنا ويؤثرنا بما فى يده ، حتى إذا فاض إناء الصبر به وفارقنا ، عرفنا عندها فقط كم كان رحيما بنا وكم هو عزيز علينا .

لقد كانت فتيات كثيرات يكتبن إلى يشكون من تصرفات شبيهه بما كنت تفعلين بابنتك الكبرى .. فكنت أتشكك فى صدق شكواهن ، وأرجع معظمها إلى الإفراط فى الحساسية من جانبهن ، وأرفض أن أصدق بسهولة أن أماً سوية يمكن أن تتعمد إيذاء مشاعر ابنتها وتحقيرها بين اخوتها .. وافقادها ثقتها بنفسها إلى هذا الحد المزرى .. لكن رسالتك أضافت إلى خبرتى بالحياة الجديد .. وما أكثر ما نتعلم وما نعرف كل يوم من خبايا جديدة للنفس البشرية .

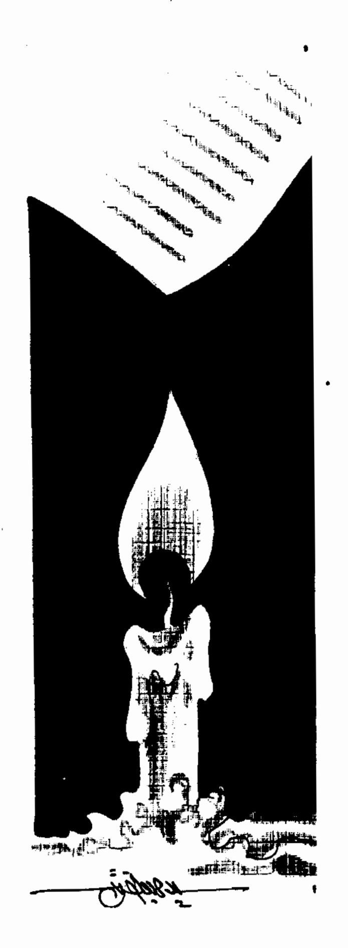
ياسيدتى إن الإنسان قد يخطىء وكثيرا ما يفعل ، لكنه رغم ذلك قد لا يكون مذنبا إذا أخطأ بغير عمد لما فعل ، أما من يخطىء عمدا وعن وعى تام بما يفعل فهو المذنب حقا .. وهو من لايطهره من إثمه إلا الندم الصادق والاستغفار وطلب العفو والسماح ممن أخطأ فى حقهم . والكارثة أن بعض الآباء والأمهات يتصورون أن الله يحاسب الأبناء على عقوق الأبوين ويعجِّل لهم بالعقاب عنه فى الدنيا مع مايدخره لهم من عقاب فى الآخرة ، لكنه لا يحاسب الآباء والأمهات عما يفعلون بأبنائهم ولو أجرموا فى حقهم ، مع أن الله جل شأنه يحاسب الآباء والأمهات أيضا عن إيذائهم لأبنائهم والقسوة عليهم والتفرقة بينهم ، كما يحاسب الأبناء الضالين على عقوقهم . ولعل عقاب الأبوين أشد لأنه لاعذر لهم من طيش أو رعونة ، فلعلك قد عرفت ذلك ياسيدتى واستغفرت ربك عنه طويلا .

أما ابنتك صاحبة الوجه الحزين الذى لا يعرف الضحك واستعذبت ماء بكائها طويلا لكنها ضنّت عليك بأن تشهدى دموعها فقد كانت

تعى تماما أنك تنتقمين من أبيها فى شخصها ، فآثرت أن تحجبها عنك وتحرمك منها وقلبها يتمزق ألما .

على أية حال فإنى أستجيب لرجائك .. وأخاطب ابنتك الطريدة لا المهاجرة من بيتك .. لأنها طريدة رحمتك وعطفك وحنانك وعدلك بين ابنائك .. وأقول لها إننا لانملك رغم كل شيء أن نعامل أبوينا بمبدأ العين بالعين والسن بالسن ، لأننا مأمورون بأن نصاحبهم فى الدنيا معروفا ولو آذونا وتعمدوا إيذاءنا ، وحسابهم عنا مع خالقهم وليس معنا ، وأمك قد ندمت على ما بدر منها .. وأكاد أجزم لك بذلك من إحساسى بكلماتها .. والإنسان بلا أهل كالسفينة التى تتقاذفها الأمواج فى بحر هائج بلا مرفأ تأوى إليه ، وهم أعزاء لدينا وإن جاروا علينا وباعدونا بغير ذنب جنيناه .. فما بالك بحقهم علينا بعد أن عضهم الندم بأنيابه على ما فعلوا بنا ؟

عودى إلى أمك ياآنستى وإلى مرفئك .. واقبلينى إذا شئت حكما بينك وبينها ، وشاهدا على حسن معاملتها لك فى قادم الأيام وليعف الله عن خطايانا أجمعين □



مـــــوج البـــحـــر

☐ أعـرف أننـى مـن نوعيـة السيـدات التـى لا تحـبهـا ..

لكنى مع ذلك أريد أن أتحدث إليك بالذات وأن استشيرك فى أمرى .

أنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى من أسرة متوسطة ، جميلة وبيضاء وعيناى واسعتان وملونتان . أما عن طباعى – وأنا أحاول أن أكون صادقة معك – فهى عدم الرضا بما فى يدى والعصبية الشديدة .. وفى سن الثامنة عشرة تزوجت وأنا طالبة من طبيب ، ومنذ بداية زواجنا اكتشفت اختلافنا كلية فى الطباع فاصبحنا نتشاجر فى كل صغيرة وكبيرة . و ربما كان ذلك بسبب صغر سنى وقلة خبرتى . لكنى مع ذلك أتممت دراستى الجامعية وأنا زوجة بفضل إصرار أبى رحمه الله على أن أتم تعليمى الجامعى كاخوتى . وأنجبت طفلة وحيدة هى نور عينى وحبة قلبى .. لكن المشاكل استمرت بينى وبين زوجى بسبب طباعه السيئة ، من غلظة القلب التى لاعلاج لها ، إلى البخل الفظيع الذى جعله طوال حياتنا الزوجية لايقدم لى هدية واحدة ولو ورقة ، فضلا عن قذارة متناهية فقد كان لايستحم فى السنة كلها إلا ٣ أو ٤ مرات رغم أنه طبيب ،

إلى جانب عدم تفاهمنا فى أى شيء ، فهو من النوع الذى لايعرف كيف يعبِّر عن مشاعره تجاه أى شخص ولو كانت زوجته أو ابنته ، وانا رومانسية أحب الكلمة الحلوة والخيال والأحلام ، ولاأحب أن أحيا فى فراغ عاطفى .. فأنا من مواليد برج الحوت كثيرى الأحلام والذى يوصف مواليده بأنهم مثل موج البحر يرتفع ثم يهبط دون سبب واضح .

وقد استمرت خلافاتنا اليومية ، ولم أقصر فى محاولة تغييره بالخصام أحيانا وبالتوجيه فى أحيان اخرى . ومع ذلك فقد تم بيننا الطلاق مرتين . وعدت إليه فى كل مرة بعد وعود وعهود من أجل ابنتنا واستمر الحال على ماهو عليه . وذات يوم بعد تخرجى قرأت إعلانا فى جريدة الأهرام عن شركة خاصة تطلب موظفين ، وشاءت المصادفة ان يكون مقرها قريبا من سكنى ، فأغرانى ذلك بالذهاب إليها لأنى قدرت أنى أستطيع أن أعمل بها وأشغل وقت فراغى بغير أن يؤثر عملى على رعايتى لبيتى وأسرتى .. وذهبت الى هذه الشركة وليتنى ما ذهبت .. إذ أننى ما أن دخلت على مديرها حتى « أحسست » به وأحسَّ بى من أول لحظة ! فدعانى للجلوس وتبادلنا الحديث ، واكتشفت بعد قليل انه شقيق إحدى « صديقات زمان » وعملت على الفور بهذه الشركة .. وأصبحت أراه كل يوم ، وعرفت أنه متزوج وعنده بنتان ، لكنه قال لى أنه على خلاف مع زوجته ، وأصبحنا نجلس معا كل يوم ساعات طويلة أحسُّ خلالها بأننا متفاهمان ، حتى أن كل كلمة نريد أن نقولها ينطق بها كل منا فى نفس اللحظة . وبعد فترة قال لى انه لايتصورنى إلا زوجة له يفخر بها

ويقدمها للناس بكل اعتزاز .. وسبحت فى سماء الخيال مع وعوده لى بالاستقرار والراحة والأمان والسعادة . وقال لى أن زمام الموقف فى يده ، وأنه يستطيع أن ينفصل عن زوجته فى أية لحظة .. لكن من واجبى أن أبدا أنا بالانفصال عن زوجى .. واقتنعت بذلك ، وتهيأت للمعركة الفاصلة ، وشحذت كل أسلحتى لأحصل على الطلاق وحصلت عليه فعلا بعد أن تنازلت لزوجى السابق عن كل حقوق .

وبعد الفترة المقررة حملت حقيبة ملابسى واحتياجاتى الشخصية وانتقلت إلى شقة صغيرة من غرفة وصالة كنا قد أعددناها للزواج وتزوجت فى السر وبدون علم أهلى ، بعد أن تركت ابنتى الوحيدة مع أمى . ووعدنى زوجى بأن يسعى بعد وقت قصير لدى أهلى ليصفحوا عنى ويأتوا لزيارتى . وفى قمة حبنا صدقت ما أردت أن أصدقه ، وتحملت فراق ابنتى التى لايعدل ظفرها عندى كل كنوز الدنيا . وآلمنى أنها رفضت أن تزورنى فى بيتى ، ولم تدخله ولم تحب زوجى ، وكان رد فعلها الغريب وهى فى الحادية عشرة الآن أنها أصبحت تتعاطف مع أبيها الذى لم تكن تشعر بحنانه من قبل ، وكرهت زوجى وأصبحت تقول انه هو الذى دمر بيتنا وتسبب فى حيرتها فى حياتها حيث لم تعد تجد راحتها هنا أو هناك .

أما زوجى فقد علمت زوجته بزواجنا السرى بعد فترة قصيرة ، وبدلا من أن ينفذ وعوده لى بالإنفصال عنها ، أصبح كل همه أن يسترضيها ويسترضى ابنتيه ، لأن زوجته كما يقول عشرة عمر ولم تخطىء معه فى شىء ، لكنه « قدرنا » وعلى أن أتحمله ! وبدأ يراوغ

فى طلاقها كما كان يعدنى قبل الزواج مما جعلنى أخشى أن أرزق منه بأطفال ، فلجأت إلى منع الحمل دون علمه رغم انه يلح فى أن يكون لنا طفل ليربطنا ببعضنا أكثر وأكثر .

أعرف أن رأيك فىَّ سيىء لأنى لم أتحمل ظروفى ولم أحافظ على زوجى الأول وابنتى .. ولأنى « خرَّابة بيوت » أخذت زوجى الثانى من زوجته وأولاده .. لكن ماذا أفعل فيما لا أملك أمره وهو قلبى . وماذا أفعل الآن وأنا احترق من حياة زوجى المزدوجة ومن تأكدى أنه « بوجهين » معى بكلام ومع الأخرى بكلام آخر ، ومن إحساسى بأنى زوجة لرجل متزوج ولست محور حياته كما كنت أتمنى .. لقد فكرت جديا فى الانتحار .. أما الإنفصال فلم أفكر فيه لأنى لاأقدر عليه .. فبماذا تنصحنى ياسيدى وسوف التزم بنصيحتك ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ليس بمثل هذه الخفة ياسيدتى تؤخذ أمور الحياة . إذ لو استسلم كل إنسان لأهوائه وفعل ماتميل إليه نفسه بغير اعتبار للقيم والأعراف والدين والالتزامات العائلية ثم قال كما تقولين « وماحيلتى فيمالا أملك وهو قلبى » لتحولت الدنيا إلى حانة يرقص الناس فيها عرايا من كل فضيلة ، ذلك أنه ليس هناك إنسان بلا أهواء ، لكننا رغم ذلك نفرِّق بين الناس بقدر تحكمهم فى أهوائهم أو انقيادهم لها .. فنفرق بين الفضلاء وغيرهم بأن هؤلاء يتحكمون فى أهوائهم ولايستسلمون لها ، ولو

كان فى ذلك التضحية بسعادتهم الشخصية ، وبأن أولئك يتركون قياد أنفسهم لأهوائها ولو كان فى ذلك تعاسة الآخرين وتدميرهم والاضرار بهم .

وهوى النفس ياسيدتى إذا لم يتجاوز حنايا القلب قد يقبل فيه الاحتجاج بمالايملكه المرء من قلبه أما إذا تجاوزها إلى الفعل والتصرف والإثم ، فلايقبل فيه عذر ولاالاحتجاج بهذه الحجة .

والحق أنى لا أنشر مثيلات رسالتك هذه ولاأهتم بالرد عليها إيثاراً للاهتمام بأمور الحياة الجادة ، وتجنباً للأثر السلبى الذى قد يحدثه نشرها حين يحد منها بعض من تراودهم نفوسهم - بالأقدام على نفس الفعل - التشجيع النفسى على ارتكابه بحجة أنه ليس وحده الذى اختار سعادته على حساب الاعتبارات الأخرى ، وإنما هناك آخرون واجهوا نفس ظروفه وتصرفوا كما يود هو أن يفعل . والإنسان يرضيه دائماً أن يكتشف أنه ليس الخاطىء الوحيد .. ومع ذلك فقد تجاوزت هذا الاعتبار الهام هذه المرة لأن فى قصتك ماقد تستفيد به أخريات يواجهن نفس هذا الاختبار مايفوق أثرها السلبى بكثير خاصة فى التحول الهام الذى حدث فى مشاعر إبنتك الوحيدة تجاه أبيها .. وضدك .. وفى إنكشاف الوعود والعهود عن وضع نصف زوجة تعيش فى شقة صغيرة من غرفة وصالة وتعانى من وضع الزوجة السرية رغم علم زوجته بزواجكما ، ورغم علم الجميع من جانبك على الأقل .

فإذا كان فى رسالتك بعد ذلك مايستحق الاشارة إليه .. فهو أنك كنت بحق صادقة فيما رويت عن نفسك بلا تجمل أو تزييف ، فأبرز عيوبك كما تقولين هو عدم الرضا بما فى يديك والعصبية الشديدة وهما

فى تقديرى أهم أسباب تعثر زواجك الأول .. وليس أى شىء آخر وأنت ياسيدتى تصفين نفسك بأنك كموج البحر الذى يرتفع إلى أعلى وينخفض دون سبب واضح ، وأن كنت لاأومن بحديث الأبراج ولاأرى فيه معياراً سليماً لتفسير الخصائص النفسية للشخصية التى يكتسبها المرء من ظروف نشأته والبيئة المحيطة به وليس من موعد ولادته ، ومع ذلك فأنت كما وصفت نفسك تقودك أهواؤك إلى أعلى وإلى أسفل بغير مقاومة منك أو محاولة للتحكم فيها .ولذلك كله فها أنت تحترقين الآن لا لأن ابنتك الوحيدة قد كرهت زوجك وانحازت لأبيها ضدك وتحولت بمشاعرها عنك .. ولا لأن هذا التحول سوف يتصاعد مع تقدمها فى السن حين يتعمق إحساسها بأنك لم تحاولى مجرد محاولة التضحية بهوى نفسك من أجل سعادتها واستقرارها النفسى والمعيشى ،لكنك تحترقين من أجل شىء مختلف تماما هو أن زوجك قد « خان عهوده » بأن يطلق زوجته ويمزق ابنتيه نفسياً وهما فى سن الشباب ،لكى تصبحى أنت محور حياته وبؤرة قلبه الوحيدة ! ياإلهى .. ياسيدتى لقد عرفته وأنت زوجة لآخر وهو زوج لأخرى وأب وقد تزوجت بمن تحبين الآن .. وفات أوان اللوم والعتاب بعد أن صححت وضعك ،حتى ولو كان لهذا التصحيح ضحايا أبرياء ، إذن ألا يكفيك ذلك حتى تصرى على أن تزيدى عدد الضحايا ثلاثة آخرين هم زوجته وأبنتاه ! وكيف تهنئين بحياتك ودعائم عشك السعيد ترتفع فوق كل هذه الأشلاء ؟! أن الإنسان قد يقتل أحياناً بغير سيف ، ولقد قتلت اثنين حتى الآن وفى ذلك مافوق الكفاية ، فحاولى أن تتعلمى الرضا بما بين يديك وأن تكفى عن التطلع لما فى أيدى الغير .. وارضى بما اخترته لنفسك ولاتكونى كالنار

التى تحرق الآخرين ثم لا تجد ما تحرقه سوى نفسها .. واشغلى نفسك قليلاً بابنتك قبل أن تفقدى مشاعرها إلى غير رجعة . افعلى ذلك ياسيدتى وكونى صادقة مع نفسك كما كنت صادقة معى فى رسالتك التى بلغت فيها قمة الصدق حين قلت أنك من نوعية السيدات التى لا أحبها .. وشكراً □ .



بلا إنفعال !

□ قرأت رسالة [موج البحر] ..

للسيدة التى روت لك أنها كانت زوجة لطبيب أنجبت منه طفلة ولم تصبر على مشاكلها معه ، وعملت فى إحدى الشركات فوقعت فى هوى مديرها وإتفقا على الزواج وهى زوجة وأم وهو زوج وأب .. فتخلصت من زوجها بالطلاق ، وتزوجت مديرها على وعد منه بأن يطلق زوجته ويجعل منها زوجته الوحيدة التى يفخر بها ، فإذا به يضعف بعد زواجه معها ويرفض طلاق زوجته الأولى .. ويصر على بقاء كاتبة الرسالة نصف زوجة رغم علانية زواجها .

ولقد قرأت هذه الرسالة وأنا أقفز بين سطورها لأصل إلى رأيك .. وأعرف هل ستقسو عليها أم سترفق بها خاصة انها قد اعترفت لك من البداية بأنها تعرف أنها ليست من نوعية السيدات التى تحبها ، لأنها لم تضحى من أجل ابنتها ، ولم تتحمل الحياة مع زوجها الأول ، فإذا بك تنهال عليها بمطارق من حديد لأنها تعتبر مشكلتها الأساسية الآن هى أن زوجها لم يف بوعده لها بطلاق زوجته الأولى رفيقة كفاحه ، كأنها كما قلتَ لها لم يكفها أن ترفع دعائم عشها السعيد فوق أشلاء زوجها الأول وابنتها ، وإنما تريد أن

تضيف إليهما ثلاثة ضحايا جدداً ، هم زوجته وابنتاه الشابتان . ولم أستغرب تشددك فى الرد عليها من متابعتى لآرائك .. لكننى سألت نفسى ماذا ستصنع معى لو جئت إليك لاستشيرك فى أمرى ، لهذا فقد قررت أن أكتب لك قصتى تجنبا لحرج مواجهتك فى زيارة . وكل ما أرجوه منك أن تضبط أعصابك وأنت تقرؤها إلى النهاية . وأن تفكر فيها بروية ثم تعطينى رأيك العادل فيها بغير انفعال أو غضب !

فأنا ياسيدى سيدة شابة فى الثامنة والعشرين من عمرى ، ظلمنى شكلى اللافت للنظر منذ صباى ، فكثر حولى الراغبون فى زواجى انبهارا به . وأعطانى ذلك الثقة فى نفسى ولكن بلا غرور . وقبل أن أكمل سن العشرين أحبنى شاب من أسرة كبيرة وأحببته .. وتزوجنا على عجل .. وتم الزفاف فى حفل فاخر بفندق كبير . وبدأت حياتى الزوجية معه سعيدة . ثم بدأت المشاكل الصغيرة بيننا وكان معظمها بسبب الغيرة والعصبية الشديدة منه . ثم أنجبت منه طفلا وبعد ميلاده بعدة شهور تطورت المشاكل بيننا ، فطلقنى وغادر شقة الزوجية وتركها لى ، وحَرِص على أن يدفع لى مايضمن لى و لإبنه الحياة الكريمة . ثم تدخل بيننا شقيقه الأصغر فأعادنى زوجى إلى عصمته من جديد .. واستمرت الحياة بيننا بين شد وجذب ولحظات سعادة ولحظات خلاف وخصام ، إلى أن أنجبت منه طفلى الثانى .. ثم تصاعدت المشاكل بيننا ، فطلقنى مرة اخرى . وتدخل بيننا شقيقه الأصغر مرة أخرى للصلح بيننا وهو متزوج من سيدة شابة وجميلة

وعنده ثلاثة أطفال ، وكان أكثر أفراد الأسرة اهتماما بحل مشاكلنا التى كثرت حتى ضاق بها باقى الأشقاء والأقارب .. وكانت لزوجى شروط للعودة .. وكانت لى أنا أيضا شروط ، فتكرر سعى شقيقه بيننا لمحاولة تقريب وجهات النظر .. إلى أن وصلنا إلى نقطة تمسك فيها كل منا بوجهة نظره ورفض التنازل عنها ، فغاب الأمل فى التفاهم وبدأنا الحديث عن ترتيبات حياتى كمطلقة ونفقات الطفلين إلى آخره ، فأصبحت أتصل بشقيقه كثيرا .. وأصبح هو يتصل بى مرارا لنفس الغرض . وشيئا فشيئا بدأنا نتحدث فى أشياء جانبية أخرى إلى جانب مشكلتى الأساسية ، ثم بدأت أحس بالعرفان له لاهتمامه بأمرى ، فإذا بنا - وأرجو ألا يصعد الدم إلى رأسك - نتفق على الزواج ونتزوج فى نفس اليوم على شرط وحيد من جانبه ، هو أن يبقى زواجنا سريا حتى نتفادى ما يمثله هذا الزواج الفريد من حرج للجميع ، خاصة لزوجى مع شقيقه وزوجته وأسرته كلها . وقبلت كل ذلك وحرصت على سرية زواجنا . ولم يلحظ أحد فى أسرة زوجى أى تغير فى علاقتنا اللهم إلا مطلقى الذى ربما لاحظ توقف مساعى شقيقه الحميدة للصلح بيننا .. وربما فسره بانه يئس من نجاح سعيه فتوقف .. ثم حدث مايستحيل معه استمرار تكتم الزواج إذ حملت وظهر حملى واضحا مع اقتراب موعد ولادتى ، فانفجر البركان داخل محيط أسرته ، وعلمت به زوجته وشقيقاته واشقاؤه ، وأصبح زواجى هو سر العائلة الذى يخجلون منه ويتعجبون له ، وواجه أكبر الأشقاء وهو بمنزلة الأب لإخوته الأمر بحزم بالغ فاصر على أن يطلقنى زوجى رعاية لخاطر زوجته التى لم تثر له أية مشكلة من قبل ، ولخاطر

شقيقه الذى لاشك يجرحه هذا الزواج ، ولم يستطع زوجى الصمود لموجه الاستنكار التى سادت أسرته .. ولا للتمزق النفسى الذى عاناه تجاه شقيقه ، خاصة إنهما كانا صديقين أكثر منهما شقيقين ، فإستجاب لضغط الأسرة وطلقنى قبل الولادة بأسابيع .. وتكفل بنفقات الولادة وبالمسئولية المادية عنى .. ودخلت المستشفى لأضع مولودى الجديد .. وغادرته بعد أيام وقد أصبحت مطلقة لثلاثة مرات خلال ٥ أو ٦ سنوات ، وأما لثلاثة أطفال صغار .. وانطويت على نفسى وقررت أن أواجه حياتى بشجاعة بعد أن حدث ما حدث ، وأن أرعى أطفالى الصغار .. ومضت شهور لا أرى فيها أحدا من أسرة زوجى الأول والثانى .. ولا أعرف عنهما إلا ما يصلنى من خلال الصديقات من أنباء .. ومن أخبار الصديقات عرفت أن العاصفة ظلت هائجة داخل الأسرة عدة شهور ، ثم بدأت تهدأ شيئا فشيئا . لكن الشرخ بين الشقيقين ظل قائما ، رغم أن زوجى الأول لم يعاتب شقيقه فيما فعل ، لكن الآخر كما علمت كان يذوب خجلا كلما رأى شقيقه الأكبر ، ويحرص على ألا تلتقى عيناه بعينيه إذا وُجِدا فى مكان واحد . أما زوجة مطلقى الثانى فقد صدمت صدمة هائلة فى زوجها ، ثم هدأت بعد حين خاصة بعد أن طلقنى زوجها .. وتعاملت مع الأمر بحكمة . لكن كل حواسها تنبهت له بعد ذلك ، نوضعته تحت رقابتها المستمرة ولم تعد تسمح له بأن يذهب إلى زيارة أو دعوة أو عشاء بغيرها .. كما أصبحت تتأكد من وجوده فى عمله كل ساعة ، وأحكمت الحصار حوله تماما . لكن كل شىء يبدأ قويا فى البداية ثم يسترخى بعد حين . وهكذا فبعد عدة شهور وجدت

نفسى أتصل به فى شأن من شئون إبنه .. وهو يتصل بى ليطمئن على طفله ثم تكرر الإتصال والاطمئنان ثم .. تزوجنا من جديد زواجا سريا مرة أخرى مع تأكيدات أكثر تشددا بالحفاظ على سرية الزواج وعدم السعى لتسريب نبأه بأية حيلة من الحيل، حتى لا يواجه الدنيا بأسرها مرة أخرى ، وحتى لاينهدم بيته الآخر ويتمزق أطفاله فيضطر لطلاق من جديد . وقبلت شروطه وحافظت على عهدى له. لكن الشهور مضت وطالت وأنا فى انتظار الوقت الذى يصبح من حقى فيه أن أعلن للناس أن هذا الرجل زوجى .. وأنت قد قسوت على كاتبة رسالة « موج البحر » لأنها تطالب زوجها بأن يطلق زوجته ويمزق ابنتيه نفسيا ،لكنى لا أطالب بمثل ذلك ولا أريد لزوجى أن يهدم أسرته الأخرى. لكنى فقط أريده أن يعلن زواجى وأن يصمد للعاصفة الهوجاء ، لأن كل عاصفة مهما طالت لها نهاية فبماذا تشير على ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ياإلهى .. كلما ظننت أنه لم يعد هناك من كثرة ما شهدت وقرأت من عجائب الدهر .. ما قد يستثير دهشتى وعجبى ،فاكتشفت من جديد أن الليالى مازلن حقا يلدن كل عجيب !

تطلبين مشورتى ياسيدتى .. وسوف أشير عليك وبلا إنفعال - استجابة لطلبك - بالصمت بعد أن اخترت لنفسك هذا الزواج المحرج الغريب .

لقد كانت الحياة عريضة أمامك .. وأنت شابة جميلة تهافت عليك

راغبو الزواج منذ صباك .. فهل ضاقت بك الحيل حتى لاتجدى من تتزوجينه سوى شقيق زوجك المتزوج وله ثلاثة أطفال والساعى بينكما بالصلح .. فتحدثى بينهما شرخا لا يلتئم ، وتفجرى زلزالا يهز أركان اسرة مترابطة ومتماسكة ، ثم تنجبى منه أيضا لكى تحولى الضعف البشرى العابر الذى كان من الممكن الشفاء منه والاعتذار عنه إلى مشكلة عائلية تمتد آثارها للأجيال التاليه وتذكّر بها كل حين .

لماذا اخترت لنفسك هذا المصير .. وبأى عذر تستطيعين الاعتذار عنه .. وكيف تفسرينه لأطفالك حين يكبرون ويدركون أنهم اخوة وأبناء عم فى نفس الوقت ، وأن كلا من الأب والعم حى يرزق وقد تناوبا الزواج من أمهم الجبارة . فإذا تجاوزت هذه التساؤلات الحائرة لأشير عليك بما تفعلين ، فإنى أقول لك بإختصار شديد لأن الموضوع كله يثير تقززى ، انك لو انصفت لطويت هذه الصفحة الشائكة كلها من حياتك ، ولتركت زوجك الثانى لزوجته وأطفاله ، ولأنهيت الزواج السرى بلا خسائر عائلية له ولك اكثر من ذلك ، ولحافظت على الشعرة الأخيرة بينك وبين هذه الأسرة التى يحمل أطفالك إسمها ولتركتها لحالها ، وإنكفأت على أطفالك الثلاثة ترعين شئونهم بمعونة أسرة أبويهم .. ثم لتزوجت - إن اردت - من شخص ثالث بعيد تماما عن دائرة هذه الأسرة وعن ذكرياتها المحرجة ، ولعشت معه حياة عادية هادئة بلا مآسٍ إغريقية ولا ألغاز يصعب حلها .. وليس ذلك بمستعص عليك لو أردت أن تدعى حقا

هذه الأسرة وشأنها ، فانت فيما يبدو من السيدات اللاتى لايعجزن عن إيجاد الزوج المناسب فى أى مرحلة من العمر . وهذا فى رأيى هو أنسب حل لك ، لأن زوجك الأول لن يعود إليك بعد زواجك من شقيقه ، وزوجك الثانى لن يستطيع أن يواجه الدنيا طويلا بزواجه المحرج منك .. وسوف يتخلص من ضعفه معك إن آجلا أو عاجلا ، ويعود لحياته العائلية المحترمة التى لا يخجل منها ولا يطاطىء رأسه بسببها أمام أحد .. أما زواجك الحالى سواء أكان رسميا أم عرفيا ، وأغلب ظنى انه عرفى فليس سوى قنبلة موقوتة سوف تنفجر فى موعدها فيكون فى انفجارها النهاية لكل ماتحاولين الآن أن تطيلى من عمره بوسائل صناعية .. فلماذا لا تنسحبين من هذه القصة كلها ، وتتطلعين إلى حياة عادية هادئة مع زوج ملائم ، وتسدلين ستارا كثيفا على هذه الصفحة المحرجة .. إنك لو فعلت ذلك تنصفين نفسك ووالدىْ أطفالك والأسرة التى انتسبت اليها ، وتضمنين لأطفالك كل حقوقهم بلا مشاكل ولا عراقيل .

أما إذا اخترت أن تتم المأساة فصولها فليس أمامك إلا الصمت والرضا بهذا الوضع السرى الذى لايختلف كثيرا عن وضع الخليلة بكل اسف . وكفاك سعيا وراء المتاعب .. فقد طلقت ٣ مرات ولم يتجاوز عمرك بعد الثامنة والعشرين .. فهل تريدين ضرب الرقم القياسى فى عدد مرات الزواج والطلاق قبل أن تتمى الأربعين ؟

فكرى فى كل ذلك ياسيدتى .. وشكرا لك أن أعفيتنى من زيارتك لى ! ــا .

الشجرة العارية

□ أكتب إليك أستشيرك فى أمرى ..

وأطلب عونك فى حل مشكلتى .. فلقد بدأت قصتى وانا طالبة بالمدرسة الثانوية وأقيم فى ضاحية حلوان، وأبى وأمى يعملان بالخارج ، ونحن الأبناء الخمسة نقيم وحدنا فى شقة الأسرة الواسعة بالضاحية . ورغم أن بعض أفراد أسرة أبى الكبيرة المعروفة وبعض أقارب أمى كانوا يزوروننا من حين لآخر ويهتمون بأمرنا ، فقد افتقدنا الإشراف الفعلى علينا من أبوينا اللذين طالت غيبتهما فى الخارج .

وحين كنت فى الثامنة عشرة من عمرى تعرفت بصديقة لى تسكن بمنطقة مساكن حلوان ، وبدأت أتردد عليها وأركب سيارة ميكروباس تعمل بين حلوان والمساكن . وتكررت زياراتى لها واستخدامى لسيارة الميكروباس ، فتعرفت بسائقها الشاب الوسيم وعرفت منه أنه يملك سيارة ميكروباس أخرى ، ويحمل دبلوم المدرسة الصناعية ، وأنه زميل لشقيق صديقتى ، فتفتح أمامنا مجال الحديث ،ووجدت نفسى منجذبة إليه ومرتبطة معه بعد قليل بعلاقة عاطفية حارة ، ولم يلبث أن فاتحنى فى أمر التقدم لخطبتى وتردده فى

ذلك لاختلاف المستوى الاجتماعى والمادى بين أسرتى وأسرته . لكننى شجعته على التمسك بحلمنا وأكدت له أنى لن أقبل زوجا غيره . وتسرب نبأ علاقتى بهذا الشاب إلى اشقائى وعرف به أبى منهم ، فثار على ثورة عارمة ولم يقبل أى تفاهم بشأنه . وزادتنى معارضة أبى ورفض كل أسرتى لهذا الشاب تمسكا به وعنادا ، وأحس فتاى بما أعانيه من أجله فاصطحب مدرسا من معارف أبى وجاء إليه يستشفع به فى قبول خطبته لى ، فلم يعطه أبى أى بارقة أمل . وعاد إليه مرة أخرى ومرات يناشده قبول خطبته وعدم رفضه ، فضاق أبى بالحاحه وأفهمه بوضوح قاطع انه من رابع المستحيلات أن يقبل به زوجا لابنته وصهرا له .

وأحس أبى بعدها بالخطر فأنهى إعارته هو وأمى وعادا للاقامة معنا بصفة دائمة فى مصر ، وعاد إلى وظيفته الإشرافية الكبيرة .. وبعد أسابيع عرض على خطيبا شابا مرموقا وينتظره مستقبل كبير ويعمل تحت رئاسته ومن أسرة لائقة . وفكرت كيف اتخلص من الورطة .. فهدانى تفكيرى القاصر إلى أن أتظاهر بقبول الخطبة ومسايرة الأسرة فيها لبعض الوقت ، ثم انتظر اللحظة المناسبة لفسخها بعد أن أكون قد انتهيت من دراستى الثانوية وأصبحت أكثر قدرة على التصرف ! وهكذا أعلنت موافقتى على العريس الملائم وتمت قراءة الفاتحة ، وسعد بذلك أبى وأمى واخوتى . وبعد فترة قصيرة بدأت الأسرتان تتحدثان عن تحديد موعد قريب لإعلان الخطبة وتقديم الشبكة ، ووافقت أيضا على ذلك . واشترى خطيبى الشبكة ونالت إعجاب أسرتى وتحدد يوم الخطبة . وقبل موعدها بأيام فوجئت بأن أبى قد قرر أن يحولها إلى

قران ، ولم أستطع إعلان رفضى بعد أن قبلت المبدأ من الأصل وفزعت إلى فتاى أبلغه بالكارثة ، فطلب منى أن أترك بيت الاسرة وأذهب إليه لنتزوج ونضع أسرتى أمام الأمر الواقع .. فرفضت خوفا من العواقب .. وانشغلت الأسرة فى الإعداد للقران وقام أبى بحجز قاعة كبيرة فى أحد النوادى وطبع بطاقات الدعوة ووزعها على أصدقائه وأقاربه العديدين ورؤسائه . واستعدت الأسرة كلها لليوم الموعود ، وكلما اقترب موعده ازداد الحاح فتاى على أن أستجيب لطلبه رغم أن أسرته أيضا رفضت زواجى به مالم يوافق أبى . واشتدت حيرتى بين الطرفين ، فحسمت أمرى قبل موعد القران بيومين ، وحملت حقيبة ملابسى الصغيرة وتسللت من البيت فى هدوء إلى حيث كان فتاى ينتظرنى بسيارته ، فاصطحبنى إلى بيت أبيه الموظف الصغير الذى قارب سن المعاش . وكان شرطى الوحيد هو أن يتم زواجنا فى نفس الليلة ، وكان ذلك أيضا هو شرط أسرته التى قبلت على مضض زواجنا بهذه الطريقة . وذهبنا إلى بيت أبيه الذى لم يخف ضيقه مما فعلنا .

وتم احضار المأذون على عجل ولم يجد مانعا من عقد قرانى لبلوغى سن الحادية والعشرين فقام بعقد القران . وفى اليوم التالى اصطحبنى زوجى إلى إحدى مدن الأقاليم لنعيش فى بيت العائلة إلى أن يخلى لنا أبوه مسكنه فى حلوان . وأمضينا أسبوعا هناك ثم عدنا الى القاهرة وأقمنا فى الشقة التى تركها لنا أبوه بعد أن سوى معاشه وعاد إلى مدينته الأصلية بالريف . وبدأت حياتى الزوجية متطلعة إلى السعادة التى حلمت بها .

أما فى بيت أبى فلقد زلزلت الكارثة أركانه، ووجد أبى نفسه فى موقف لايحسد عليه مع الجميع، ولم تخفف رسالتى التى تركتها فى بيت خالتى له شعرة واحدة من غضبه الجنونى مما فعلته فأعلن لأمى واخوتى أن ابنته الكبرى قد (ماتت) بالنسبة للجميع منذ اليوم، وانه لايريد أن يسمع شيئا عنها، ثم نهض لمواجهة الموقف فاعتذر للخطيب الشاب الذى صدم فيما حدث صدمة شديدة، خاصة وأنه لم يفرض نفسه على أحد، واعتذر للمدعوين بتأجيل القران لأسباب طارئة وألغى حجز القاعة واحتجب فى بيته يجتر آلامه وأحزانه. ولم أشعر أنا بهول ما فعلت إلا حين وجدتنى منبوذة من كل من عرفونى فى حياتى السابقة، فلقد قاطعنى أبى وأمى واخوتى وخالاتى وأعمامى وجميع أقاربى. وقاطعتنى كل صديقات الدراسة والصبا ومنعتهن أسرهن من الاتصال بى، فأصبحت وحيدة تماما كالشجرة الجرداء وسط رمال الصحراء. ومع ذلك فلقد حاولت أن أتحمل نتائج اختيارى، وداعبنى الأمل فى أن يداوى الزمن جراح أبى وأسرتى وأن يفتحوا لى بعد قليل أبواب المغفرة. وشغلت بعد ذلك بحياتى الجديدة وبدراستى فى الجامعة ومضى عامى الأول فى الزواج فى سعادة تامة وحملت وأنجبت طفلة جميلة. ثم بدأت رياح المتاعب تهب على عشى الصغير الذى تحملت من أجله مقاطعة أسرتى والجميع لى، فلقد تدهورت أحوال زوجى المادية بعد قليل، وباع سيارة الميكروباس التى يملكها وعمل لفترة قصيرة بإحدى الشركات. ثم تركها وسافر إلى إحدى الدول العربية فأمضى فيها ثمانية شهور وعاد منها دون أى تحسن فى أوضاعه المادية، فشارك أخاه فى محل تجارى صغير،

وتعسرت أحواله بشدة .وعرفت الوجه الآخر للحياة القاسية ماديا ومعنويا .. ولم يؤلمنى ذلك بقدر ما آلمنى ما آل إليه حالى مع زوجى الذى هجرت أسرتى واغضبت أبى من أجله .. فقد ذابت كلمات الحب الرقيقة فى الهواء وحلت مكانها الكلمات الفظة القاسية .. وعرفت الشجار والإهانة والضرب فى كل يوم بعد أصبح يتهمنى بالاستعلاء عليه بأسرتى الغنية المعروفة ويتهمنى بأنى أتعالى على أسرته البسيطة .

وأصبح شديد الحساسية لكل كلمة تصدر عنى ويفسرها على هواه .. وتطورت الأمور بيننا الى الاعتداء على بالضرب المبرح فى بعض الأحيان .. وإلى إهانة بعض أفراد أسرته لى وطردهم لى فى إحدى المرات من البيت مع أطفالى .. ووجدت نفسى وحيدة تماما لا أجد من أشكو إليه وينصرنى . وبعد سنوات من القطيعة .. طرقت باب صديقتى التى تعرفت بزوجى خلال ترددى عليها ،فلم تغلق باب صداقتها فى وجهى ، وقبلت أمها السماح لها بمصادقتى فأصبحت أشكو لها ولأمها مما أعانى ، وأبيت عندهما كلما طردنى زوجى فى منتصف الليل .. ونصحتنى أم صديقتى بأن أخاطب قلب أبى ليعفو عنى ويسمح لأمى واخوتى بالاتصال بى ، فكتبت إليه ثلاثة خطابات فلم يرد على . وعرفت فيما بعد انه مزقها قبل أن يقرأها .وطلبت من زوجى الطلاق فرفض ، ووجدت نفسى أتساءل وحتى لو قبل فإلى أين أذهب وقد أنجبت طفلا عمره الآن خمسة شهور وإبنتى لم تتعد الثالثة وأبواب أسرتى مغلقة فى وجهى .. إنى اكتب إليك لكى تشير على بما افعل ولتناشد أبى أن يعفو عن فعلتى فماذا أفعل ؟ □

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من لم يضع احدا فى اعتباره لايلومن إلا نفسه إذا اسقطه الآخرون من اعتبارهم .. وأنت ياسيدتى قد أسقطت الجميع من اعتبارك وأجرمت فى حق نفسك أولا وفى حق أبيك وأمك وأسرتك بفرارك المشين قبل موعد عقد قرانك بيومين ، وبعد أن دعا أبوك أقاربه ومعارفه ورؤساءه لحضور عقد القران السعيد ، واستعد لأن يزهو بابنته كما يتمنى كل أب لنفسه .. فإذا بك تغرسين هذا الخنجر الدامى فى كبده وتتركينه ينزف دما من قلبه وكرامته كأب ورب أسرة أمام الجميع .

وأجرمت فى حق أسرتك حين ارتضيت لنفسك محاولة خداعهم بقبول خطبة ترفضينها فى أعماقك وتنوين التخلص منها فى أقرب فرصة ، مع ما فى ذلك من خداع والتواء لايليقان بابنة مع أقرب الناس إليها . لذلك لم يكن غريبا أن انقلب مكرك عليك لأن المكر السيىء يحيق دائما بأهله ، فوجدت نفسك فجأة أمام ماكنت تخشينه وتصرفت برعونة لاينقصها الجبن إزاءه . إذ بدلا من أن تواجهى الموقف بشجاعة وتعلنى أهلك بنواياك الحقيقية وتتحملى العواقب مهما كانت قاسية ، آثرت الفرار الخسيس من المعركة ملقية بسمعة أبيك وأسرتك كلها إلى الجحيم . ومن عجب أنك لم تكونى فى حاجة إلى شىء من ذلك منذ البداية ،فقد كنت تستطيعين التمسك بفتاك رغم معارضة أهلك له وأن تصرى على رفض قبول خطبة أى شاب غيره ، وتواصلى الكفاح مع أسرتك لنيل رضائهم وموافقتهم عليه مهما طال

الزمن ، ولم تكن لتتأخر عليك هذه الموافقة طويلا وقد علمتنا تجارب الحياة أن الأهل لابد أن تلين قناتهم فى النهاية إذا ما استقر فى يقينهم أن ابنتهم لن تقبل لها زوجا إلا من ارتضته لنفسها ، فيسلمون غالبا بحقها فى اختياره حتى ولو لم يرضوا عنه .

لكنك ياسيدتى لم تفعلى شيئا من كل ذلك ،واستسلمت لأهوائك وتهورك وتخبطك كأنك سفينة بلا شراع ، فحطمت كل الجسور بينك وبين الجميع ، ووجدت نفسك بعد سنوات قليلة كما تقولين كالشجرة الجرداء العارية وسط رمال الصحراء ، تهب عليها الريح فلا تجد من تأوى إليه ولا من تبثه همومها ، فأدركت هنا فقط أهمية أن يكون للإنسان أهل يحتمى بهم من هجير الحياة ، وتصورت أنك تستطيعين أن تداوى جراح أبيك بمجرد أن تكتبى إليه بضعة خطابات وربما اعتبرته قاسيا لأنه نبذها ولم يعن بقراءتها ، ولم يفتح لك أبواب الرحمة مع أولى طرقاتك عليها . وليست بمثل هذه البساطة تؤخذ الأمور ، فالأكباد المقروحة تتطلب علاجا طويلا ،وكبد أبيك مقروحة وجراحها غائرة .. فاذهبى إليه مرتدية بُردة الندم الصادق على ما ارتكبت فى حقه .. وتحملى مرارة إنكاره لك فى البداية بل وطرده لك مرة أو أكثر .. واذرفى دموع التوبة الخاشعة على يديه مرة ومرات ، إلى أن يرق قلبه لك .. وسوف يرق فى النهاية لأنه أب ولأنك إبنته مهما كان جرمك فى حقه .. والتذلل لأبيك لنيل عفوه ليس ماسا بكرامتك ، فبقدر حجم الجريمة يكون عمق الاستغفار والرجاء والاستعطاف .. ولست فى كل ذلك بأكرم على نفسك من هنرى الرابع إمبراطور ألمانيا فى القرن الحادى عشر الذى غضب عليه

البابا جريجورى السابع فسعى إليه الامبراطور من المانيا الى بلدة كانوسا الصغيرة بإيطاليا خاشعا تائبا نادما على مافرط منه فى حقه . ومكث أمام أبواب القصر ثلاثة أيام حافى القدمين تحت الصقيع واضعا على كتفيه بُردة الندم المنسوجة من شعر الماعز الخفيف ، حتى كاد يتجمد من شدة البرد ، إلى أن عفا عنه البابا وأذن له بالدخول ، فصارت مثلا فى التاريخ على معنى التذلل والاستعطاف للشخص الذى عصى الإنسان أمره من قبل ، فيقولون عنه إذا فعل ذلك انه « ذهب إلى كانوسا » ، وحق أبيك عليك ياسيدتى لايقل عن ذلك شأنا فاذهبى إلى « كانوسا » أنت ايضا خاشعة تائبة لتشترى غفران أبيك وصفو حياتك ومغفرة ربك على مافعلت .. ولن تهنأ لك حياة مع زوجك إلا بذلك .

أما عن حياتك الزوجية فلا خيار لك فيها إلا أن تتواءمى مع ظروفها ، وأن تغيرى من نفسك بما يحفظ لها دعائمها ، ويعين السفينة على أن تظل طافية فوق الماء ، حتى لايصبح اختيارك الذى باعدت أهلك بسببه واختصمت الدنيا كلها من أجله عبثا بلا طائل ورحلة جنونية الى غير ماهدف .

إنك تقولين أن زوجك قد أصبح شديد الحساسية تجاه تصرفاتك معه ، وأنه يفسر كلماتك على غير ما تقصدين وقد يكون السبب فى ذلك هو استشعارك أنت للفارق الاجتماعى والثقافى بينك وبينه ، وبين أسرتك وأسرته ، فتجنبى ياسيدتى أن تشعريه باستعلائك الطبقى عليه أو على أسرته لكيلا تفتحى على نفسك أبواب الجحيم .. وتجنبى إشعاره بأنك أميرة

تنازلت عن عرشها من أجله فوجدت نفسها بين قوم لايرقون إلى مستواها ! .

فلكل إنسان حساسياته وجوانب نقصه التى إذا لمسها أحد أو عزف على أوتارها أخرج منه أسوأ طباعه وتوارى طائر الحب وراء قبح الكلمات وبشاعة الإيذاء .. ورغم رثائى لك فإنى استشعر فى كلماتك أنك تلومين الجميع وتعفين نفسك من أى لوم أو مسئولية عن تصرفات الآخرين . ولايمكن أن يكون ذلك صحيحا على إطلاقه .. فليس بين البشر معصومون من الخطأ سوى الأنبياء ، فحاولى أن تتفادى أى تصرف يشعره بالمن عليه بما فعلت ، أو بالفوارق الاجتماعية بينكما ، أو بالندم على اختيارك له ، إذ لا عائد لذلك كله إلا تكدير صفو حياتك بمن ارتبطت به وانجبت منه طفلين لا دخل لهما فيما جرى .. فقودى سفينة حياتك معه بحكمة وصبر ، ودافعى عن اختيارك الذى واجهت الحياة به . وليس ذلك بالأمر الصعب فحبه لك مازال قائما بدليل تمسكه بك ورفضه طلاقك . وإن كنت انتظر منه كرجل أن يكون أكثر نبلا وشهامة ورفقا بك وأنت الوحيدة بلا سند غيره فى الحياة . وحبك أيضا له مازال كامنا فى أعماقك بدليل تحملك لعناء الحياة معه رغم شكواك من قسوتها . ولقد نشرت رسالتك ياسيدتى رغم ضيقى بها لأنها تؤكد لى صدق ما أنصح به من يواجهن نفس الاختيار الذى واجهته انت ، بين الخروج عن طاعة الأهل أو التنازل عن أحلامهن بألا يفقدن الأمل أبدا فى نيل رضاء الأهل على من اخترن لرحلة الحياة ، وان يتمسكن

بالاصرار على نيل موافقتهم مهما طال الزمن ، وألا يخرجن على طاعتهم إلا إذا فقدن كل بارقة أمل وكان موقف الأهل شديد التعسف ولا سند له من شرع أو دين ، وهى دائما حالات شديدة الندرة ولايقاس عليها .. ولعلك قد استوعبت الآن درس التجربة المريرة ، ولعل غيرك يستوعبها ويستفيد بها بغير حاجة لأن يدفع نفس الثمن لكى يتعلم الحكمة بعد فوات الاوان وبغير حاجة ان (يستبين الرشد إلا فى ضحى الغد) كما تفعل غالبا فى بعض أمور حياتنا .. بكل أسف ! □ .

□ لظروف عائلية قاهرة ، اتجهت للتعليم الفنى..

فحصلت على دبلوم التجارة منذ ١٨ عاما والتحقت بوظيفة فى إحدى الوزارات لأعول نفسى واخوتى الخمسة حتى تخرجوا جميعا .. فاستأنفت دراستى من جديد ، وحصلت على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة والتهمت الكتب التهاما ، فتخرجت فى إحدى الكليات النظرية بتقدير جيد جدا . والتحقت بالدراسات العليا للحصول على الماجستير . وطوال سنوات الجامعة لم التفت لأى فتاة من زميلاتى ، لأن شاغلى الوحيد كان النجاح والتفوق فى الدراسة وفى العمل .. ثم انتبهت اليها فجأة وخفق قلبى بشدة حين رأيتها لأول مرة ، وتعرفت عليها وتبادلنا الحديث فأحسست فى كلماتها إعجابا بى وبتفوقى ، فارتحت إليها ووجدت نفسى أحكى لها كل شىء عن حياتى ، فإذا بها تصارحنى بأنها احبتنى منذ اللحظة التى رأتنى فيها بالجامعة . وأحسست بصدقها وأعربت لها عن رغبتى فى التقدم لأسرتها .. وجاءتنى بعد أيام لتبلغنى بأن أباها يرحب باستقبالى وذهبت إليه .. وعرفت من حديثه أن له قصة كفاح مماثلة لقصتى ، فارتحت إلى ذلك لأنه سيكون أكثر الناس تقديرا لكفاحى .. لكنى فوجئت به يغالى فى مطالبه التى أعجز معها عن تلبيتها ، فاعتذرت له بخجل ، وانصرفت أسفا على ضياع الحب الذى جاء بعد كل هذا الكفاح . ومرت أيام كئيبة ثم فوجئت ذات يوم بفتاتى تزورنى فى بيت أسرتى وتؤكد لى تمسكها بى وتقسم بين يدى أنها لن تكون

لغيرى .. فدبت الحياة فى روحى من جديد .. وقررت أن أغالب ظروفى وأتحدى المستحيل لكى ألبى مطالب أبيها ، فأجلت الدراسات العليا وجمعت بين ثلاثة أعمال متناقضة لكى أجمع أكبر قدر ممكن من المال لأحقق به أحلامى .. فكنت أعمل فى الوظيفة الحكومية من السابعة صباحا الى الواحدة ظهرا ، ثم أعمل مدرسا بمدرسة خاصة من الثانية حتى السابعة مساء ، ثم أعمل عملا ثالثا من الثامنة مساء حتى منتصف الليل ، ثم أدخل فراشى فى الواحدة صباحا فأنام بلا حراك من شدة الإجهاد حتى السادسة صباحا . وهكذا كل يوم لمدة عامين كاملين حتى جمعت المبلغ وتمت الخطبة بالشكل الذى يرضى صهرى .

وفى اليوم التالى للخطبة كنت قائما أصلى .. فقرأت قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فركعت وفى القيام من الركوع دعوت ربى أن يعطينى لأرضى وأُرضى من حولى . وقبل ربى دعوة عبده الصابر ،فلم تمض أسابيع حتى كنت قد حصلت أنا وخطيبتى على عقد عمل كمدرسين فى إحدى الدول . ووافق أبوها أن نعقد قراننا لنسافر إليها كزوجين .. وتزوجنا وسافرنا وعشنا أجمل أيام حياتنا .. وحملت زوجتى فى طفلى الأول ، واستدعيت أمها لترعاها ورحبت بها كثيرا ، لأنى كنت أحبها . وأنجبنا طفلا جميلا ، ثم بدأت المشاكل تعرف طريقها إلينا عندما بدأت حماتى تتدخل فى حياتنا وتحرض زوجتى على وعلى عدم المبيت معى فى غرفة واحدة . وتحملت كل ذلك إلى أن عدنا فى الاجازة الصيفية . وكنت قد اشتريت شقة تمليك مناسبة واستبدلتها بأحسن منها حين توافرت لى

الامكانات .. وانتهت الاجازة فرفضت أن نصحب الأم معنا بعد أن عانيت من تدخلها فى حياتنا الكثير . وسافرت وحدى وتركت زوجتى فى القاهرة لتضع طفلها الثانى ، فإذا بزوجتى تعود إلى بغير طفلى الأول بحجة انها لاتستطيع رعاية الطفلين معا . ولأن الطفل الأول متعلق بأمها ، وذلك رغم ارادتى ، ومضت الأيام رغم ذلك ، وألحّت حماتى على زوجتى لكى تستقيل من عملها قبل ان ننهى مدة العقد ونعود معا ، فاستقالت وعدنا لمصر ، فرفض صهرى أن يؤثث الشقة مع أنه قبض المهر الذى حدده كاملا . وحين ناقشته فى ذلك عيرنى بكفاحى وبترددى عليه طالبا يد ابنته . وأكد لى أن المهر حق للزوجة بغير أثاث . وتعقدت الأمور بيننا ، فمنعنى من رؤية زوجتى وأبنائى .. وحاولت أن أوسط أحدا بينى وبينهم فرفض الجميع .. فاستجبت لنصيحة أحد أقاربه وأرسلت إلى زوجتى انذارا - مجرد انذار - بالدخول فى طاعتى - ففوجئت بثلاثة انذارات عن ثلاث دعاوى قضائية ضدى مازالت منظورة بالمحاكم منذ عام ١٩٨٧ حتى الآن . وخلال هذه الفترة الطويلة لم أر ابنائى ولم يسمحوا لى بمقابلة زوجتى ، وفعلت المستحيل لأرى أبنائى أو ألتقى بزوجتى لأذكرها بأيامنا الجميلة وحبنا القديم الذى كدت أهلك وأنا أعمل ١٥ ساعة كل يوم لأتوّجه بالزواج فحالوا بينى وبينها . وحصلت على حكم برؤية أولادى ، وتوجهت إلى بيت صهرى لأراهم لأول مرة بعد عامين ،ويجىء الطفلان واتقدم إليهما بلهفة الأب المحروم لأحتضنهما فيفزعان منى ويصرخان فى وجهى ويفران خائفين منى إلى أمهما المختفية وراء باب مغلق عزوفا عن أن ترانى .. و أحس بصدمة العمر

كله وبوخزة ألم شديدة فى صدرى .. وأصيح من المى فى وجه صهرى : حسبى الله ونعم الوكيل فيك .. حسبى الله ونعم الوكيل .. وهنا فقط تخرج زوجتى من مكمنها غاضبة لتقول لى : كيف تجرؤ على سب أبى / وأفهمها بهدوء أن ما قلت ليس سبا وأنه ورد عن السيدة عائشة أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمّه شيء أمسك بلحيته وقال حسبى الله ونعم الوكيل .. وانتهى اللقاء بغير طائل ، وانتهت اجازتى وسافرت حزينا إلى مقر عملى واصطحبت معى امى وشقيقتى لتؤنسا وحدتى وتخففا عنى سوء حالتى النفسية . وتمضى الأيام ولا جديد فيها سوى الحزن على ماكان والأمل فى إصلاح الأحوال .. إن زوجتى وأمها من عشاق بابك وقد كان المفضل لدينا منذ أعوام خلت ،ومازلنا نحرص على متابعته ،فقل لها ياسيدى قبل أن يفصل القضاء فى دعوى التطليق اننى مازلت أحبها بكل ذرة فى كيانى ،وأنى أحب أبنائى بكل خلجة فى عروق ولا أريد لهم أن يعانوا تبعات هذا التفريق . ومن أجل ذلك تركت لمحاميّ تفويضا بالتصالح متى حسنت نياتهم .. لقد مضى عامان على فراق لزوجتى وأبنائى . ولو كان الأمر أمر زواج لمجرد الزواج لتزوجت غيرها منذ الشهور الأولى ، فالفرص كثيرة والإمكانات قائمة . وأنت قد قلت ذات مرة فى أحد ردودك أن الإنسان تاريخ وليس موقفا عابرا يُحكم به على جوهره الأصيل .. فلتسأل نفسها هل أسأت معاملتها يوما فى غربتنا .. ولتقف مع نفسها موقف الصراحة ومراجعة النفس والاعتراف بالحق .. ولتعد معززة مكرمة إلى بيتها ونطوى صفحة الإساءة فهى ليست لأمثالنا .. ثم فلتكن أنت وقراؤك فى النهاية شهود

صدق وحق للزمان ، أدعوهم للشهادة على أنى لم أقصر فى حق أولادى اذا ما سألونى يوما عن المسئول عن تمزق شملهم بيننا ، فعسى أن تؤدوا الشهادة وعسى أن يفهموا وأن يعذروا □ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

اننى لو استعرت بلاغة الشعراء ونسجت أرق الكلمات مخاطبا زوجتك ، فلا يجوز لكلماتى أن تؤثر فى قلبها كما ينبغى أن تفعل كلماتك الدامية هذه فى قلبها وعقلها على السواء ، إذ ماذا يمكن أن يمس القلب أكثر من هذا التضرع الذى تتوجه به ، والذى قد ينكره عليك آخرون .. وماذا يمكن أن يثير التأمل الحزين أكثر من هذا الحرص الحكيم على مستقبل طفلين لاذنب لهما فى نوازع النفس البشرية عند الأبوين ولا فى خلافاتهما .. أو اكثر من هذا التحسب الحكيم من أن يجىء يوم – وسوف يجىء بالضرورة – يلوم فيه الأبناء أبويهما أن مزقوهم بينهم ولم يوفروا لهم حياة طبيعية آمنة كحياة الآخرين من أمثالهم . لقد قلت من قبل أن أى مبررات يقدمها الأبوان لابنائهم عن هدمهم لأسرهم ، هى لغة غير مفهومة عند الأبناء الذين لايتصورون سببا فى الحياة لحرمانهم من حياتهم الطبيعية بين الأبوين ، لأنهم لايفهمون اعتبارات السعادة الخاصة أو افتقاد الحب التى يبرر بها البعض تشريدهم .

ولاشىء يثير ضيقى بالحياة أكثر من أن يتواجه شركاء الحياة أمام القضاء لإقرار العدل بينهما . ولعلى قد ترددت فى نشر رسالتك لهذا

السبب بالذات ، لأنى أؤمن بأن القضاء إنما قد جعل للفصل بين الغرباء وليس بين من تحابوا ذات يوم وتساكنوا وتشاركوا الحياة وتمازج عرقهم ودمهم فى سابق الأيام ، فإذا تحامق طرف وأصر على عناده فالأكرم للطرف الآخر أن يتنازل عن بعض حقه عن أن ينازع شريك حياته أمام الغرباء ، فإن فسدت الحياة وعز إصلاح مافسد ، فتسريح بإحسان أكرم كثيرا من الوقوف فى ساحات المحاكم . ولاشك انك تسرعت بالبدء فى المنازعة بالطريق القانونى ، فكان الرد بثلاث قضايا ومنازعات مؤسفة ، رأيت حذفها من رسالتك احتراما للقيم الأسرية السامية . لكنى لن أطيل الحديث فى هذه النقطة لأننا فى مجال التوفيق ولسنا فى مجال الحساب . وكلمتى لزوجتك هى أن تقرأ رسالتك مرات ومرات .. وأن تتذكر أن حساب الأبناء يوم الحساب لايقتصر على الآباء وحدهم وإنما يمتد إلى الأمهات ، ولعله فى بعض الأحيان يكون أشد قسوة معهن لانهم ينتظرون منهن دائما التضحية من أجلهم بأكثر مما ينتظرونها من الآباء بحكم طبيعة الأم المعطاءة والمضحية .. فلتفكرى طويلا ياسيدتى فى معنى أن يقبل رجل على نفسه أن يوجه لزوجته هذا النداء المؤلم على الملأ ، وأن يطلب شهادتهم يوم يكون الحساب .. ولتحاولى أن تتفهمى مغزاه وتعرفى أننا فى النهاية ومهما بلغ شأننا اعزاء فقط على من يرغبون فينا بصدق .. ولكننا لانساوى الكثير عند غيرهم .. فلنحرص إذن على من أحبونا ورغبوا فينا ولو نالنا منهم بعض الضرر ، فالحياة لاتخلو من معاناة . لكن معاناتنا مع من يتمسك بنا أهون كثيرا من معاناتنا مع من لايعنيه قربنا أو ابتعادنا عنه .. فليكن الصفح الجميل من الطرفين معا ولتتوقفا معا عن التنازع أمام القضاء ..

ولتعودا معا إلى روح الدين الذى نظم لنا حتى طريقة تناول الخلافات الزوجية ، فأوصى بحكم من أهله وحكم من أهلها إن عجزنا نحن عن حل مشاكلنا بأنفسنا والسلام □



السهـم الأخيـر !

□ أنا صاحب الرسالة التى تفضلت بنشرها ..

واخترت لها عنوان « الشهادة » والتى رويت لك فيها قصتى مع زوجتى ابنة الطبيب المشهور التى أحببتها وتزوجتها واصطحبتها معى إلى مقر إقامتى فى البلد العربى الذى أعمل به ، وأنجبنا طفلين جميلتين ثم أفسد بيننا المفسدون سامحهم الله فعادت إلى مصر ورفضت العودة وتصاعدت المشاكل حتى وصلت إلى ساحة القضاء ثم كتبت لك اننى اشهد الله واشهد قراءك على من يتحمل وزر تشريد طفلين بريئين بين أبوين منفصلين ، ولغير أسباب تستحق ، بعد أن يئست من محاولة استعادة زوجتى وأسرتى الصغيرة . وقد نشرت الرسالة وكان أملى أن تقرأها زوجتى وأبوها وأمها وأن يستشعروا مسئوليتهم أمام الله عن سعادة هذين الطفلين ، فيجنحوا إلى التوفيق بدلا من الاستمرار فى الخصومة والادعاء على أمام المحاكم بما لم أفعل والاستعانة بشاهدى زور لإثباته .

وأرسلت لهم صفحة بريد الجمعة التى نشرت فيها الرسالة ، وتأكدت من وصولها إليهم . وانتظرت فى غربتى ووحدتى ان تتحرك القلوب ، واستجبت لنصيحتك السديدة بأن أتغاضى عن كل مافعلوا بى ، وأن أعرض عليهم الصلح والصفح الجميل رعاية لطفلى إذا قبلوا ذلك .. فعرضت عليهم الصلح واسقاط كل القضايا فأبوا ورفضوا .. فلم يكن أمامى مفر سوى مواصلة التقاضى خاصة أن

موقفى كان قويا لكنى بدأت أحس بالضيق والاكتئاب .. وساءلت نفسى : إلام يستمر هذا الصراع .. ثم نهضت ذات صباح وقد قررت أن أطلب من المحامى الذى يتولى قضيتى أن يبلغ القاضى أننى استشهد بزوجتى نفسها وأرضى شهادتها وأحتكم إلى ضميرها وهى طرف الخصومة لتشهد إن كنت حقا قد أسأت معاملتها كما يدعى علىَّ من حرضها على طلب الطلاق، وعن رغبتها الحقيقية فى طلب الطلاق .. وأننى بذلك أرتضيها خصما وحكما . وأبلغت المحامى كل ذلك فثار وقال ان فى ذلك قضاء محتما على ، لأن موقفنا فى القضية قوى واستشهادى بزوجتى سوف ينسف كل شىء .

فاصررت على ذلك مؤكدا له أنه خير لى أن أخسر القضايا المنظورة بيننا على أن نتصارع أنا وزوجتى وأم أطفالى فى ساحات المحاكم . ولم يجد المحامى أزاء إصرارى بدا من التلبية . وعرض الأمر على القاضى فوافق ، وأرسل فى استدعاء زوجتى واستبشرت خيرا لأنى على ثقة بأن زوجتى التى أعرفها جيدا لن تنطق بغير الحق ولو كان فيه هلاكها .

وبعد أيام اتصل بى المحامى هاتفيا فى مقر عملى هنا .. وأبلغنى خبرا نزل على رأسى كالصاعقة ، وهو أن زوجتى قد حضرت أمام القاضى فإذا بها تؤكد له سامحها الله ماجاء على لسان شاهدى الزور .. وإذا بها تبدى رغبتها فى الطلاق فيحكم لها القاضى فى الجلسة نفسها ــ وكانت جلسة استئناف ــ بالطلاق البائن . ونظرا لجمالها وحسبها فقد حكم لها بنفقة متعة قدرها خمسة وعشرون ألف

جنيه عدا مؤخر الصداق وعدا نفقة شهرية قدرها خمسمائة وخمسون جنيها .. هل تصدق ذلك ياسيدى لقد أوشكت على الانهيار مرة أخرى وأنا أرى السهم الأخير الذى رميته ثقة منى فى أن زوجتى لن تنطق بغير الحق قد ارتد إلى صدرى ، وكان فيه القضاء على . لكنى استعدت ثقتى بالله عز وجل سريعا واسترجعت سيرة أشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام الذى آذاه قومه ودعوت فى صلاتى بدعائه « اللهم أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس » وفوضت أمرى إلى الله سبحانه وتعالى .. وأملت أن يكون ذلك هو النهاية الأخيرة لتلك الزيجة التى منيت بالفشل الذريع وهى تحبو أولى خطواتها فى الحياة .. لاتحزن من أجلى ياصديقى الذى لم أقابله .. فان الله لن يضيع أجر الصابرين المحتسبين .. لكنى اصارحك باننى قد أصبحت أخشى الارتباط مرة أخرى وأتوجس منه . لكن ماحيلتى وهو أمر حتمى لمن أراد أن يحصن نفسه ويستعفف ويحيا حياة طبيعية .

إن مشكلتى هى أننى قد تغربت منذ تخرجى من الجامعة منذ ثمانى سنوات . ومعظم أقاربى من صعيد مصر قد شغلت عنهم بكفاحى وعملى ودراستى بالقاهرة ثم باغترابى ، وحين عدت لمصر فى الاجازة الماضية ، وجدت أن من تصلح من بين أقاربى للزواج قد تزوجت وانجبت .. أما زميلات الدراسة فقد قطعت زوجتى - السابقة - كل علاقتنا بهن بمجرد التخرج بحجة غيرتها العمياء كما كانت تقول دائما . والاجازة التى أقضيها فى مصر شهران كل سنة لاتسمح لى بدراسة

شريكة الحياة المقبلة دراسة متأنية ، ولم يعد لى من شعاع أمل إلا فى أن ارتبط بإنسانة تُنسينى مرارة الذكريات . وقد أحسست بتعاطفك الصادق معى فى ردك على رسالتى الأولى .. اننى أعرف أن هذا ليس من عملك ولا من وظيفتك ، لكننى أثق بانك لن تحجب عنى مساعدتك ، ويبقى لله ولك بعد ذلك وعد وعهد أن أكون عند حسن ظن ربى والسلام عليكم ورحمة الله ☐ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أما رجاؤك لى بألا أحزن لما أصابك فلم استطع – مع الأسف – الاستجابة له .. فلقد وجمت حين قرأت رسالتك وتمثلتك فى غربتك تحن إلى طفليك الصغيرين وتترقب قرب عودة الوئام والسلام إلى عشك الصغير وتتعلق بالأمل والرجاء بعد أن قدمت مبادرتك النبيلة تلك ، فإذا بك تتلقى هذا السهم الغادر على غير توقع ولاانتظار .. إن أقسى الضربات هى ماينالنا ممن كنا ننتظر منهم الوفاء ، فكيف لا أكتئب لزوج وأب سلم لزوجته سلاحه دليلا على صدق رغبته فى الوئام ، فإذا بها تتناوله من يده وتصوبه إليه ثم تضربه فى مقتل وبلا رحمة . اننى لا أريد أن أجدد أحزانك باستعادة ماجرى ، وقد أعانك الله على التجلد أمامها واجتيازها . ولعلها المرة الأولى التى يهون علىَّ فيها قارىء مما أصابه بدلا من أن أهونه أنا عليه ، وأطالبه بالصبر والاحتساب .. وأنت قد احتسبت بغير حاجة إلى نصيحة وتطلعت ببصرك وبصيرتك إلى الغد الأفضل « وطبت نفسا إذا حكم القضاء » كما كان يطالب بذلك الإمام الشافعى المهمومين . ولم يبق سوى أن أقول لك أن أخلاق البشر الحقيقية هى أخلاقهم التى تتبدى عند

الخلاف والنزاع والخصام ، وليست تلك التى نتعامل معها فى أيام الصفاء والوئام .. لهذا قيل أن أشرف الناس مع الجميع هم أشرفهم مع خصومهم .. وأنت كنت خصما شريفا وكريما مع خصومك ، فكيف بك مع غيرهم ؟ اننى أرجوك ألا تندم على ماقدمت فما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، كما قال - صادقا - الفاروق عمر .. وانه لشرف لى ياصديقى أن أبذل كل جهدى لتلبية رغبتك النبيلة وأرجو ان يوفقنى الله فى تحقيقها على خير وجه مستطاع ، كما أرجو لك أن يكون ماجرى هو خاتمة الآلام والأحزان فى حياتك ، وأن يكون دورك قد حان لنيل كل ماتستحقه من سعادة وتكريم وهناء بإذن الله □ .



لهيب الجحيم!

□ أنا مهندس فى الأربعين من عمرى..

تزوجت منذ ١٥ عاما .. ومضت حياتى عادية ، ثم حصلت على عقد عمل بإحدى الجامعات العربية .. وكان العقد يتضمن سكنا عائليا لى وتذاكر سفر لزوجتى وأبنائى .. فطلبت من زوجتى أن تستعد للسفر ليجتمع شملنا معا .. وبدأت أترقب موعد سفرها فى لهفة .. فإذا بأمها تقنع صهرى بعدم سفر زوجتى معى وبأن أسافر وحدى .. فحاولت اقناعه باصطحاب زوجتى .. فلم يوافق ، وتدخل وسطاء كثيرون فلم يستجب لرجائهم .. وأمام هذا الاصرار والجبروت – وخاصة ان زوجتى قد وافقت أهلها على رأيهم – اضطررت للسفر وحيدا .. وعشت أيامى الأولى هناك حزينا مكتئبا لحرمانى منّ زوجتى وأولادى .. وكنت فى ذلك الحين قد أنجبت ولدا عمره ٣ سنوات وولدا عمره سنة وتحملت وحدتى شهورا وأسابيع .

ثم عدت فى اجازة نصف العام الدراسى على نفقتى الخاصة لأرى أولادى ولأعيش مع زوجتى عشرة أيام حتى لا أُفتَن فى دينى وأنا فى غربتى .. ومضت شهور العام الدراسى بخيرها وشرها .. ثم عدت فى

الاجازة الصيفية وأمضيت شهورها مع أسرتى الصغيرة . وخلال اجازة الصيف حاولت أن أكرر محاولة اصطحاب زوجتى وأولادى معى فلم أنجح فى زحزحة صهرى عن رأيه .. فسلمت أمرى لله ونظمت أمورى على أن أعود كل سنة مرتين ، منهما مرة على نفقتى الخاصة .. ومضت حياتى هكذا لمدة ٩ سنوات كاملة ٩ سنوات ياسيدى. لاأرى خلالها زوجتى وأولادى الذين أصبحوا أربعة إلا فى اجازة نصف العام الدراسى مرة وفى اجازة الصيف مرة اخرى .. وفى كل سنة أعود إلى أسرتى يحدونى الأمل فى أن يتغير موقف أسرة زوجتى منى بلا فائدة ، إلى أن شقّت على وحدتى وبعدى عن أولادى فقدمت استقالتى وعدت إلى مدينتى الصغيرة وإلى عملى .. وبعد عام من عودتى توفى صهرى ففوجئت بزوجتى تنصرف عنى تماما من ناحية المأكل والمشرب والملبس .. وحين سألتها عن سبب تغيرها تجاهى أجابتنى بأنه تقصيرى فى حق أبيها خلال مرضه وتعجبت .. أى تقصير ارتكبته فى حق أبيها فى مرضه .. لقد كنت أزوره ٣ مرات يوميا فى المستشفى وأصطحب إليه الأطباء وأحمل عينات التحاليل إلى المعامل .. وتركت زوجتى تقيم معه طوال مرضه إلى أن وافته المنية .. فأى تقصير ارتكبته فى حقه ولم تقتنع زوجتى .. وتمادت فى الابتعاد عنى .. وبدأت تثير لى المشاكل فى عملى .. ثم فوجئت بها تطلب الطلاق منى بعد ١٥ عاما من الزواج ، وبعد أن وصل أكبر أولادى إلى الصف الثانى الثانوى ، وتصدمنى بانها تكرهنى .. وتكرهنى منذ أيام الخطبة ، وأنها لاتعرف لماذا سكتت كل هذه السنوات الطوال ؟ ووقفت ذاهلا أمامها أتساءل أين كانت هذه

الكراهية كل هذه السنين .. وماذا لايعجبها فى وأنا والحمد لله اتمتع
بكل مقومات الرجولة والوجاهة وميسور ماديا وأملك فيللا فى
مدينتى الصغيرة .. وعندى سيارة مرسيدس ، وفوق كل ذلك
حريص على أسرتى .. لقد رفضت طلاقها تمسكا بأولادى الذين
أحبهم أكثر من أى شىء آخر فى الحياة ، وأشفق عليهم من أن يعانوا
ماعانيته أنا فى طفولتى حين تزوج أبى زوجة أخرى على أمى .. فلم
نطق الحياة مع زوجة أبى .. وتركنا البيت لنعيش مع أمى فى بيت أبيها
حتى توفى ، فعدنا إلى بيت أبى بقوة القانون . ورفضت أن أكرر
مأساتى معهم .. لكنها راحت تطالبنى بالطلاق كل يوم .. ثم قالت
لى مرة أنها فكرت فى أن تدس لى السم فى الطعام ذات يوم ، لكنها
تراجعت خوفا من حبل المشنقة .. فهل تتصور ذلك ياسيدى .. لقد
خافت من حبل المشنقة ولم تخف من ربها ولا من عذاب الضمير ولا
على مستقبل الأبناء الذين سيصبحون يتامى .. فاصبحت أخاف من
أى طعام أو شراب يقدم لى وحدى . ومازلت أرفض طلاقها ليس من
أجلها ،ولكن من أجل أطفالى الذين أحبهم ويحبوننى لأنى عطوف
معهم فى حين تقسو هى عليهم .

لكنها مازالت متمسكة بالطلاق وتقول لى أنها لن تتزوج ، وإنما
ستتفرغ لتربية الأولاد .. وتطلب منى مغادرة البيت لأن أمها
تكرهنى وهى بالتالى كما تقول تكرهنى ، والأدهى من ذلك أنها منذ وفاة
أبيها قد هجرت غرفة نومى وتبيت وحدها .. فإذا ذهبت إليها خلسة
فى الليل بعد نـ[illegible] الأبناء وأمها ، صرخت بأعلى صوتها فيفزع الأولاد

من نومهم وتفزع أمها من النوم وتأتى الأم إلى صائحة : ابتعد عنها ولا تكن كالبهائم .. أقتل هذه الرغبة فيك مادامت تكرهك ! فماذا أفعل ياسيدى فى هذا العذاب ؟ □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

اننى أطالب الزوجات والأزواج دائما بأن يتحملوا اقدارهم حرصا على صالح الأبناء وحماية لهم من التمزق بين الأبوين عند انفصالهما ، حتى لو جاء ذلك على حساب سعادتهم الشخصية لكنى فى حالتك هذه .. ولو صح كل ماورويته لى فى رسالتك .. وما أظنك إلا صادقا فيها ، فإنى أقول لك وضميرى مستريح : طلقها ياصديقى وبأسرع ماتستطيع وطأ قلبك إن كان مازال يحمل لها أى خفقة حب ، ولاتتعلل بالأبناء لقبول هذا الذل وهذه المهانة التى لاتليق بالرجال ، والتى تؤثر سلبا على معنويات الأبناء وأخلاقياتهم ، ربما بأكثر مما يؤثر فيهم انفصال الأبوين فى بعض الأحيان .. فالحق انى احس أن رغبتك فيها لاتقل عن حرصك على أبنائك وأن علاقتك بها قد اتخذت شكلا مهينا منذ البداية ، فلم تكن معها حازما بالقدر الكافى حين كان الحزم مطلوبا وضروريا لصالحها ولصالح ابنائك ايضا ، وإلا فكيف قبلت أن تعيش وحيدا ٩ سنوات ولك سكن عائلى فى غربتك لأن صهرك لايوافق على أن تصطحبك زوجتك اليها ؟ وأى أب يستطيع أن يمنع ابنته من اللحاق بزوجها وضم أولاده اليه إذا ارادت هى ذلك أو إذا تمسك الزوج بحقه فيه . وأنت .. انت المسئول عنها مادامت فى عصمتك لا أبوها .. إنها هى ياصديقى

- وليس صهرك - التى حرمتك من الاستقرار العائلى لمدة ٩ سنوات ، وحكمت عليك بالوحدة ٩ سنوات كاملة من زهرة العمر .. وعلاقتك بها منذ البداية علاقة إذعان . تملى فيها إرادتها عليك وتستجيب أنت لها مهما كانت رغبتها مخالفة للشرع والعدل وحقوق الزوج .. بل وحقوق الأبناء أيضا الذين حرمتهم بأنانيتها من صحبة أبيهم ورعايته وإشرافه ٩ سنوات فأى هوان هذا ؟ إن الحرص على الأبناء مسئولية مشتركة بين الأبوين وليست مسئولية طرف واحد .. وحرص طرف واحد عليهم إن لم يقابله حرص مماثل له من الطرف الآخر لايعنى إلا استسلام الطرف الأول لكل يمليه عليه هذا الطرف .

وهو على أية حال لايبرر قبول المهانة إلى هذا الحد .. ولا الرضا بمعاناة لهيب الجحيم كل يوم إلى حد بتّ تخشى فيه على نفسك كل لحظة من أى طعام أو شراب يقدم لك على حدة .. فتحتاج إلى أن يأكله غيرك أولا لتطمئن إلى سلامته .. فأى شىء فى الحياة يبرر للإنسان أن يكابد جحيم الخوف كل يوم هكذا إلى جانب عذابك الآخر معها .. وهو لايقل عنه إيلاما ، بل وفضلا عن مهانة مطالبتها لك بالطلاق ومغادرة البيت كل لحظة .

استجب لرغبتها ياسيدى بلا تردد .. وليرع الله أولادك كما رعاك صغيرا ، وكما يرعى كثيرين اختارت لهم الأمهات أو الآباء هذا المصير وضمهم إليك إذا أردت .. وتزوج من أخرى عسى أن يبدلك الله بهذه الكارهة من هى أفضل منها ، ومن ترى فيك أملها وفخرها ..

ومن تعوضك عما عانيته من آلام .. وكثيرات هن من لم تخل قلوبهن من الرحمة بالصغار .. لو أحسنت الاختيار وَكُنّ فى ظروف مماثلة لظروفك .. أما الأبناء فلا لوم عليك فى اضطرارك لقبول هذا الوضع لهم .. فلقد أردت لهم الا يكرروا مأساتك ، لكن قصرت الإرادة عن تحقيق الأمانى. ولسوف تعوضهم برعايتك وحنانك عما شاءت لهم إرادة الأم من مصير ، ولسوف تدفع هى ثمن إهانتها وظلمها لك ولهم غاليا من مستقبل أيامها لأن ظلمنا للآخرين ديون تستأديها الحياة منا فى أوقاتها .. فضلا عما نؤديه مضاعفا عنها .. يوم يكون الحساب □ .

وخز الشوك

□ أكتب إليك وأنا أواجه اختيارا صعبا ..

أحتاج معه إلى من يشير على بالرأى فيه .. فأنا ياسيدى شاب فى الأربعين من عمرى نشأت فى أسرة عادية . وكان أبى موظفا حكوميا مكافحا ونقيم فى حى الحلمية الجديدة ، ثم التحقت بكلية الحقوق .. وخلال سنوات دراستى الجامعية كانت هناك فى الحى فتاة جميلة مزهوة بنفسها تدرس بكلية التربية الرياضية ، وكان معظم شباب الحى يعجبون بها ويرون فيها فتاة أحلامهم .. وكانت هى تتيه فخارا بذلك ، ثم شاءت الظروف أن أتعرف عليها فى بيتنا حين أصبحت صديقة لأختى وجاءت لزيارتها . وفى هذا اليوم تحدثت إليها لأول مرة فأعجبت بها وتمنيتها لنفسى ، لكنى لم أجسر على إعلان أمنيتى لكثرة المعجبين حولها . وتكررت الزيارات فوجدتها ذات يوم تفاتحنى بأنها تجدنى شابا مختلفا عن الذين يلاحقونها بالتنهدات ومحاولات التعرض لها .. وأنها تأمل أن تتزوج ذات يوم من شاب مهذب مثلى .. فانهارت مقاومتى واعترفت لها بأنى أحبها ، فسعدت بذلك وشجعتنى ، وأصبحنا نتلاقى من حين لآخر .. وقدمتنى لزميلاتها بالكلية على أنى خطيبها ، وفاتحت أبى وأمى برغبتى فى خطبتها

فوافقا ، بشرط أن أؤجل أى خطوات للزواج إلى مابعد زواج شقيقتى الكبرى .. واصطحبت أسرتى ذات يوم إلى بيت أبيها الموظف الصغير بأحد الأندية الرياضية وقرأنا الفاتحة .. وتفرغت لامتحان الليسانس وكل أملى أن أحصل على تقدير عال يرشحنى للعمل فى القضاء لأن خطيبتى كانت تتمنى أن تتزوج من وكيل نيابة له هيبته !

وكافحت لتحقيق أمنيتها وحصلت على تقدير جيد .. لكن القدر لم يشأ لى أن أعمل بالقضاء ، وعينت بوظيفة قانونية فى إحدى الوزارات ، وصدمت حبيبتى فى ذلك ، لكنها لم تتمسك طويلا بهذا الأمل ، وبدأت أدخر معظم راتبى لتوفير متطلبات الزواج .. ورحت أعمل أعمالا إضافية لأكسب أكبر قدر ممكن من النقود ، حتى اصبحت أعمل طوال ساعات اليوم . وكلما توفر لى مبلغ أعطيته لأبى ليكون جزءاً من المهر ، وفى قمة انشغالى بذلك لاحظت على خطيبتى فتورا فى علاقتها بى .. فسألتها عن سره فلم تفدنى بشىء .. وفسرته لنفسى بكثرة انشغالى عنها .

وقررت أن أكثر من فترات خروجنا معا .. فاعتذرت عن العمل الإضافى ذات يوم ودعوتها للخروج فوافقت بعد إلحاح منى ، وكنا نذهب فى نزهاتنا معا الى كازينو صغير على النيل أمام مستشفى القصر العينى ، ونجلس أمام مائدة تطل على فرع النهر ، فاصطحبتها اليه .. وجلسنا فى نفس المكان وأنا أحس بأن ظلا ثقيلا يخيم على المكان وأحاول أن أطرد هواجسى .. فرحت أتحدث عما جمعت من المهر

وعن خطوات الزواج المقبلة ، فسألتنى متى تستطيع أن تدبر المهر والشقة ! فأجبتها اننى أستطيع أن أدفع المهر وأن نعقد قراننا بعد شهرين أو ثلاثة .. واننى أستطيع أن أجمع مبلغ خلو الرجل فى فترة عامين أو ثلاثة فنتزوج على الفور ، ففوجئت بها تقول لى أن الطريق طويل والعمر يجرى .. ثم تختم هذه المقدمة الفلسفية بأنه من الافضل لكل منا أن يبحث عن حياته فى طريق آخر . وصدمت وحاولت أن أثنيها عن أفكارها هذه .. وترافعت مرافعة طويلة عن حبنا وشبابنا وحقنا فى الحب والزواج ، فلم تتحرك عن موقفها ، وأصرت على أن نفترق على باب الكازينو ، وأن يذهب كل منا إلى طريق مختلف .. وصافحتنى بيد باردة واعطتنى ظهرها ومشت مبتعدة عنى إلى الكوبرى الصغير بجوار الكازينو ، وأنا أرقبها وهى تبتعد وإحساس مؤلم بالقهر والعجز يملأ كيانى ، ثم انصرفت بعدها حزينا وعدت لبيتى ، فأبلغت أسرتى بأن خطيبتى قد فسخت الخطبة لأنى فقير ولا أستطيع تدبير متطلبات الزواج بالسرعة الكافية . وثارت أمى وبكت شقيقتى الكبرى من أجلى وحزن أبى واخوتى الصغار وتحملت أقدارى صابرا .. وبعد أسابيع سمعت من أصدقائى فى الحى أن فتاتى خطبت لشاب يأتى إلى بيتها فى سيارة شيفروليه كبيرة . وأنها تخرج معه سعيدة ومزهوة كعادتها . واكتشفت أن أسرتى تعرف الخبر وقد حجبته عنى حرصا على مشاعرى .. وبعد أيام كنت واقفا على محطة الأتوبيس للذهاب إلى عملى .. فاذا بخطيبتى السابقة تمر أمامى فى سيارة خطيبها الجديد وهما يضحكان فى سعادة .. والتقت عيوننا فى لحظة خاطفة فإذا بها تنظر إلى بثبات ثم تتحدث مع خطيبها فيلتفت

وينظر إلى من الخلف بعد أن غادرتنى السيارة وفى عينيه نظرة تشفٍ غريبة تألمت لها .. وحدست أنها ربما قالت له أنى خطيبها السابق أو أحد الذين تمنوا خطبتها ، وجاء الأتوبيس فركبته . وشاء حظى أن يتكرر نفس المشهد فى شارع محمد على المزدحم بالمرور وأن يمر الأتوبيس إلى جوار السيارة الفارهة فيرانى الخطيب السعيد معلقا فى سلم الأتوبيس وينظر إلى نفس النظرة الغريبة .. بينما راحت فتاتى تتأملنى بإمعان كأنما تقول لنفسها انها لو ارتبطت بى لكان مصيرها التشعلق معى بالأتوبيس كما أفعل الآن . وأحسست بغصة جديدة فى حلقى وتمنيت لهما السعادة .

ثم توالت الانباء بعد ذلك فعرفت أنهما تزوجا وأقاما حفلا سعيدا فى فندق كبير ، وأنها انتقلت بعد تخرجها من الكلية إلى مدينة زوجها الساحلية ، وتزوجت فيها ، وعينت مدرسة بمدرسة ثانوية للبنات .. وانقطعت عنى أخبارها ٥ سنوات شفيت خلالها من حبها ومن آلامه النفسية . ثم رأيتها فجأة فى شرفة بيتها القديم خيالا أو كالخيال وقد اختفى رونقها .. ولاحظت أنها مريضة .. فاذا بحبها القديم يتحرك فى قلبى ووجدت نفسى أتلهف على معرفة أخبارها .. فسألت عنها شقيقتى وعرفت أنها عادت إلى بيتها غضبى من زوجها منذ فترة . وأنها ذاقت معه الأمرين من أول أيام زواجهما بعد ان اكتشفت أنه مدمن للخمر ، وأنه يشرب كل يوم حتى يفقد وعيه . ثم يضربها أو يطردها فى الليل . وعرفت أنه عولج مرات من إدمان الخمر ، لكنه ينتكس فى كل مرة ، وأن أهله قد نفضوا يدهم منه وأبعدوه عن عملهم التجارى ، ويخصصون لها مبلغا كل شهر يسلمونه لها لكى

تنفق منه على طفليها وعلى نفسها . ويرفضون اعطاءه قرشا واحدا فيعتدى عليها ليأخذ منها النقود وتألمت لما سمعت ، وعشت أياما وأنا حزين من أجلها . وتعمدت أن أمر أمام بيتها أكثر من مرة لأراها .. ثم استقر رأيى على قرار استجمعت ارادتى على أن أنفذه ، فأسررت به إلى شقيقتى ورجوتها أن تنفذه بلا معارضة ، وكلفتها بأن تذهب إليها وتبلغها باستعدادى للزواج منها ورعاية طفليها اذا رأت أن تطلق من زوجها الآن .. وذهبت شقيقتى إليها وفاتحتها فلم تجبها بلا او بنعم . وأبدت رغبتها فى أن تلقانى وتسمع منى ذلك شخصيا وطلبت أن يكون اللقاء فى مكان عملى لكيلا تجلس معى فى مكان عام. وجاءتنى فى العمل وروت لى ماتعانيه من زوجها .. ثم سألتنى : أمازلت تحبنى ؟ فأجبتها بالإيجاب .. فسكتت ساهمة ثم ودعتنى وانصرفت، وانتظرت قرارها على احر من الجمر ، وأرسلت إليها شقيقتى مرة أخرى ، فعادت تقول لى أنها فكرت طويلا فى الأمر وأنها ترى أن حملها ثقيل ، وأنى لن أستطيع تحمله .. لهذا فهى تعتذر وتشكرنى .. وصدمت صدمتى الثانية فيها ، وعادت بعدها بأيام إلى زوجها وعدت أنا إلى حياتى ويئست منها مرة أخرى .. فتزوجت من فتاة طيبة رشحتها لى أسرتى .. ووجدتها هادئة ومهذبة ومتطلعة للسعادة .. فرضيت بها ورضيت بى ، وتزوجنا وأنجبنا طفلين وعشت معها حياة هادئة ليس فيها حرقة الحب .. ولا عذاب المعاناة .. ورضيت بذلك .. ورضيت على زوجتى وأدبها وحسن معاشرتها لى ، وشغلت بطفلى وبمتاعبهما اللذيذة . وتحسنت أحوالى المالية بعض الشيء .. ثم فوجئت ذات يوم بجرس تليفون الترنك

الطويل فى مكتبى وبصوت فتاتى القديمة تقول لى أنها تحتاج إلى مشورتى القانونية فى بعض أمورها، وأنها ستزورنى فى عملى بعد يومين ، وانتظرتها باهتمام لا أنكره .. ثم جاءت فإذا بها ترتدى السواد وقد ازدادت نحولا وتجعدت بشرتها وظهرت بعض الشعيرات البيضاء فى شعرها ، وإن كان جمالها القديم مازال متوهجا .. وابلغتنى أن زوجها قد مات فى حادث سيارة وهو مخمور .. وأنها تواجه بعض المتاعب القضائية بسبب التركة ، وتحتاج إلى مساعدتى وطلبت منى أن أتولى أمورها مع المحامى الذى يباشرها .. وأبديت استعدادى وقدمت لها النصيحة المخلصة وسافرت . وبعد أيام طلبت منى أن أسافر إليها فى مدينتها لإنهاء بعض الأمور فسافرت .. وعدت فى نفس اليوم . وباشرت معها كل مشاكلها حتى انتهى معظمها وظفرت بنصيبها كاملا من التركة ، فقامت بنقل أطفالها الذين أصبحوا ثلاثة إلى مدارس القاهرة وعادت للإقامة فى بيتهم القديم .. وطلبت منى البحث لها عن شقة مناسبة وأديت المهمة بأمانة وأشرفت على انتقالها للشقة الجديدة .

وتكرر اللقاء بيننا لمثل هذه الشئون إلى أن قالت لى فجأة : أمازلت تحبنى ؟ .. فأطرقت برأسى ولم أجب .. فقالت فى ارتياح : أنت مازلت تحبنى .. أعرف ذلك تماما .. فماذا تنتظر ؟

وفهمت أنها تطالبنى بأن أتزوجها .. وأعترف لك بأنى اهتززت لهذه الفكرة رغم أنها لم تخطر لى ، ووجدت نفسى أفكر فيها طويلا .. ولاحظت زوجتى انشغال فكرى وسهومى .. وحاولت أن تعرف ما

يشغلنى فلم أستطع البوح لها به .. وكان أكثر ما يشغلنى هو أنى لاحظت على فتاتى القديمة أنها قد أصبحت شديدة العصبية ودائمة التوتر بطريقة مرضية . وسألتها عن سر ذلك فصارحتنى بأنها لاتنام بغير الاقراص المهدئة ، وأنها تتناولها بانتظام . والتمست لها العذر فيما لقيته من عذاب مع زوجها . وبدأت أسأل نفسى لماذا لا أتزوجها فأحقق حلمى القديم ، ويكون لى حق دخول مسكنها بلا حرج فأعوضها عن معاناتها .. وأعوض نفسى عن آلامى القديمة وأواصل حياتى الزوجية كما كانت .. وذات يوم سوف تعرف زوجتى .. وربما تلتمس لى العذر وتصفح عنى ونستمر فى حياتنا الهادئة كالماء الفاتر .. واسترحت إلى هذا الخاطر أو قل أنى سوغته لنفسى لأنه أرضانى ، وطرحت الفكرة عليها فإذا بها تفاجئنى بثورة عصبية شديدة وتطلب منى أن أطلق زوجتى قبل كل شىء .. وحاولت مناقشتها فإذا بها تسد كل أبواب المناقشة بعصبية شديدة .. وتقول لى أنها لم تتزوج من قبل وأن زوجها كانت يبيت بالأيام بعيدا عن بيته .. وانها لاتريد زوجا لنصف الوقت .. وإنما تريد زوجا كاملا .. ثم تصرخ بهستيرية وها قد جاءتك الفرصة التى تنتظرها منذ ١٥ عاما فماذا تنتظر .. وماذا تمثل زوجتك فى حياتك ؟ .. فلفت نظرها إلى أطفالى الذين أصبحوا ثلاثة .. صاحت بعصبية أشد : وهل مات أبوهم كما مات أبو أطفالى ؟ .. سترعاهم وسيتربون كما سيتربى أطفالى بعد موت أبيهم ؟ .. ووجدت أنه لا فائدة من المناقشة فتوقفت وانصرفت .. وراجعت نفسى فى تفكيرى وقررت أن أصرف النظر عن الموضوع كله .. لكنها لم ترحمنى ياسيدى فكلما بدا لها أنى أتماثل

للشفاء تقفز إلى حياتى مرة أخرى وتسألنى ماذا تنتظر ؟ ستضيع حياتك مرة أخرى وحياتى .. فأعود للتفكير فى أمرها ثم أنظر إلى زوجتى الراضية بحياتها .. والمستسلمة لأقدارها .. والطيبة دائما والتى لا أعانى معها أية انفعالات حادة لا بالحب ولا بالغضب أو بالكراهية فألوم نفسى على انقيادى لأفكارى .

ثم بلغت المشكلة ذروتها حين فوجئت برجل طويل عريض فخم يدخل إلى مكتبى ويقدم نفسه لى كرجل أعمال ويقول لى أنه يريد أن يتقدم لخطبة فلانة هانم .. وأنه تحدث إليها فطلبت منه أن يلتقى بى قبل أن تبدى رأيها لأنى « إبن خالتها » وأتولى شئونها وتحترم رأيى .. وسوف تسترشد برأيى الحكيم فى قرارها .. وانتهى اللقاء العصيب وأدركت أنها شوكة جديدة منها لكى أحزم أمرى وأتصرف معها .. فماذا افعل ياسيدى .. هل أستجيب لشرطها القاسى وأحقق معها حلمى القديم .. أم أواصل حياتى كما هى بلا مشاكل .. بماذا تشير على ؟ □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أشير عليك ياصديقى بالرأى الوحيد الجائز فى مثل ظروفك فأقول لك بلا تردد .. لاتبحث عن المتاعب وارض بحياتك المستقرة الهادئة التى قد تراها أحيانا خالية حقا من حدّة العواطف .. لكنها بالتأكيد خالية أيضا من حدّة العواصف والبراكين التى ستقيم عشك فى مهبها وتحت فوهتها اذا استسلمت لرغبة فتاتك المدمرة .. وهدمت أسرتك

وشردت أبناءك من أجلها .. فمعها قد تنعم ببعض العواطف اللاذعة التى تفتقدها فى حياتك الهادئة ، لكن المؤكد أيضا أن براكينها المتقلبة سوف تصب عليك من حممها من حين إلى آخر ماينسيك كل ما لقيته معها من فترات النعيم العابرة .

فهذا هو الحال مع طبيعة فتاتك البركانية التى لن تسمح لك أبدا بأن تحيا معها فى هدوء .. وإنما ستكون حياتك معها دائما كحياة بعض من ابتلوا بمثيلاتها .. فترات قصيرة لاذعة المتعة وفترات طويلة لاذعة الشقاء والتعاسة ولا وسط بين الاثنين .. ولاهدوء ولا أمن ولا سلام ،وإنما تقلبات متوالية بين السعادة والشقاء تتعاقب عليك كما يتعاقب الليل والنهار .

كل ذلك ولم أتحدث بعد عن زوجتك التى رضيت بك ورضيت بها وعاشرتك فأحسنت عشرتك وربطت بينك وبينها الأيام وذكريات الحياة المشتركة .. بل ولم أتحدث بعد عن أبنائك الذين تطالبك فتاتك بقسوة لا انسانية بأن تدمر حياتهم بحجة أنهم ليسوا أفضل من أبنائها الذين رحل عن الدنيا أبوهم .. كأنك انت المسئول عن ذلك أو كأن أطفالك هم المسئولون عن رحيل زوجها .

إنني أقول لك ان مجرد زواجك منها حتى لو رضيت هى بالابقاء على زوجتك وأولادك ظلم لهم جميعا لا يستحقونه منك .. ولاترضى به طبيعة إنسان عادل شهم مثلك .. وماأظنك تقبل لهم أن يدفعوا هم ثمن طموح فتاتك وأنانيتها التى دفعتها للتخلى عن أحلامكما وأنتما فى سن الشباب .

أما تفكيرك فى الاستجابة لطلبها والتضحية بزوجتك وأطفالك إرضاء لها ، فهو ليس ظلما لهم فقط .. وإنما هو جريمة أربأ بك أن تأثم بمجرد التفكير فيها .. كما أنه دليل جديد على أن فتاتك مازالت كعهدها شديدة الأنانية .. وشديدة الذاتية .. وشديدة الخيلاء رغم ماتوالى عليها من خطوب .. لقد رفضتك وأنت شاب فى سن الأحلام .. بسبب تطلعها إلى حياة أفضل .. ورفضتك وأنت تعرض عليها بشهامة أن تخلصها من معاناتها مع زوجها رغم ما فى ذلك من تضحية من جانبك ، وتمسكت بمعاناتها ربما أملا فى ألا تخرج من عناء حياتها بلا عائد مادى يعوضها عنه .. أو ربما حرصا على صالح أبنائها وطلبا لحقوقهم ولا بأس فى ذلك ، ولكن لماذا إذن تنكر عليك حقك فى أن ترجح مصلحة أبنائك وزوجتك .. ولماذا تطالبك بهذه التضحية القاسية كأنك أنت من صنع مأساتها وليست هى .. بل ولماذا تعود لإقتحام حياتك مرة أخرى من الأصل .. وقد شق كل منكما حياته فى طريق آخر كما طلبت هى منك فى لقاء الكازينو المأساوى وكما فعلت حين كانت تمر بك فى سيارة خطيبها الفارهة وأنت متعلق بسيارة الأتوبيس وتنظر إليك بثبات !

ياصديقى لاتلق بنفسك فى الجحيم .. وإطو هذه الصفحة بأكملها من حياتك .. وانظر إلى زوجتك بعين مختلفة .. وسوف تكتشف أن الأيام قد نسجت بينكما خيوطا حريرية متشابكة قد تبدو لك واهنة لكنها فى الواقع كثيفة وقوية وناعمة وفى منتهى الصلابة .. وقد اكتسبت قوتها من نسيج السنين والألفة والعشرة الطيبة وعشرات

الأشياء الصغيرة التى قد لاتبدو واضحة للعين المجردة .

فكل مايدور فى خاطرك الآن هو من تأثير عودة الأخرى إلى مجالك من جديد .. وإصرارها على أن تخزك بوخزات الشوك كل حين ، لكى يظل اللهيب داخلك مستعرا .. فاحتم بعشك وسعادتك وزوجتك الطيبة وأبنائك من هذا الوخز المستمر .. ودعها لحياتها كما تركتك لحياتك من قبل .. ولتتزوج هى ممن تشاء وخطابها كثيرون .. أو فلتتفرغ لرعاية أطفالها كما تفعل كثيرات .. فلقد فات الأوان لإصلاح الأخطاء .. واستقر النهر فى مجراه وأصبح من المستحيل أن يغيره بغير كوارث عديدة أنت فى غنى عنها □


مكتبة المهتدين الإسلامية

الانتقام

□ أرجو أن أستنير برأيك في مشكلتي ..

فلقد نشأت فى أسرة مرموقة اجتماعيا وأمضيت سنوات طفولتى وصباى سعيدة بين أبوين متحابين وإخوة متعاطفين .. وواصلت دراستى بتفوق إلى أن التحقت بكلية عملية .. وهناك رآنى مدرس بالكلية وتقدم لخطبتى .. ومضت أيام التعارف الأولى بسلام ، رغم أنى لاحظت عليه أنه كتوم يخفى أتفه الأمور ويراها ميزة من مميزاته .. ثم تمت الخطبة والزواج وعشت معه بكل الإخلاص والتفانى .. ورزقنا الله ببنتين وولد ، ثم مضت السنوات وتوفى أبى ، وكان زوجى يقدره ويعمل له ألف حساب ، فبدأت ألاحظ على زوجى علامات مريبة أسأله عنها فيراوغ ويستخدم ذكاءه فى إقناعى بأن ما أتصوره مجرد أوهام .. ثم بدأت أسفاره تكثر وبدأت الأعذار تتوالى للتأخر فى السفر أسبوعا بعد أسبوع .. وواجهته أكثر من مرة بظنونى ، فكان ينكرها ويتهمنى بسوء الظن .. فأسكت وأنا أحترق .. إلى أن جاء يوم ترك فيه البيت ليصلى مرتديا الشبشب الجلدى ، لأن المسجد قريب .. فمضت ساعة وإذا بسيدة تتصل بنا تليفونيا وتقول لنا أنه عندها فى البيت .. وأنه مريض وتدعونا

للحضور لاصطحابه إلى المستشفى .. وأسرعنا الى العنوان الذى أعطته لنا .. وكان قريبا من بيتنا ، ونقلناه للمستشفى وهو فى حالة غيبوبة ويعانى من نزيف فى المخ .. واكتشفنا أن السيدة التى اتصلت بنا هى زوجته عرفيا .. وأن زوجى أدى الصلاة ثم قاد سيارته بالشبشب إلى مسكنها القريب .. ورغم الكارثة التى كنا فيها فلقد تمنيت أن يفيق من غيبوبته ولو للحظة واحدة لأسأله كيف سمح له ضميره بأن يفعل بى هذا .. وكيف استطاع أن يعيش معى تحت سقف واحد وهو يخدعنى .. ولماذا لم يتحمل من أجل أولاده الذين يحبهم ولا يطيق أن يمسهم شيء .. ولكنه لم يفق .. وانتقل إلى رحمة الله .. ولست ادرى هل كنت حزينة عليه أم على نفسى ،وقد تفضلت « الأخرى » بالحضور للعزاء .. ومن حقها أن تفعل .. فلقد عاشت فى الظل وآن لها أن تشهر زواجها ولو بعد فوات الأوان .. ولن تجد فرصة أفضل من هذا التجمع مع الأهل والأقارب والمعارف فى أيام العزاء .. وفى وسط هذا الإحساس المتناقض الذى يتفاعل داخلى وأنا جالسة وسط المعزيات ، قررت أن أتزوج ! وبأسرع مايمكن ! وعلى أن تكون العصمة بيدى !

وتقدم لى أرمل من الأصدقاء توسمت فيه الطيبة والتدين ووافق على شرطى .. واستخرت الله وقبلت الخطبة ، فإذا بأولادى الذين كبروا وأصبحوا فى الجامعة وتزوجت منهم ابنتى منذ عامين ، يرفضون زواجى ويثورون ثورة عارمة .. لماذا هل أنا مطالبة بالوفاء لذكرى من خدعنى ولم يحترم وجودى وأنا حية أرزق الى جواره ؟

ثم رفض أبناء « الآخر » للأسف زواجه منى ، وثاروا وهددوه بقتلى إن فعل رغم أنهم كلهم متزوجون ويعملون خارج مصر .. فهل هذا عدل ؟ وهل من حق أحد أن يطالبنى بالوفاء لمن لم يكن لى ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ربما لايكون من حق أحد أن يطالبك بالوفاء لمن لم يكن وفيا لك .. لكن من حق أبنائك بكل تأكيد أن يطالبوك بمراعاة الإعتبارات الاجتماعية والعائلية العديدة التى تفرض عليك أن تتريثى لفترة معتدلة قبل التفكير فى الزواج بعد أبيهم ، فليس هكذا تتصرف من تحرص على مشاعر أبنائها الكبار وعلى الشكل الاجتماعى والعائلى العام للأسرة .. وليس هكذا تفعل أشد الزوجات ضيقا بعشرة أزواجهن الراحلين .

إن من حقك الزواج بعد رحيل زوجك سواء كان وفيا لك أم لم يكن .. ورأيى دائما هو أن المرأة إذا آنست فى نفسها الرغبة فى الزواج بعد رحيل زوجها ، ولم يتعارض ذلك مع واجباتها والتزاماتها تجاه ابنائها .. فان الزواج يكون دائما أكرم لها وأصون لحرماتها .

لكن ذلك لايعطيك أبدا الحق فى أن « تُضفى » على زواجك هذا الشكل الانتقامى الذى يسىء إلى ذكرى زوجك وإلى كرامة أبنائك واليك انت قبل الجميع .. ولاتفسير لهذه الرغبة المتعجلة عندى سوى أنه يخيل إلى أنه لم تربطك بزوجك الراحل علاقة حب من جانبك

طوال رحلة زواجكما ، لأن من أحبت زوجها ذات يوم وحتى ولو اكتشفت غدره فيما بعد ، لايكون كل ماتتمناه وهو بين الحياة والموت أن يفيق من غيبوبته لحظة لكى تحاسبه حساب الملكين عن زواجه سرا بأخرى. وإنما يكون دعاؤها وأمنيتها فى هذه اللحظات العصيبة بأن يحفظه الله وأن يعيده سالماً إلى بيته وأبنائه وليكن بعد ذلك مايكون ، كذلك فإن من أحبت زوجها ذات يوم لاتقرر أن تتزوج بعده وهى جالسة تتلقى العزاء فيه .. ولا تسارع إلى بحث الارتباط بآخر ولما تمض شهور على رحيل زوجها الذى عاشرته رحلة العمر .

تسألين عن العدل .. أقول لك أنه من العدل أيضا ألا يغفل الإنسان كل الاعتبارات التى تتعلق بالآخرين حين يفكر فى أمر يخصه .. وأنه من العدل أيضا ألا يكون مشغولا سوى بنفسه فقط ! وينسى كل شئ آخر ! هذا هذا هو العدل إن أردته حقا وصدقا □ .

الحلم الغامض

☐ أرجو أن تقرأ رسالتى هذه ..

وأن تهتم بالرد عليها لأنى أكتبها إليك بدموعى ، فأنا ياسيدى سيدة فى السابعة والثلاثين من عمرى . وقد بدأت قصتى منذ سنوات طويلة حين كنت طالبة بالمعهد العالى للتمريض ، وأحببت مهندسا شابا يكبرنى بخمسة عشر عاما .. وارتبطت به نهائيا ، وقررت ألا أكون لغيره . لكن لأن حبيبى من هؤلاء الأشخاص العقلاء جدا جدا الذين يفكرون فى كل قرار ألف مرة قبل اتخاذه ، فقد تأخر قرار زواجنا عشر سنوات كاملة . وتمت الخطبة وكنت قد تخرجت وسافرت وحيدة للعمل بإحدى الدول العربية ٤ سنوات اشتريت خلالها كل ماترغب فيه فتاة للزواج ، وعدت لمن اختاره قلبى ، ففاجأنى بانه قد أجرى بعض التحليلات وتبين له أنه لاينجب . ودارت بى الدنيا حين علمت بذلك لأنى منذ صغرى شديدة التعلق بالأطفال وشديدة اللهفة عليهم .. وبعد تفكير طويل ومعاناة استسلمت لإرادة الله وتزوجنا وعشنا فى سعادة بالغة . ووجدت فى حياتى معه كل ماتمنيته فى زوجى ، فهو متدين وعاقل ومهذب ، وطوال هذه السنين كان الأمل فى إنجاب طفل يراودنى من حين إلى

آخر كحلم غامض لا أعرف تفاصيله ولا كيف يمكن أن يتحقق .

وقادنى هذا الأمل الغامض إلى دفع زوجى لمواصلة إجراء التحليلات له ولى إيضا ، على أمل أن يأذن الله بالشفاء ونتوِّج سعادتنا بطفل جميل .. وفى سبيل هذا الحلم سافرنا إلى امريكا حيث يقيم أخى ، وعرضنا نفسينا على أكبر الأطباء وأجرينا عشرات الفحوص والتحليلات .. فاذا بالأطباء هناك يفاجئوننى بحقيقة مذهلة هى أنى لايمكن أن أنجب – أنا وليس هو كما كان الحال فى البداية – وبأنى أعانى مما يطلق عليه سن اليأس المبكر الذى يأتى لمن كانت فى مثل حالتى النادرة فى سن الثلاثين من عمرها .. ويعنى ذلك استحالة الإنجاب إلا بمعجزة من الله سبحانه وتعالى .. فقررت أن أتحمل قدرى وأن أشغل نفسى عن التفكير فى الأطفال بالمشاركة فى النشاطات الاجتماعية ، فذهبت إلى أكثر من جمعية خيرية وتبرعت بنقود وملابس للأطفال اليتامى .. لكن كل ذلك لم يشبع حنينى إلى أن يكون لى طفل صغير ينادينى « ماما » .

أما زوجى الحبيب فلأن أباه قد توفى وهو مازال طالبا بالجامعة وترك له ٦ أشقاء كان أكبرهم وقتها فى الخامسة عشرة من عمره وأصغرهم جنينا فى بطن أمه ، فلقد مارس إحساس الأبوة معهم حتى شبع منه وزهد فيه .. فعرف مشاكل المدارس والمصاريف وكل شىء .. وكان الأب والأخ الأكبر لأخوته حتى تعلموا وتخرجوا جميعا . وأصبح أصغرهم – الذى لم يعرف له منذ ولادته أبا سوى شقيقه الأكبر ونشأ يناديه « بابا » – مهندسا زراعيا ، لهذا فقد أحس

زوجى بعد تخرج أصغر إخوته أنه قد أدى رسالته فى رعاية إخوته وأن له أن يهدأ ويستريح .. واتجه إلى الله وأدى فريضة الحج . ومن رحمة ربى أنه لايفكر فى الأطفال .. بل ويخيل إلى أنه يحمد الله فى أعماقه على أنه لم ينجب .

لكن الحلم الغامض لم يفارقنى أبدا ياسيدى فظل يراودنى من حين إلى آخر . وبعد بحث جاد علمت أن هناك أماكن للقطاء واليتامى .. وأنى أستطيع أن أتبنى طفلا منهم .. فتعلق أملى فى إشباع أمومتى بحضانة طفل من هؤلاء الأطفال . ولأنى أعرف أن التبنى حرام ، فقد ذهبت إلى إحدى دور هؤلاء اللقطاء وقابلت المسئولين فيها ، وعرفت منهم أنى أستطيع أن أحتضن طفلا على أن يظل محتفظا باسمه المستعار الممنوح له فى الدار .. ثم اصطحبنى المسئول بعد الحديث لرؤيتهم فوقفت مذهولة وأنا أرى حولى كل هذه البراعم الجميلة وكل هذه البراءة التى لاتعرف من أين جاءت ولا إلى أين ستذهب .. فانفجر فى داخلى ينبوع عذب من الحب والحنان واللهفة على هؤلاء الأطفال .. وخرجت وأنا لا أرى الطريق .. وكدت اصطدم بسيارتى أكثر من مرة .. لأنى لا أرى الطريق من وراء غلالة الدموع التى تغطى عينى وتنهمر بغزارة على فستانى .. ودخلت بيتى وأنا لا أتخيل لنفسى حياة بغير طفل من هؤلاء الأطفال .. وأتخيل ماسوف يحدثه من تغييرات فى بيتنا الصامت والحياة التى سوف تدب فيه .. والعناء اللذيذ الذى سوف أتحمله سعيدة فى إعداد طعامه ونظافته وملابسه وألعابه وكيف سأربيه .. وكيف سأعلمه دينه وآداب التعامل وكيف سأشكو من متاعبه لصديقاتى وقلبى يزغرد سرا فرحا

بها .. فإذا بزوجى العاقل الذى يحكّم العقل فى كل شىء يرفض الفكرة من أساسها . ويبرر الرفض بأن التبنى حرام ، مع أنى سألتزم بما يقضى به دينى فى ذلك ، وبأنه بعد أعوام قليلة سوف يصل إلى سن الستين وسيحتاج إلى كل رعايتى وحبى وحنانى ، وأن هذا الطفل سوف يأخذنى منه مع أنى والله العظيم سيدة بيت ممتازة وأستطيع أن أجمع بين رعاية طفل ورعاية زوجى بغير أن أقصر فى حق شريك حياتى .. أما آخر مبرراته فهو أن هذا الطفل سوف يتعقد حين يكبر ويخرج إلى الحياة ويعرف أنه ليس إبننا .

إننى أعمل براتب كبير ولى سيارة وشقة بها كل مايحتاج اليه الأطفال .. واسألك هل يتعقد الطفل إذا نشأ فى أحضان أسرة وبين أبوين بديلين يحبانه ويرعيان مصالحه ..أم إذا ترك لمصيره ونشأ فى ملجأ للأيتام .. وأى مستقبل أفضل ينتظره .. فى أحضاننا .. أم فى هذا الملجأ ؟ .. إننى لا أجادل فى تحريم التبنى .. لكن أسأل ماهى حكمته .. وأنا أعرف أن الدين لا يحرِّم عملا سيكون من شأنه أن يحقق خيرا لطفل محروم وينقذه من مصير أسود فى المستقبل .

إننى الآن ياسيدى أحيا بلا أمل ولا هدف .. وأرضى بحكم ربى وبحرمانى من الإنجاب .. لكنى أتعذب وأنا أرى هؤلاء الأطفال الصغار الأبرياء .. وأعرف أنى أستطيع أن أرعى أحدهم أو إحداهن .. ثم لا أفعل لأن زوجى لايريد .. أو لأن هناك شبهة فى تحريم ذلك .. أليس من حقى أن أعطى مابداخلى لرضيع لاذنب له فى وجوده فى ملجأ للأيتام واللقطاء .. أو ليس إسم زوجى وإسمى أفضل له من الإسم المستعار الممنوح له فى دار الأيتام ؟ ☐ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

رعاية طفل محروم مع عدم ادعائه أى عدم نسبته إلينا فى الأوراق الرسمية حتى ولو كان لقيطا، أمر يدعو إليه الدين ويشجع عليه ، أما عن حكمة تحريم إدعائه فهى معروفة، ولا مجال هنا لاسترجاعها كاملة ، لكن أبسط أسبابها أن إدعاء غير أبناء الظهور والبطون يجعل منهم محارم لمن ليسوا محارم لهم فى الحقيقة ، وحلائل لمن يمكن أن يكونوا محارم لهم فى الحقيقة .. مما يحلّ حراما ويحرم حلالا .. فبنسبته لك مثلا يصبح محْرما لك ولشقيقاتك ولشقيقات زوجك ، فى حين أنه فى الحقيقة ليس محرما لكن جميعا ، وأنتن جميعا تحللن له فى أى مرحلة من العمر . وفى نفس الوقت فإن إدعاءه لك يجعله حلالا لمن يمكن أن تكون أخته أو خالته أو عمته اعتمادا على نسبته إليكما وهو فى الواقع محرم عليهن جميعا وهكذا .. فضلا عن أنه يؤدى إلى اختلاط الأنساب وحرمان من لهم حقوق شرعية فى الميراث مما يوغر صدورهم عليه ويحفزهم ضده .. إلخ . وتجنبا لكل هذه المحاذير فلقد أمرنا الله بأن ندعوهم لآبائهم .. فإن لم نعلمهم فأولياؤنا وربائبنا وأبناؤنا بالتربية والرعاية والفضل .. ولا أطيل فى هذه النقطة لأنها معلومة ومعروفة .. ويبقى بعد ذلك أن أقول لك أن من حقك أن تشبعى أمومتك فى رعاية طفل محروم بغير نسبته لك ولزوجك ، ومن واجب زوجك العاقل المنصف ألا يتجاهل احتياجك الإنسانى هذا .. ولعل الأنسب لك هو أن تحتضنى طفلة صغيرة تبعث فى حياتكما أنغاما سعيدة جميلة ، وتجعل لحياتكما قيمة وهدفا ومعنى .. ولاشك

أن زوجك لن يعارض طويلا فى أن يحقق لك هذه الرغبة الإنسانية خاصة إذا حاول أن يكون بعيد النظر وهو العاقل الأريب دائما ..

فيرى ماذا يمكن أن تصنعه هذه الطفلة فى حياتكما بعد رحلة السنين ،وحين تخلدان إلى وحدتكما وتحتاجان إلى من لاتشغله عنكما مشاغل الحياة .. وإلى من يهتم بأمركما وتهتمان بأمره .. ومن يجدد إهتمامكما بالحياة والمستقبل .. فالإنسان ياسيدتى يحتاج دائما إلى من يعتمدون عليه فى حياتهم تماما كما يحتاجون هم إليه .. وكلما اتسعت دائرة من يتطلعون إلينا أحسسنا بأن حياتنا لها قيمة ومعنى ، وبأننا نعيش لأكثر من طعامنا وشرابنا .. فلماذا يريد زوجك ألا يكون لحياته معنى سوى عنده وعندك فقط .. ولماذا يريد أن يحكم على نفسه بالحبس الانفرادى فى شيخوخته ، وفى مقدوره أن ينجو منه بإرادته الخيرة .. إن الشجرة المثمرة لاتشكو الوحدة أبدا لأن هناك دائما من ينتظرون ثمارها ويستظلون بظلها .. أما الشجرة الجرداء فمن ذا الذى يستظل بظلها .. وهى لاظل لها أصلا ! وأصحاب القلوب الحكيمة ممن حرموا من الإنجاب يعوضون ماحرموا منه برعاية أبناء إخوتهم وأقاربهم .. وأبناء الضعفاء من حولهم .. ويهتمون بتوسيع دائرة ظلهم على من حولهم .. فإن لم يكتفوا بذلك فعلوا ماتفكرين فيه وتحملوا مسئولية رعاية طفل أو أطفال محرومين .. فأفادوا هؤلاء المحرومين وأفادوا أنفسهم وأفادوا الحياة .. وهناك من يفضلون التكفل برعاية طفل مع بقائه فى قرية الأطفال أو الملجأ والاهتمام بأمره وزيارته فى مواعيد دورية وممارسة مسئولية الأبوة معه فى اتخاذ القرارات التى تحدد مستقبله فى الدراسة والعمل ،

باعتباره راعيه والمسئول عنه . ولاجدال فى أن ماينتظر طفلاً ينشأ فى رعاية أبوين بديلين مثلكما أفضل بكثير مما ينتظره إذا شب فى ملجأ للأيتام ، ولا محل للجدال فى هذه النقطة .. ولاشك فى أن إبنة بديلة لكما سوف تلبى لكما معا احتياجات انسانية عميقة فى الحاضر والمستقبل .. وسوف تتواصلان مع الحياة فيها وفى أبنائها حين تزوجانها باذن الله وتسعدان معا بأحفادكما منها

فكيف إذن يرضى لك زوجك المحب المتدين بأن تتلهفى شوقا إلى طفل محروم وفى استطاعته واستطاعتك تحقيق هذه الرغبة بغير مخالفة تعاليم ديننا .. إننى لا أتصوره يرفض الفكرة فى الحقيقة كما يبدو لك ، وإنما أتصوره كعادته فى إطالة التفكير ألف مرة فى كل الأمور .. يقلّب الأمر على جميع جوانبه فى داخله قبل أن يعلن قراره بالموافقة .. وكل رجائى له ألا يحتاج الى ١٠ سنوات أخرى قبل أن يحزم أمره ويعلن قراره كما فعل من قبل فى قرار الزواج .. وشكرا له مقدما ! □

المشهد القديم !

□ ترددت أكثر من مرة فى الكتابة إليك ..

لكن قراءتى لرسالتى « الحجرات الخالية » و« زهور الحياة » اللتين تتحدث فيهما سيدتان عن ذكرياتهما مع زوجيهما الراحلين ، قد شجعتنى على أن أروى لك قصتى ، فمنذ سنوات كنت طالبة بكلية الهندسة وكنت كبرى اخوتى ومن أسرة ميسورة الحال .. فاقبلت على دراستى بحماس .. وفى السنة الأخيرة لفت نظرى زميل لى شاب أسمر طويل أنيق طيب الخلق عذب الحديث .. لاحظت اهتمامه بى .. وقبيل أدائنا امتحان البكالوريوس فاتحنى برغبته فى الارتباط بى .. وقال لى أنه من أسرة بسيطة ، فوعدته بعرض الأمر على أسرتى ، وفاتحت أمى قبل الإمتحان بأيام وعرضت عليها الموضوع بأمانة فعارضت بشدة فى ارتباطى به بسبب ظروفه ، لكنها وجدتنى أميل اليه .. فلم تصمد فى معارضتها طويلا وأعلنت موافقتها. وتقدمنا للإمتحان معاً سعيدين بما توصلنا اليه ، ونجحنا معا وتقدم لأسرتى يخطبنى .. واشترطت أمى ألا تطول الخطبة وأن يتم الزواج بغير إبطاء ، وكان ذلك صعبا عليه لظروفه .. فساعدتنا أمى على الزواج بمالها . وتزوجنا فى شقة صغيرة يمتلكها بحى شعبى .. ومضت أيامنا كلها

سعادة وحب وتفاهم .. وعملت أنا وزوجى بكل طاقتنا لبناء حياتنا ، وبعد عام من زواجنا رزقنا الله بطفلة جميلة أنستنا كل مانعانيه من مشقة فى كفاحنا بضحكاتها ومداعباتها .. ومضت حياتنا جميلة ناعمة .. وفى كل شهر نضيف إلى عشنا الصغير جهازاً كهربائيا نحتاج إليه ، أو قطعة أثاث تنقصنا ، وأنا أعمل بجد وزوجى يعمل بكفاح مستميت ولياليناكلها بهجة وصفاء وسرور مع ابنتنا الصغيرة .. وأثّر الكفاح على زوجى سريعا فبدأ لون وجهه فى الشحوب ، وأشفقت عليه مما يتكبده من عناءٍ لإسعادنا ، وطالبته بأن يريح نفسه قليلاً وبألا ينسى أن لجسده عليه حقا .. فكان يعدنى بذلك ثم يعود إلى دورة الشقاء مرة أخرى .. ويزداد لونه شحوبا ، وخشيت عليه من الإرهاق المستمر ، فطالبته بأن يعرض نفسه على الطبيب فوعدنى ولم يفعل .. وألححت عليه كثيرا حتى استجاب لإلحاحى الدائم ، وذهب إلى الطبيب وغاب عنده ساعتين ثم عاد ساهما واجما .. وسألته عما به فأجابنى بأن الطبيب قد طمأنه إلى أن الأمر لايعدو الإرهاق بسبب كثرة العمل ، وأنه فى حاجة للراحة لعدة أيام .. واطمأن قلبى لكنى لاحظت عليه بعد ذلك أنه أصبح كثير الصمت وضبطته أكثر من مرة ينظر إلى نظرات طويلة وعيناه ممتلئتان بالدموع ، فإذا سألته عما به تضاحك وحاول أن يضحكنى ، فبدأ القلق يساورنى بشدة لأنه من ذلك النوع النادر من الناس الذين يشركون الآخرين فى أفراحهم ويستأثرون بأحزانهم لأنفسهم .. فكان يشركنى معه فى أفراحه ويحجب عنى دائما آلامه لرقة إحساسه ولرغبته الكامنة فى اسعادى .. ثم زاد قلقى عليه حين لاحظت أنه أصبح يتردد بانتظام على الطبيب محاولا إخفاء ذلك عنى وصحته

تزداد تدهورا ، فقررت أن أعرف حقيقة الأمر .وانتظرت ذات يوم إلى أن خرج إلى موعد الطبيب وتتبعته بغير أن يرانى لأعرف إسم الطبيب الذى يتردد عليه .. ورأيته يدخل عيادته ، فعدت من فورى .. وفى اليوم التالى خرجت من عملى إلى عيادة هذا الطبيب وطلبت مقابلته وقدمت له نفسى ورجوته أن يخبرنى بحقيقة مرض زوجى .. فرفض بإصرار وانصرفت محطمة .. لكنى عدت له بعد ذلك أكثر من مرة وألححت عليه باكية أن ينقذنى من عذابى وأن يمكننى من مساعدة زوجى الذى يجنبنى مشاركته فى آلامه ، فتردد قليلا ثم صارحنى بأنه مريض بمرض يصعب علاجه .. وأن الأمل الوحيد فى شفائه هو معجزة إلهية .. فكدت أسقط على الأرض وتحاملت على نفسى وعدت إلى بيتى وأنا لا أرى الطريق .. وعشت مع زوجى ألاحظ شروده واستغراقه فى التفكير ولا أستطيع أن أحدثه عن مرضه .. وبعد شهور قليلة غاب عنى زوجى الحبيب إلى الأبد .. وتركنى مع إبنتىْ وحيدتين فى بحر الحياة .. وواجهت أقدارى وعشت مع إبنتى الوحيدة فى بيتنا الصغير الذى رفرفت عليه السعادة ٨ سنوات كانت هى أجمل سنوات العمر .. وذكريات زوجى العزيز تعايشنى فى وحدتى وفى خيالى دائما ، ومضت السنوات بخيرها وشرها وكبرت إبنتى والتحقت بكلية العلوم ، وانتقلت فى دراستها من سنة إلى أخرى بنجاح وأنا أرقبها بفخر وأرى فيها صورتى وأنا شابة فى مثل سنها وكلِّى إقبال على الحياة وبراءة فى المشاعر ، حتى بلغت مرحلة البكالوريوس هذا العام ، ثم اقترب الإمتحان وفوجئت بها تعود إلى قبل موعده بأيام وتفاتحنى بأن أحد زملائها يرغب فى الارتباط بها ، وأنها تميل إليه وتطلب موافقتى لكى يتقدم لخطبتها بعد نجاحهما معا فى

البكالوريوس .. فإذا بى أغيب عن الحاضر بغتة وأرى نفسى فى مثل موقفها .. وفى نفس الموعد قبل إمتحان البكالوريوس بأيام وأنا أحدِّث أمى بنفس الحديث .. ونفس الكلمات وبنفس الرغبة فى الحصول على موافقتها قبل أن تنتهى الدراسة ويفترق الزملاء وتفارق بينهم الحياة ، ووجدت نفسى عاجزة عن أن أجيبها برأى وأرجوها إمهالى فترة للتفكير ووجدتنى وأنا فى الخمسين من عمرى أمام نفس القصة ونفس المشهد .. وكل ما فى أعماق يطالبنى بالرفض خوفا من أن تكون نفس البداية لنفس قصتى فتشرب من نفس الكأس التى شربت منها ، وتواجه الحياة وحيدة بعد سنوات معدودة من السعادة ومازلت أفكر .. وأتمنى أن أقوى على الرفض ، لكنى أخشى أن أعلن رفضى النهائى فأحطم بذلك قلبها وأحرمها من سعادتها ولو لسنوات قليلة من العمر .. إننى حائرة .. وتائهة فماذا افعل ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ليس فى قانون الحياة ياسيدتى مايفيد أن سوء الحظ ينتقل بعوامل الوراثة من الآباء والأمهات إلى الأبناء ، ولو تكررت المصادفة مائة مرة فإنها لا تصنع قانونا يؤكد توارثه . وحيرتك واضطرابك أمام رغبة إبنتك المشروعة فى الإرتباط بمن تميل إليه لايمكن تفسيرهما بهذا الخوف عليها وحده من أن تتكرر نفس القصة ، وإنما هو فى ظنى يختلط عندك بعوامل أخرى متشابكة قد يكون منها أن قصتك مع الزواج قد تشابهت بشكل أو بآخر مع قصة أمك معه لأنك لم تشيرى لأى دور لأبيك فى زواجك وحياتك ، ولو صح ذلك فإنه لايكفى أيضا دليلا على صحة

مخاوفك أو على معقوليتها .. فنحن نعيش حياتنا ونحن نعرف جيدا أن الله قد يستردها منا فى أية لحظة ، ولايمنعنا ذلك من أن نحيا ونعمل ونقبل على الحياة ونحلم بالغد ونطمع دائما فى رحمة الله .

وربما يكون من هذه العوامل أيضا أنك قد أفقت فجأة على الحقيقة التى تهزنا حين نكتشف بغير مقدمات أن دورة الأيام قد دارت ، وأن صغارنا قد كبروا وأوشكوا على أن يكرروا قصة الحياة الأبدية .. فتشابكت عندك مشاعر الخوف من الوحدة الوشيكة مع قرب انفصال إبنتك عنك ومشاركة آخر لك فيها بمشاعر الخوف الإنسانية النبيلة التى لا أشك فى صدقها من أن يصادفها سوء الحظ الذى صادفك .

وهذا احساس انسانى مشروع .. وكلنا نرجو لأبنائنا دائما أن تعفيهم الحياة مما فرضته علينا من ضرائب وآلام .

لكن خوفنا على أبنائنا من حوادث الطريق مثلا ، لايعطينا الحق فى أن نسجنهم فى البيوت حفاظا عليهم ، وليس من حقنا أن نحرمهم من حقهم الطبيعى فى أن يشاركوا فى مباراة الحياة فيسعدوا أو يشقوا كلّ كما سُطِرَ له فى اللوح المحفوظ لمجرد أننا نخشى عليهم معاناة الشقاء .

فتمالكى نفسك ياسيدتى .. واحتفظى بخوفك النبيل هذا فى حدوده الطبيعية مع التسليم دائما باننا لانملك لأبنائنا مهما فعلنا سوى الدعاء والأمنيات الطيبة بأن تكون رحلتهم فى الحياة أقل مرارة من رحلتنا وأكثر سعادة .

وأنت قد أديت رسالتك على خير ما تستطيع أم مضحية مثلك أن

تفعل .. فتفرغت لرعايتها وتنشئتها حتى استوت زهرة جميلة تتطلع لنصيبها العادل منَ السعادة .. أفإذا اكتمل نموها وتفتحت الوردة التى غرستها ورعيتها وحان قطافها يكون ذلك مبررا للإكتئاب بدلا من الفرح والسعادة ؟ .

وإذا كان المشهد القديم قد تكرر فجأة أمامك ، فاستدعَى ذكرياتك الماضية ، فلماذا لاتستدعين أيضا باقى تفاصيله فتستعيد ذاكرتك كذلك أن امك لم تصمد فى معارضتها لرغبتك طويلا ، وأنها سلمت برغبتك إكراما لك وساعدتك بمالها على اتمام زواجك ممن اخترت ، وطلبت لك السعادة كما تطلبها كل أم لابنتها .. فلماذا لاتفعلين مثلها وتطلبين السعادة لإبنتك وتعينينها عليها ، ثم تتوجهين بعد ذلك بالدعاء إلى الله بأن تكون ملاحتها فى بحر الحياة آمنة وهادئة وواعدة بكل خير وسعادة وجمال ..

وهل تملكين لها مهما فعلت سوى ذلك ؟ □

بحـــر الشقــــاء !

□ أنـا فتـاة فـى السادسـة والعشريـن مـن عمـرى .

تنبهت حواسي فوجدت نفسى بنتاً وحيدة لأم تعمل بالتعليم ونعيش معا فى شقة واسعة بلا أب ولا أنيس .. وحين بلغت العاشرة من عمرى رأيت أبى لأول مرة حين جاء لزيارتى ، فأحسست بإحساس غريب تجاهه .. وبأنى فى حاجة اليه مع أنى لم أعرفه من قبل .. ثم اصطحبنى معه ليشترى لى بعض الملابس .. فكنت فى قمة السعادة . وانتظرت أن يظهر فى حياتى مرة أخرى ، لكنى عرفت أنه قد سافر للعمل فى دولة عربية مع زوجته الجديدة وأبنائه الذين لم أرهم .. وأنه قد جاء ليرانى قبل السفر . وهكذا اختفى أبى مرة اخرى من حياتى .. وبعد ٤ سنوات جاء ليرانى فلم تسمح له أمى برؤيتى .. ولم أعرف بوجوده .. ثم رحل عن الحياة بعدها بستة شهور .. وبعد وفاة أبى زارنا لأول مرة أخوتى ومعهم أمهم بسبب اجراءات المجلس الحسبى .. واكتشفت أن لى أخوين رقيقين وأختين توءما فى غاية اللطف والرقة .. واكتشفت أن أمهم سيدة رزينة لطيفة لاتريد أن تحرم أبناءها من الاقتراب منى .. وتعمل على التقريب بيننا .. فأحببتهم جميعا وتمنيت لو عرفتهم أكثر .. وبعد ذلك سافرت

زوجة أبى لمواصلة العمل فى نفس البلد .. وواصلت أنا دراستى حتى أنهيتها وعملت .. وانقطعت بيننا الصلات تقريبا لمدة حوالى ٨ سنوات. وذات يوم كنت فى البيت فى الصيف الماضى فدق جرس التليفون ومددت يدى إلى السماعة فاذا صوت شاب يقول لى : أنا فلان ثم نطق بإسمه الثلاثى .. وكنت أعرف أسماء أخوتى بالطبع فعرفت أنه اكبرهم .. ورحبت به بسعادة فأبلغنى بأنهم قادمون لزيارتنا بعد قليل .. وجاءت أرملة أبى وأخوتى واستقبلتهم أمى بحفاوة .. وكنا فى أيام العيد ، فإذا بأرملة أبى تقول لإبنها الأكبر قم فقبل أختك واعطها عيديتها ، فقبلنى وقدم لى العيدية .. فسعدت كثيرا بمشاعره ومشاعر اخوتى ،لكنى رفضت العيدية لسبب بسيط هو أنى أكبر منه سنا ، وكان يكفينى فقط أن أحس بهذه المشاعر الأخوية التى حرمت منها طوال حياتى .. وبعد ذلك توالت اللقاءات والزيارات بيننا فقد عادوا نهائيا لمصر واستقروا فيها .. وزرت اخوتى فى بيتهم وأحببتهم كثيرا وأحبونى وأحببت حياتهم المتفتحة للحياة وللناس بلا تحفظات ولا عقد .. وتوطدت الصداقه بينى وبين أكبر اخوتى بصفة خاصة ، وزاد من عمقها أنى اكتشفت أنه يعانى من مرض السكر منذ صغرة وأنه حنون وطيب القلب. ثم أصيب ذات مرة بالغيبوبة وهو فى زيارتنا .. فتمزق قلبى من أجله وازدادت محبته عمقا فى قلبى .. ثم حدث أن افتتحت شركتنا فرعا لها فى الحى الذى يقع فيه بيت اخوتى فطلبت الانتقال إليه لأكون قريبة منهم .. وتواصلت اللقاءات بيننا .. وأحسست معهم أنى قد وجدت ماكنت محرومة منه طوال حياتى من ألفة وأخوّة وحنان واهتمام .. وكان من

الممكن أن تزداد سعادتى بذلك لولا أن أمى بدأت فجأة تضيق بهذه العلاقة الجديدة .. فبدأت تروى لى الكثير عما عانته مع أبيهم .. وكيف أنها رفضت الزواج بعد طلاقها من أبى لكى تتفرغ لى وترعانى .. ثم تعدَّت التلميح إلى التصريح وطلبت منى عدم دعوتهم لزيارتنا .. بحجة أنها قد أشاعت عن نفسها عند الجيران أنها أرملة واننى إبنة وحيدة ولا تستطيع أن تبرر للناس وجود شابين فى زيارتنا مرات كثيرة .. أو خروجى معهما فى سيارتهما ! فقلت لها متعجبة لكنهما أخواى .. فاجابتنى بحزم .. نعم لكن الناس لا يعرفون ذلك .. ومن هنا بدأت متاعبى مع أمى .. لقد بدأت أمى تغار من اقترابى من إخوتى ، وتعمدت أن تهيننى أمام أكبر أخوتى فى منزلنا ، وبدأت تعترض على مكالماتى التليفونية الطويلة معه ، ثم طلبت منه صراحة ألا يزورنا .. فانصرف مجروحاً وحزيناً .. وحين عاتبتها على ذلك قالت لى أنه يذكِّرها بأبيه فى شكله وحركاته ! ثم بدأت ترهقنى بمطالبتها لى بعدم استقبال أخى فى العمل ، وتأثر هو كثيراً بما قالته له أمى ، فبدأ يعزف عن الاتصال بى ومقابلتى بل قاطعنى ، مع شدة لهفتى عليه وعلى اخوته .. وأنا الآن فى حيرة من أمرى لقد سعدت باكتشاف أن لى أسرة واخوة أحبهم ويحبوننى ولا أريد أن أفقد هؤلاء الأخوة بعد أن عشت حياتى كلها محرومة من عطف الاخوة وحنانهم ، ولا أريد فى نفس الوقت أن أعقَّ أمى أو أن أبدو أمامها وكأنى لا أقدِّر تضحيتها من أجلى ورعايتها لى طوال رحلة العمر . فماذا أفعل ياسيدى ؟ □

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

سر الشقاء الانسانى بصفة عامة هو أن مايسعد إنسانا قد يشقى إنسانا آخر فى الوقت نفسه وبالدرجة نفسها .. ومن هنا فقد تتلازم السعادة والشقاء فى حياة البشر ، كما يتلازم الليل والنهار .. ولاشك فى أن سعادتك الخاصة فى هذا الأمر هى أن تتوثق علاقتك باخوتك وأسرتك الجديدة . وهذا مطلب انسانى عادل .. لكن المشكلة هى أن هذا المطلب العادل يُشِقِى بالفعل أمك التى كرست حياتها لك وأصبحت أنت محور حياتها طوال سنوات العمر .. ولقد بدأت تعترض على علاقتك بأخوتك حين أسرفتِ فى الاندفاع بمشاعرك نحوهم .. وأحست أنه قد أصبح لها فى حياتك شركاء جدد .. وأنها تفقدك تدريجيا .. وتنسحب من مركز حياتك ببطء الى هامشها .. وهو إحساس مؤلم لأى أم .. لكنه أكثر إيلاما للأم المطلقة التى كرست حياتها لإبنتها الوحيدة كأمك .. لذلك فلابد من مراعاة هذا الاعتبار الإنسانى الهام فى علاقتك بأسرتك الجديدة .. وفى كل الأحوال فإن أمك أحقُّ بك وبمشاعرك وبرعايتك من أى انسان آخر مهما كانت صلة الدم به .. ولست أقصد بذلك أن تقطعى مابينك وبين اخوتك تماما .. وإنما أقصد به أن تبذلى غاية جهدك لاسترضائها ولغرس الطمأنينة فى قلبها إلى انها لم تفقدك ولن تفقدك .. ولإشعارها بأنك لا يمكن ن تستبدلى بها فى قلبك إنسانا آخر مهما كان هذا الإنسان .. وبأن علاقتك بها علاقة عضوية حميمة لاتنفصم ولو ظهر فى حياتك عشرات الاخوة والأقارب .. فإن نجحت فى ذلك وهى مهمة

صعبة فعلا ، فسوف تهدأ خواطرها ولن تعترض على علاقتك باخوتك ولن تعرضك لمواقف محرجة معهم .. بل وربما سعت بنفسها إلى تعميق الروابط بينك وبينهم كما فعلت أرملة أبيك الفاضلة .. فاذا استحال عليك كل ذلك ويئست تماما منه .. فلا تترددى فى اختيار جانب أمك حتى ولو كنت غير راضية عن ذلك ،واكتفى بالاتصال من حين إلى آخر باخوتك وبزيارتهم فى بيتهم فى فترات متباعدة إلى أن تهدأ العاصفة .. وتحس أمك أنها تحرمك من حق طبيعى لك وليس من العدل أن تحرمك منه فتبدأ فى العدول عن موقفها من هذا الأمر .

والحياة يا آنستى .. تحتاج دائما إلى مهارة ربان مدرب على الملاحة الصعبة فى البحار الهائجة ، لكى يتفادى الإنسان إغضاب الآخرين .. حتى ولو لم يكن فيما يفعله ما يغضب ربه .. فهذه هى الحياة وهذه هى النفس البشرية التى لم يسبُر أحد كل أغوارها بعد .. والتى قد تضيق أحيانا بما تتسع له رحمة ربك .. وليس أمامنا سوى أن نتنازل قليلا عن بعض حقوقنا الإنسانية .. لكى نتجنب إغضاب الأعزاء وإتعاسهم .. فهذا هو الفارق ياآنستى بين من يضحوُّن من أجل الآخرين ومن لاينشغلون إلا بذواتهم □



العيــون الحمــراء

□ كنـت حتـى السنـة الماضيـة ابنـا وحيـدا لأبـى وأمـى ..

تجمعنا بأسرة خالى علاقة حميمة بسبب قرابة أبى لأمى .. فاعتدنا منذ طفولتى على قضاء ليلة الخميس ويوم الجمعة معاً فى بيتنا أو فى بيت خالى نتسامر ونتناول الطعام ونمرح سويا .. وينقضى اليوم فى لحظات كنسمة خفيفة تهب على حياتنا مرة كل اسبوع .. فنعود الى بيتنا أو تعود أسرة خالى إلى بيتها على أمل اللقاء فى الاسبوع القادم .. أما فى الاجازة الصيفية ، فكنا نقضى الاجازة السنوية معا فى أحد المصايف .. وعندما كانت ظروف عمل أبى لا تسمح له بالاجازة ، كان خالى يصر على اصطحابى معهم إلى المصيف لأقضى معهم بضعة أيام من أجمل أيام عمرى .. ثم لاأطيق البعاد عن أبى وأمى أكثر منها .. ولايتحملان هما ذلك فأعود اليهما على جناح الشوق .. وقد زاد من عمق هذه العلاقة حب خالى العميق لأبى ، فأبى ياسيدى من هذا النوع من الناس الذى أنعم الله عليه بشباب الجسم ونور الوجه ، حتى أن زملائى بالجامعة كثيرا ما اعتقدوا أنه أخى الأكبر ، إلى جانب سماحة أخلاقه وعمق إيمانه بالله وترحيبه الدائم بخدمة الناس فى عمله خاصة الضعاف منهم .. وقد رأيته يرحب بأقل الناس شأنا

أفضل مما يرحب بأعظمهم قدرا ، ورغم أن راتبه كراتب أى موظف حكومى ، إلا أن صغر حجم أسرتنا قد ساعدنا على أن نحيا حياة كريمة بغير الاحتياج إلى أحد .. ولأنى وحيد أبوى فقد انصب علىَّ حنانهما ورعايتهما ، فربانى أبى على حرية الرأى والتشاور معه والثقة فلم أهزها يوما واحدا فى حياتى والحمد لله .. خاصة أن أبى كان دائم الافتخار بى أمام الجميع إبتداء من سائق التاكسى الذى قد نركب معه فى الطريق بالصدفة إلى زملائه وأصدقائه .. وكان دائما سندى وعكازى فى الحياة .. ودائم الدعاء لى فى صلاته التى يحافظ عليها بانتظام .. ويجيبنى دائما كلما شكوت له من صعوبة مادة من مواد الدراسة أو من أية مشكلة تواجهنى : أد واجبك وقل بعد ذلك يابركة دعاء الوالدين .. فتطيب نفسى وأستجمع قواى للمذاكرة أو لمواجهة المشكلة التى تصادفنى .

وذات يوم فى رمضان العام الماضى تناولت مع أبى وأمى طعام الإفطار ثم أدى أبى صلاة المغرب ونهض ليرتدى ملابسه للخروج مع أحد أصدقائه لقضاء خدمة لأحد الأقارب ، وجاء الصديق ليصطحبه بسيارته ، فغادر البيت معه أنيقا كعادته ، فوجدت دافعا يدفعنى للخروج إلى الشرفة لأطل عليه وألقى نظرة على بدلته الأنيقة وحذائه اللامع .

ولم يكن ذلك من عادتى فإذا به يفاجئنى برفع رأسه لأعلى ويبتسم لى كأنه يعرف أنى أرقبه ، ثم ركب سيارة صديقه وانطلقا بها ، وعدت لمذاكرتى استعدادا للامتحان القريب بعد ١٥ يوما .. وتأخر

أبى فى العودة ، فطلبت من أمى إعداد طعام السحور لأنام مبكرا وتناولته .. ورحت فى نوم عميق ، ثم صحوت مفزوعا على صراخ ظننته حلما فإذا به حقيقة ، فنهضت مندفعا لأجد أبى مستلقيا على سريره بوجهه المضىء الهادىء .. وأمى تصرخ وتبكى .. لقد مات أبى ياسيدى .. مات وهو فى الرابعة والأربعين من عمره يتفجر شبابا وحيوية ، فقد أصيب وهو فى بيت من ذهب إليه لقضاء خدمة قريبة بأزمة قلبية لأول مرة فى حياته ، فأسرعوا بنقله إلى المستشفى أو عيادة أحد الأطباء ، فإذا بأبى يصر على أن يعيدوه إلى بيته وإلى زوجته وإبنه الوحيد ليرقد بينهما .. فما أن وضعوه فى سريره حتى اطمأنت نفسه وأغلق عينيه فى هدوء وانتقل إلى جوار الله .. واستوعبت الحقيقة القاسية بصعوبة .. فوجدت نفسى أهذى بكلمات غريبة ودموعى تنساب من عينى بلا تحكم فيها .. ومن حولى أصدقاء وأقارب يواسوننى ويقولون لى لقد لقى وجه ربه وهو صائم فى فجر يوم جمعة .. ووافته الأزمة وهو يسعى فى قضاء مصالح الناس .. وغاب عن الحياة فى لحظة بلا ألم فأى نعيم ينتظره .. فأحاول أن أتعزى بذلك لكن دموعى لاتتوقف عن الجريان رغما عنى .. وفى اليوم التالى شيعناه إلى مثواه .. وعرفت لحظتها قيمة حب الناس .. فقد سار وراءه جمع غفير عقب صلاة الجمعة ، وخرج معه أربعة اشخاص فضلاء من السنيين الذين اعتادوا الاعتكاف فى المسجد فى أواخر رمضان .. وحملوه بأيديهم ووسدوه الثرى بلا أدنى معرفة بهم .. وعدت إلى بيتى الذى تفتحت عيناى فيه على رعايته وسماحته وحبه لى ولكل الناس ودموعى تسحُّ بلا انقطاع رغم محاولاتى



لكبحها .. وكان أول ما فكرت فيه هو أن أعتذر عن عدم دخول الامتحان القريب .. وعزفت أمى عن أن تضغط على لدخوله ، لكن خالى أصر على أن أقاوم أحزانى وأحقق حلم أبى وهو يبلل كتفى بدموعه .. فإستجبت لرغبته وهو أبى الثانى الذى لم يبق لى غيره فى الحياة .. ودخلت الامتحان معتمدا على ما أتذكره من حضورى للمحاضرات .. وأديته وخرجت وأنا على يقين من رسوبى أو على الأقل نجاحى بمادتين أو مادة .. ومضت أسابيع فإذا بزملائى يندفعون إلى بيتى بفرح ليبلغونى بنجاحى بلا مواد .. فيتحول البيت إلى مناحة جديدة وأمى تحتضننى وتبكى وانا ابكى بلا انقطاع وبلا ارادة .. منذ وفاة أبى وكل من حولنا ينظرون إلينا ويغالبون دموعهم .. وعرفت لحظتها ما كان يعنيه أبى ببركة دعاء الوالدين .. وبدأت أتماسك لأواجه الحياة .. لكن آثار البكاء اللاإرادى الطويل أثرت على عينى .. فأصبت بإحتقان شديد فيهما استغرق علاجه فترة .. وخلّف لى حساسية مزمنة أدت إلى احمرار دائم بعينى اليسرى حتى الآن .. وتحاملت وبدأت أعوّد نفسى على مواجهة الحياة بغير أبى .. وكم هى صعبة الحياة بغير سند ولا عكاز .. ألست أنت القائل ياسيدى أن « الأب تاج على رؤوس الأبناء لايراه إلا من حرموا منه » والقائل انه « أمام تصاريف القدر لا يملك الانسان ان يسأل لم ؟ أو لماذا أو كيف ؟ ، وإنما عليه أن يتجاوز تلك التساؤلات إلى مواجهة الحياة فى ظل ما قضت به المقادير » .

لقد حاولت أن أستفيد بهذه النصيحة وركزت همى فى دراستى .. ووجدت فى رعاية خالى وعطفه على بعض مافقدته بغياب

سندى الكبير .. لكن مرضه اشتد عليه بعد رحيل أبى ، فإذا بى افقده هو الآخر بعده بخمسة شهور .. فأعيش أياما سوداء لا أعرف فيها سوى الاكتئاب والحزن والبكاء .. رغم نصيحة الأطباء بتجنب كل ذلك حتى لاتزداد حالة عينى سوءا .. وأصبحت معركتى مع الليسانس هى كل حياتى لأحقق أمل أبى وخالى بعد أن غابت الأيام الجميلة إلى الأبد .. وانقطع برنامج الخميس والجمعة بغياب نجميه اللذين كانا يضفيان عليه البهجة والراحة والأمان .. وتخرجت فى كليتى منذ شهر وحصلت على شهادتى بتقدير جيد كما كان أبى يأمل ويرجو .. لكن أين هو ليسعد به ياسيدى كما عاش طوال حياته يحلم بذلك .. وأين أبى الآخر الذى كنت أظن أنى سأسعده بنجاحى وسيكون سندى وعكازى فى الحياة بعد ان ضاع سندى الأول وانكسر عكازى الأساسى .. وماقيمة الأشياء حين تجىء بعد رحيل الأحباء .. وغياب من كانوا سيسعدون ويفخرون بها على العالمين .. وهل تتغير قيمة الأهداف فى الحياة بتغير ظروف من يسعى إليها .. ولماذا لم يعد يبهجنى شىء .. ولايعدنى شىء بالفرح أو بالسعادة .. خاصة كلما نظرت إلى المرآة ورأيت عينى اليسرى الحمراء فتذكرنى بمن فقدت خلال رحلة الحياة □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أصحاب القلوب المؤمنة لايغالون فى الحزن على راحل ، لأنهم يعلمون علم اليقين أن كل شىء إلى زوال .. ولا يبالغون فى الفرح لشىء لأنهم يعرفون أنه مهما علا قدره من عرض الدنيا الذى

لايدوم .. لهذا فهم يحزنون باعتدال ويفرحون باعتدال أيضا .. ولايخرجهم عن طبيعتهم حزن طاغ ولا فرح باهر .

فكن ياصديقى من أصحاب القلوب المؤمنة وطِب نفسا إذا حمَّ القضاء ، وتجلد لمواجهة الحياة التى تتطلب منا كل مافينا من شجاعة وصبر للصمود لها .. والوفاء الحقيقى لأعزائنا الراحلين هو أن نحقق آمالهم فينا .. وأن نقتفى أثرهم فى الحياة وننهج نهجهم ونتحلى بفضائلهم .. فكن مثل أبيك وجها مضيئا فى وجوه الآخرين وقلبا محبا لهم .. وضميرا ساعيا فى قضاء مصالحهم حين تملك أن تخدم الآخرين وتخفف عنهم .. ومحبا لضعاف الناس ومقبلا عليهم كما كان أبوك يفعل فى حياته القصيرة الحافلة بالعطاء للجميع .. ترد لأبيك دينه وتسعد بك روحه الطاهرة فى علاها .

أما عن فتورك فى استقبال شهادتك التى كنت تحلم بها .. وتساؤلك ماقيمة الأشياء حين تجىء بعد رحيل الأحباء .. فإنى أقول لك أن قيمة الأهداف نفسها لاتتغير ، لكن سعادتنا وابتهاجنا بتحقيقها هو الذى يتأثر بعض الشىء حين تجىء ، وقد رحل عن حياتنا من كان يسعدهم أكثر منا توصلنا اليها ، ومن كنا نود أن نبهجهم بها لنزداد رضا عما حققناه .. وليس ذلك مقصورا فقط على افتقاد الأحباء خلال رحلة الحياة ، فهو يتكرر أيضا حين تتحقق الأهداف بعد فوات الأوان .. كأن يجىء النجاح المادى مثلا بعد أن يفقد الانسان قدرته على الاستمتاع به ، أو بعد أن يفقد صحته فلا يعود قادرا على الاستمتاع بشىء مهما كان قدره .. وأنا شخصيا

كثيرا ماأحسست بما تحسه أنت الآن حين أحقق هدفا صغيرا من أهداف حياتى ، فاتلفت حولى لأبحث عمن كانوا سيسعدون به مثلى وربما اكثر منى فلا أجدهم ، فتختلط سعادتى بما نلت بافتقادى لمن تمنيت ان يشاركونى الابتهاج به ، ولا بأس فى ذلك .. فهكذا الحياة ياصديقى أفراح قد تستدعى بعض ذكرياتنا الحزينة ، وأحزان يمازجها الرجاء فى رحمة الله .. وما الدنيا فى مجموعها سوى تعاقب البهجة والألم .. ولست وحدك فى أحزانك فقديما قالت الخنساء فى رثاء أخيها :

فلولا كثرة الباكين حولى
على إخوانهم لقتلتُ نفسى
ومايبكون مثل أخى ولكن
أعزِّى النفس عنه بالتأسى

فليعزِّ كل انسان نفسه عمن يفتقده بالتأسى عنه .. ولتنظر أنت إلى الأمام بوجه مبتسم مهما كانت مرارة الأحزان .. فغدا يوم جديد .. ولسوف يأتى يوم قريب تصبح فيه أنت عكازا يستند إليه الآخرون وتتحقق كل أحلامك قريبا بإذن الله □

الاتهام الصامت

□ أنا سيدة فى الثلاثين من عمرى .

تزوجت سبعة أعوام .. وأنجبت بعد عام من زواجى طفلة جميلة كالملائكة .. وكنت أعمل فى مصنع للغزل والنسيج .. فعشنا أنا وزوجى وطفلتى حياة سعيدة يرفرف علينا الحب والوئام والتفاهم ، ونجمع كل ليلة فى جلسة عائلية سعيدة فلا يكون بينى وبين زوجى حديث إلا عن طفلتنا الجميلة .. ماذا فعلت وماذا قالت وماذا أضحكها .. وماذا أبكاها .. ونروى عنها كلماتها كأنها من جوامع الكلم .. ونستعيد طرائفها ونضحك لها ومعها كثيرا . وبعد أربعة اعوام من زواجى بدأت أشكو أعراض برد سخيف وأسعل بشدة .. وتناولت أدوية البرد والكحة المعروفة فخفّت الأعراض قليلا ، لكن السعال استمر ولازمنى بعد ذلك بصفة شبه دائمة .. ولم ألتفت إليه طويلا وواصلت حياتى بين عملى وبيتى وزوجى وطفلتى ثم جاء عيد ميلاد ابنتى .. فرتبت لها حفلًا صغيراً لايضم أحداً سواى وزوجى .. وصنعت لها تورتة صغيرة واشتريت لها هدية بسيطة واجتمعنا فى المساء حول التورتة .. وأطفأنا مع إبنتى شموع عمرها القليلة ..

وقدمت لها هديتها وقبلتها مهنئة بعيد ميلادها ومتمنية لها حياة سعيدة طويلة .. وبعد يومين من عيد ميلادها، بدأت ابنتى تسعل مثلى فاعطيتها دواء الكحة .. أما أنا فقد اشتدت وطأة السعال على وطالت فتراته وأرهقت صدرى .. وذات يوم انتابتنى نوبة سعال عنيفة .. وفزعت حين رأيت خيطا من الدم يخرج من فمى بعدها ، ففزع زوجى معى .. وذهبنا إلى الطبيب ففحصنى ثم صارحنى بأن سعالى ليس مجرد عرض من أعراض البرد، لكنه درن أصاب رئتى فتجلدت .. والتزمت بتعليماته وتناولت العلاج والحقن التى وصفها لى بانتظام .. وبعد شهر بدأت أتماثل للشفاء ، وبعد ثلاثة شهور من شفائى كنت مع زوجى وابنتى جالسين أمام التليفزيون فانتابت طفلتى نوبة حادة من السعال .. راحت تكتمها بيدها .. فجذبت يديها لأرى ما بها فإذا بخيط الدم اللعين يسيل على كفها الصغيرة .. فأسرعنا نحملها إلى الطبيب الذى صدمنا بانها مريضة أيضا بالدرن .. وأنه قد بلغ منها درجة متأخرة جدا .. وأنها تحتاج إلى دخول المستشفى فادخلناها المستشفى على الفور .. ورافقتها فيه ليل نهار لايكاد يغمض لى جفن .. وأنا اتعجب كيف ومتى انتقل إليها المرض .. وكيف أخفت عنا أن سعالها به دم .. وفى حيرتى وعذابى أسائل نفسى هل كانت قبلتى لها يوم عيد ميلادها هى قبلة العدوى التى نقلت إليها هذا الوحش .. ومضت الأيام فى المستشفى وهى بلا تحسن كبير .. وكنت أرقبها طوال النهار والليل ولاأغفو إلا قبيل الفجر حين يغلبنى النوم على أمرى .. وبعد أسبوع صحوت من إغفاءة الفجر هذه فوجدتها ساكنة فى فراشها .. بلا سعال .. ولا

أنين .. فأطمأننت عليها وفكرت فى العودة للنوم قبل أن تعاودها نوبة السعال التالية .. لكن هاجسا هجس فى صدرى أن أضع يدى على جبينها لأتحسس حرارتها .. فإذا بها باردة كالثلج .. فهززتها ، لم تصح .. فصرخت من أعماق .. صرخة جمعت حولى فى الغرفة كل من كان قريبا منا .. وجاء الطبيب وفحصها .. ثم طلب خروجى من الغرفة .. لقد رحلت إبنتى فى هدوء خلال إغفاءتى القصيرة .. لقد غادر الملاك الصغير بيتنا ودنيانا .. لقد تركتنى للحسرة .. والمعاناة .. والإحساس بالذنب .. هل قتلتها بقبلتى لها يوم عيد ميلادها .. هل قصرت فى اكتشاف المرض فى الوقت المناسب .. لقد كانت تخفى عنا أن سعالها به دم .. لكن أين ذهب حرصى .. ولماذا أم أكتشفه أنا إلا يوم التليفزيون ؟ لقد رحلت عنا طفلتنا الصغيرة ياسيدى ورحلت معها السعادة والراحة والوئام من عشنا الصغير .. ولم يقتصر الأمر على آلام الفراق .. فمنذ رحيلها وزوجى صامت حزين .. ينظر إلى نظرات طويلة لائمة .. متهمة .. عاتبة .. ومنذ ذلك اليوم الأسود وهو لايكلمنى .. ولا يتبادل معى كلمة واحدة .. ويحملنى باتهامه الصامت لى مسئولية رحيل طفلتنا أو مسئولية انتقال المرض من صدرى إلى صدرها . لكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل .. وقد كنت لا أعرف حقيقة مرضى و هل لو عرفته كنت رضيت بأن أقبلها وأنقل إليها هذا الوحش ؟

وهل هو خطئى وحدى .. لقد أصبحت أنا وزوجى غريبين لايعرف كل منهما الآخر ولا نتبادل كلمة واحدة .. وتحولت حياتى

إلى جحيم .. فماذا أفعل .. وهل انتهت حياتى معه عند هذا الحد ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أسوأ ما يفعله المرء بنفسه .. هو أن يضيف إلى خسائره القدَرية التى لاحيلة له فيها .. خسائر إضافية من صنع يده هو .. ولقد فعلتما ذلك بكل أسف أو فعله زوجك على الأصح بعد محنتكما .. إذ بدلا من أن يحاول أن يخفف عن نفسه ما يعتصره من آلام .. أضاف إلى معاناته معاناة جديدة بمعايشة هذا الإحساسُ المؤلم .. وبمكابدة جفاف الحياة فى عش تحول فيه طائراه الأليفان إلى غريبين لايعرف كل منهما الآخر .

إننا لسنا فى محاكمة جنائية ياسيدتى لكى نسأل وندقق ونحدد من المسئول عما جرى .. وهل أنت المسئولة عنه وحدك أم أنتما معاً لأنكما لم تكتشفا حقيقة مرض الملاك الراحل فى الوقت المناسب .. إذ ماذا يفيد تحديد المسئوليات وأنتما الخاسران معا .. وكلاكما مفُجوع فى فقد وحيدته أياً كان المسئول وأياً كانت المسئولية . لقد قدَّر الله وكما شاء فعل ياسيدتى .. وإذا كان زوجك فى غمرة آلامه قد نسى بعض حقائق الحياة ، فليذكّره مُذكّر بأن عمر الإنسان مسجل عليه وهو جنين فى بطن أمه كما جاء فى الأحاديث القدسية .. تعددت الأسباب .. والموعد المقدور واحد .. وليس هناك وقت يحتاج فيه الزوجان إلى عطف كل منهما على رفيق دربه ومساندته له كهذا

الوقت العصيب الذى تمران به الآن .. فلتنسيا معا حديث المسئولية .. فلاذنب لأحدكما فيما جرى .. ولو اكتشفتما معا المرض فى بدايته لما تغير القدر المقدور شيئا .. ولما تأخر طرفة عين عن موعده .. فليضمد كل منكما جراح الآخر .. وليزدد اقترابا منه. وتفتحا للحياة من جديد .. واستشيرا الطبيب فى كل خطوات حياتكما المقبلة .. فكم من أزواج وزوجات رُوِّعُوا فى بداية حياتهم بفقد الأعزاء .. فتصبروا وتجلدوا .. ولم يتبادلوا الاتهامات .. فأنبت الله فى خمائلهم زهورا جديدة مسحت على أحزانهم .. وعوضتهم عمن فقدوا خيرا كثيرا . فليفعل كل منكما إذن مايفعله المتصبرون أمام اختبارات الحياة القاسية ليكون له أجرهم .. ولتقرآ معى هذا الحديث القدسى عسى أن يخفف عنكما بعض أحزانكما .. وعسى أن يلهمكما الصواب والرشاد فى محنتكما .

قال الرسول الكريم ﷺ : (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ــ أى حمد الله على ماكان رغم شقائه به وقال إنا لله وإنا إليه راجعون ــ فيقول : إبنوا لعبدى بيتا فى الجنة .. وسموه بيت الحمد) .

أجزل الله لكما أجر المتصبرين .. وأعاد السعادة والوئام إلى عشكما .. والسلام □ .

العمــــر لحظــــة !

◻ لـم أكتـب إليـك بمشكلـتى ..

لكنى وجدت فى بريدك مشكلات تتشابه مع مشكلتى ، فحاولت أن أستفيد بردودك عليها .. وأريدك أن تعرف نتائج التجربة .. فلقد كَتَبت إليك زوجة ذات مرة تحكى لك أنها أحبت شاباً وحالت الظروف بينها وبينه ، ثم خطبت إلى آخر ولم تكن مقتنعة به ولم تشعر تجاهه بالحب ، ومع ذلك فقد مضت فى إجراءات الخطبة ثم الزواج بلا تفكير .. ثم شكت لك مما تعانيه من افتقادها لمشاعر الحب تجاهه ومن جفاف حياتها العاطفية معه رغم حبه لها وحسن عشرته .. وقد رددت عليها منتقدا تصرف بعض الفتيات اللاتى يتأكدن من فتور مشاعرهن تجاه من خُطبن لهم قبل الزواج ، ومع ذلك يمضين فى الخطبة والزواج كالسائرين نياما إلى مصير محتوم .. ولايفكرن فى التراجع قبل إتمام الزواج أو فى التكيف مع حياتهن بعد الزواج .. وقلت فى نهاية تعليقك أن الحب قد يولد فى لحظة سحرية تكون فاصلا بين ماقبلها من تعاسة وهواجس وما بعدها من سعادة وصفاء ، وأن عليها أن تنظر إلى زوجها بعين جديدة وبقلب راغب فى السعادة والحب .. فربما تولد فى حياتها هذه اللحظة السحرية

وينبض قلبها بالحب له وتتخلص من تعاستها ، خاصة وانها انجبت منه . ثم قرأت أكثر من تعليق على هذه الرسالة لقارئات عديدات وقرأت ردودك عليها وكلها تؤكد إمكانية مجيء هذه اللحظة السحرية فى أى مرحلة من العمر .

وكنت أنا خلال هذه الفترة أعيش قصة حب طاهر لم تدنسه حتى لمسة يد واحدة مع زميل لى بالكلية .. وتعاهدنا على الزواج .. وبعد تخرجنا واتجاهنا للدراسة العليا تقدم لخطبتى .. لكن بعض المشاكل حدثت بين أسرتى وأسرته بسبب غطرسة أبيه الذى كان عائدا لتوه من البلاد العربية وحوّله المال الذى جمعه هناك الى تاجر يبيع ويشترى فى بنات الناس .. فصمم على مطالب مغالى فيها وأقسم أنه لن يتنازل عنها .. وساءت الأمور بينه وبين أبى فاضطررت أنا وزميلى إلى أن نفترق والحزن يدمى قلبينا .. وقررنا ألا نلتقى مرة أخرى إلا إذا تحسنت الأمور واستطاع كل منا أن يؤثر فى أبيه ليغير من موقفه .. ورضينا بهذا الفراق راغمين لكيلا نتجول بحبنا فى الشوارع والكازينوهات ، وطوينا قلبينا على أحزانهما وانشغلت بعملى ودراستى العليا ونجحت فيها وانشغل هو بعمله ، ولم نلتق طوال هذه الفترة سوى مرة واحدة لنعرف ماإذا كان أحد الابوين قد تنازل عن موقفه أم لا .. فلما وجدنا الموقف على ماهو عليه عدنا إلى افتراقنا .. كما كنا نتقصى أخبارنا عن طريق الأصدقاء عن بعد .. وخلال هذه الفترة تقدم لى أكثر من خطيب ووجد أبى أحدهم مناسبا لى رغم أنه ليس ميسورا ، لكنه على خلق ودين فقبلت الخطبة إرضاء لأبى وأمى

ولأستريح من إلحاحهما على .. وقررت بينى وبين نفسى أن أنهى هذا الارتباط الجديد فى أقرب وقت بأن أجعل خطيبى يفرّ منى ناجيا بنفسه من سخافاتى .. فعاملته - وأعترف لك بذلك - أسوأ معاملة من خطيبة لخطيبها .. فلا احترام ولاتقدير ولا استجابة لأى طلب من مطالبه .. ولامشاركة له فى مشاعره ولو بكلمة واحدة حتى من باب المجاملة .. ولاحرص على انتظاره فى البيت رغم علمى بمواعيد زياراته .. وفعلت كل ذلك اقتناعاً بأنى مازلت على عهدى لزميل دراستى .. وانتظر الوقت المناسب لإنهاء هذه الخطبة .. لكن صبر خطيبى على لم ينفد وتحمل كل سخافاتى بصبر وهدوء وحنان .

وفى هذه الفترة قرأت ردودك عن اللحظة السحرية .. والتطلع إلى شريك الحياة بنفس راغبة فى الحب والسعادة .. فقررت أن أجرب تنفيذ هذه النصائح ، فإما أن تأتى هذه اللحظة التى تتحدث عنها فاستريح ،وإما أن أحسم أمرى مع خطيبى وأنهى الأمر معه وأستريح ايضا ، وأتخلص من تأنيب الضمير الذى أحسه وأنا أراه يقابل إساءاتى بتسامح وإحسان .. وكان قد مر على خطبتنا عام طويل من النكد التام لى وله على السواء .. فصارحت خطيبى بأن هناك هوة واسعة بيننا .. وأننا لم نفهم بعضنا حتى الآن لأن الخطبة تمت على وجه السرعة خلال ٢٠ يوما فقط .. ولهذا فإنى أريد أن نعطى لأنفسنا مهلة لإعادة التفكير فى الأمر كله .. وأن نفترق لمدة شهر أحاول خلاله أن أصلح من نفسى وأعيد التفكير فى أمره وأمرى .. وتكون له هو خلال هذه المهلة الحرية فى تقدير الموقف .. وليرى إذا ماكان

يستطيع أن يسامحنى بقلب صاف عما فعلت معه .. وليحاول من ناحية أخرى تغيير بعض العادات الصغيرة التى كانت تضايقنى فيه .. واتفقنا على ذلك وافترقنا .. ومرت الأيام الثلاثة الأولى بسلام ورحت أفكر فيه من منظور جديد تماما .. وأحاول أن أعرف هل سأشتاق إليه أم لا .. فاذا بى وياللعجب أجد نفسى فجأة وبعد أسبوع واحد افتقده بشدة ، وأفتقد حنانه ورعايته ورقته التى كان يغمرنى بها حتى فى لحظات غضبى وكنت أضيق بها من قبل .. وما أن انتهى الأسبوع حتى تأكد لى أنى لاأتصور حياتى بغير وجوده فيها ومعى وحولى بحبه وحنانه واهتمامه الذى يغرقنى به .. وبعد ٣ أيام أخرى أصبح شاغلى الشاغل هو هل سينسى لى مافعلت به أم لا .. وماذا أفعل إذا لم ينس وإذا افترقنا للأبد .. وفى اليوم العاشر وجدت يدى تمتد إلى التليفون قبل انتهاء المهلة بعشرين يوما واتصل به فاذا به أشد لهفة منى .. وينتظرنى على أحر من الجمر .. وإذا بى أعيش فجأة اللحظة السحرية التى قرأت عنها ولم أكن أصدقها .. وعدنا إلى اللقاء ووجدته حنونا وعطوفا أكثر من ذى قبل .. وإذا بطاقة هائلة من النشاط تتفجر داخلى لاعداد عش الزوجية الذى كنت أكره سيرته وأضيق بها .. وإذا بأيامى تمضى مشحونة بالتعب اللذيذ وأنا أتنقل من مكان لمكان لنعد معا تجهيزات الزواج .. ونلتقى كل يوم ونتحدث فى التفاصيل ونشرف على كل صغيرة وكبيرة فى الاستعدادات .. وانتظرنا نهاية شهر رمضان الماضى بفارغ الصبر .. ثم تزوجنا بعده وأصبحت اللحظة السحرية عمرا من السحر والحب والسعادة .. فشكرا لك أنك أرشدتنى لها .. وشكرا لقارئاتك اللاتى

أسهمن برسائلهن إليك فى تعريفى بهذه اللحظة الغالية ! وتمنياتى للجميع بالسعادة والصفاء □ .

○ وكاتبة هذه الرسالة أقول :

« شتاء أحزاننا انزاح .. تحت شمس حبنا الساطعة » قفز إلى خاطرى فجأة هذا البيت من شعر شاعر الانجليزية الأشهر وليم شكسبير فوجدت فيه تحليلا وتفسيرا لقصتك كلها .. ولم أجد أبلغ منه تعليقا عليها .. فهنيئا لك ميلاد لحظتك السحرية الجميلة .. وعمرا مديدا من الحب والسعادة والثراء الإنسانى لك بإذن الله .. وعقبى لمن ينتظر ! □ .


مكتبة المهتدين الإسلامية

قلـــب العاصفـــة !

□ نشـأت فـى أسـرة صغيـرة ..

بين أب لايعرف إلا اصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية ، وحتى بعد أن تقاعد وعمل بالأعمال الحرة منذ سنوات طويلة .. وأم لا حول لها ولاقوة .. وشقيقين يكبرانني بعدة أعوام .. ورغم أن حياتنا كانت ميسورة ماديا إلا أنها كانت جافة من الناحية العاطفية . فليس بيننا وبين أبينا سوى علاقة تلقى الأوامر والالتزام بتنفيذها حرفيا وإلا فالويل لنا جميعا .

وفى هذا الجو العائلى الصارم حصلت على الثانوية العامة ، ورشحنى مجموعى للالتحاق بكلية التجارة بجامعة الاسكندرية .. وطرت فرحا حين وافق أبى على أن أسافر إليها لأقيم بها مع جدى إلى أن ينجح فى نقلى فى العام التالى لكلية التجارة بجامعة القاهرة .

وسعد جدى بذلك كثيرا نظرا لوحدته بعد وفاة جدتى .. وسافرت إلى هناك وبدأت حياتى الجامعية الجديدة محملة بأوامر أبى وتعليماته الصارمة ومحظوراته العديدة .. وكان أهمها هو عدم الاختلاط بالطلبة وعدم الاختلاط بأى إنسان يقل مستواه الاجتماعى عن مستوانا .. وعدم التأخر خارج البيت عن ساعة معينة مهما

كانت مواعيد الدراسة ، ليتصل بى تليفونيا ويتأكد من عودتى .. والتزمت بكل هذه التعليمات حرفيا .. وبدأت أتردد على الكلية كل يوم .. وأعود إلى بيت جدى فأجد عنده ماحرمت منه طوال حياتى من الحنان والفهم والأبوة الحقيقية .

ومضى عامى الأول بسلام وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت .. وهمّ أبى بأن ينقل أوراق إلى جامعة القاهرة فتوسل إليه جدى بتحريض سرّى منى أن يدعنى أتم تعليمى الجامعى معه ، لأنه وحيد ويحتاج إلى صحبتى .. وقبل أبى ذلك بعد تردد طويل .. وسعدت بذلك وحرصت فى نفسى الوقت ألا أبالغ فى إظهار سعادتى به حتى لا أستثير ضيق أبى وعناده فيصمم على نقلى .. وبدأت عامى الثانى سعيدة .. وفى بدايته أوصى جدى صديقاً له بأن يقوم إبنه الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب بالمرور على كل صباح بسيارته الصغيرة المتهالكة ليصحبنى إلى الكلية حتى أتجنب مضايقات المواصلات .. وقام الشاب بهذه المهمة بترحيب ، فأصبح يصطحبنى إلى الكلية فى الصباح ، ويحاول أن ينهى دراسته فى موعد يتلاءم مع موعدى ليعيدنى إلى البيت بعد انتهاء الدراسة .. وخلال رحلتىْ الصباح والمساء .. نمت بيننا عاطفة شريفة قوية وتعاهدنا على الزواج بعد انتهاء دراستى .. وتخرج فتاى قبلى بعامين .. ثم تخرجت أنا وانتهت إقامتى بالاسكندرية وعدت إلى القاهرة لانتظر اليوم الموعود الذى سيجىء فيه فتاى مع أبيه وجدى ليطلبوا يدى من أبى .. وجاء فتاى وأبوه وجدى إلى بيتنا واستقبلهم أبى بترحاب .. ثم بدأ جدى الحديث فإذا بأبى يرفض فتاى بلا أى تفكير وبكلمات قاسية تشعره

بالعجز والهوان وضآلة الشأن .. مؤكدا له أنه لايجد فيه المواصفات التى يريدها فى زوج ابنته .. وأنه لايحق له أن يطمح فى الزواج منى لأن امكانياته لاتؤهله لذلك .. ثم أنهى حديثه بجفاء شديد كأنه يطرد الجميع .. وصدم الشاب وأبوه صدمة مذهلة ليس للرفض فى حد ذاته وإنما لهذه اللهجة المهينة .. وأحس جدى بالحرج الشديد أمام صديقه، وطالب أبى بالتروى قليلا واستشارة صاحبة الشأن فى الأمر فأصر أبى على موقفه .. ولم يلن حتى بعد أن صارحه جدى بأن « البنت والولد » يحبان بعضهما منذ ٣ سنوات ومتعاهدان على الزواج .. وغادر جدى بيتنا حزينا مع صديقه وانصرف فتاى والعرق يتصبب منه .. وكنت قد سمعت كل الحوار .. عن قرب .. فأسرعت ألحق بفتاى على السلم لأطالبه بألا ييأس .. وقلت له أنى رشيدة وأستطيع إذا يئسنا فى النهاية أن أتزوج بغير موافقة ابى لكنه ازداد حزنا .. وطالبنى بالاهتمام بنفسى ثم ودعنى قائلا : « لاإله الا الله » .. عسى ان يجمعنا الله ذات يوم من حيث لاندرى ولا نحتسب .

وانصرف الضيوف مهزومين وعاد جدى إلى الاسكندرية مكتئبا ، ورفض أن يمضى معنا عدة أيام .. وسعى أبى بعدها لإلحاق بالعمل بإحدى الشركات الاستثمارية .. وعينت فى وظيفة مناسبة وتمنيت أن يشغلنى العمل عن حلمى القديم ، فوجدتنى أزداد استغراقا فيه .. ومضى عامان طويلان لم أتوقف خلالهما عن الأمل فى أن ينجح جدى فى إقناع أبى بالتنازل عن موقفه، لكنى يئست من ذلك تماما حين توفى جدى وودعته باكية حنانه الذى كنت فى شدة

الحاجة إليه .. وبعد وفاته بشهور « تقدم لى شاب مرموق وجد فيه أبى كل مايطلبه فى زوج ابنته » من أسرة .. وثراء .. وصلات اجتماعية واسعة فوافق عليه وتحمس له واقنعنى به وشاركته أمي وشقيقاى . والتقيت به من باب الرغبة فى تغيير حياتى .. ووجدته جذابا ومهذبا ، ورغبت فى ألا أخدعه فحكيت له قصتى كاملة .. فقال لى انه يعتبر ذلك دليلا على إخلاصى وأن الزمن سوف يخلق بيننا من الروابط ماينسينى هذه التجربة بكل آثارها .. وحاول جاهدا أن يشغلنى عن ذكرياتى .. واستجبت لمحاولاته بإخلاص وشغلت معه بالإعداد للزواج .. وتم الزفاف بالشروط التى رآها أبى لائقة بمركزه وثروته .. وأقيم الحفل فى فندق كبير .. توافد عليه رجال الأعمال وخصصت فيه مائدة رئيسية لضيوف الشرف من المسئولين الذين تنشر صورهم فى الجرائد، والذين بذل أبى جهدا كبيرا لدعوتهم ، ووقف فخورا بتشريفهم الحفل .. وتزوجت .. وبدأت حياتى وكلى رغبة فى السعادة وبدء صفحة جديدة فى حياتى ، وعشت شهورا أحاول استشعار السعادة وأبذل جهدا مخلصا لإسعاد زوجى .. ورفضت أن أنجب قبل أن يستقر بنيان حياتى الزوجية .. ومضى عام من زواجي لم أختلف فيه يوما مع زوجى .. ولم نتشاجر ،ورغم ذلك فقد فاتحنى زوجي بعد أيام من مرور العام الأول بأنه يحس بأنه قد فشل معى ولم ينجح فى أن ينسينى فتاى الأول ، وبأن قلبى ليس معه لهذا فهو يرى من الأفضل أن ننفصل صديقين كما بدأنا حياتنا صديقين وبلا مرارة ، ووافقته على ذلك وأكدت له أن هذا هو نفس

حساسى .. فتم طلاقى بهدوء وعدت إلى بيت أبى مجللة بالفشل وأبى ينظر إلى شذرا .

وبعد عام آخر قررت الشركة التى أعمل بها نقل عدد من موظفيها ذوى الخبرة إلى فرع الاسكندرية لبدء نشاط جديد فيه .. فتقدمت سرا بطلب لنقلى إليه .. وفوجىء أبى بصدور قرار النقل وأراد أن يتدخل لإيقافه ، لكن أمى نجحت ربما للمرة الأولى فى إثنائه عن رأى له .. وتوسلَت إليه أن يدعنى أسافر إلى هناك لعلى أنسى فشلى فى زواجى ، مؤكدة له أنها سترسل معى سيدة للاقامة معى وحراستى ! ووافق أبى مضطرا وعدت إلى المدينة التى غادرتها منذ ٥ سنوات فتاةً تحلم بالسعادة والهناء مع من تحب .. وعدت إليها مطلقةً فاشلة .. تحطمت أحلامها .. وبدأت حياتى العملية بجدية .. ولم أسع للاتصال بفتاى السابق .. ومع ذلك فلقد كنت أحس إحساسا غامضا بأنى سألتقى به من جديد .

ومضت حياتى بين الشركة والبيت .. وانتظار تليفون التمام المسائى من أبى كل يوم ، إلى أن وجدته أمامى فجأة ذات يوم ينظر إلى صامتا .. وأنظر إليه بكل لهفة الدنيا .. وتحدثنا فأخبرنى أنه يعرف بوجودى فى المدينة منذ شهور .. وأنه لم يحاول الاتصال بى لأنه تزوج عقب زواجى بشهرين من إبنة أستاذه لكنه فشل فى المقاومة ، فجاء إلى .. ووجدت نفسى أروى له كل ما مر بحياتى منذ لحظة وداعه لى على سلم البيت .

وتكرر لقاؤنا عدة أسابيع فروى لى أنه يعمل مع صهره فى

مستشفاه وفى عيادته الخاصة .. وأنه حاول جاهدا أن يسعد زوجته لكنها لا تكف عن تذكيره كل يوم بأنه لولا أبوها لكان الآن مجرد طبيب بإحدى الوحدات الريفية .. أما بفضله فهو طبيب فى مستشفى وعيادة ويستعد للحصول على الماجستير بمساعدة أبيها .

ولم يطل ترددنا بعد ذلك .. فقد أمسكنى ذات يوم من يدى واصطحبنى إلى مكتب مأذون وعقدنا قراننا وعدت إلى البيت زوجة له وليكن مايكون .. وكان أول مافعلت هو أن اتصلت بأمى وأبلغتها بالخبر ، وتركت لها مهمة إبلاغ أبى وتلقى الصدمة الأولى .. ولم يتأخر الانفجار عن موعده فقد جاء صوته فى التليفون بعد قليل يرعد ويعلنني أنه لن يعترف بهذا الزواج أبدا وأنه سوف يحرمنى من كل شيء .. فلم أزد عن أن قلت له من بين دموعى : قل لى مبروك ياأبى .. لقد تزوجت من الإنسان الوحيد الذى أردته ولم أرتكب جرما .. ولم أفعل شيئا يغضب ربى .. وقد جربت حظى مع غيره وفشلت .. ولكن بلا جدوى . ومثلما يحدث فى ليالى شتاء الاسكندرية حين يرعد الرعد ثم تتلوه العواصف والبروق .. اكفهرت سماؤنا فجأة وتوالت الرياح .. فقد إتصل أبى بصهر زوجى .. ولاأعرف كيف عرف عنوانه وتليفونه وأبلغه بزواج زوج ابنته منى ، واستدعى الأستاذ الجامعى زوجى وحاول أن يعالج الأمر فى البداية بالحكمة فابلغه بأنه يفهم دوافعه لهذا الزواج ، لكنه يرى أنه فى النهاية مجرد نزوة ، لهذا فهو يطلب منه أن يطلقنى بهدوء قبل أن تدمر هذه النزوة حياته العائلية والعملية ومستقبله العلمى .. وحاول زوجى أن يدافع عن نفسه .. ثم توقف حين بدأ صهره يهدده بأنه

سوف يفقد عمله فى المستشفى وفى العيادة وسيفقد عونه له فى الحصول على الماجستير .. وبأنه لن يجد عملا له فى هذه المدينة مادام على قيد الحياة ، وفهم زوجى الموقف جيدا .. فقال لصهره أنه سيخلى على الفور مكتبه فى المستشفى وفى العيادة وسوف ينسى موضوع الماجستير وأنه ينسحب بهدوء معترفا له بفضله .. أما عن العمل فإن الأرزاق بيد الله وحده .

وذهب زوجى إلى المستشفى والعيادة وأخذ متعلقاته الشخصية ثم طلق زوجته وعاد إلى البيت .. فهونت عليه الأمر وأكدت له أن المستقبل ممتد أمامه .. وأن راتبى يكفينا نحن الاثنين إلى أن يجد عملا آخر .. وعشنا حياتنا رغم ذلك سعداء .. لكن العاصفة امتدت لتجتاحنى أنا أيضا .. فقد اتصل صهر زوجى بمدير الفرع الذى أعمل به وأبلغه أنى أسىء معاملة العملاء مما يهدد الفرع بفقدهم .. وبأنى كنت على علاقة بزوجى قبل الزواج ولم أتزوجه إلا بعد أن افتضح أمرنا ، وأن ذلك يسىء إلى مركز الشركة .. الخ ، ففوجئت بإيقافى عن العمل والتحقيق معى .. ولم أهتز كثيرا لأنى واثقة من براءتى .. لكن المشكلة هى أن التحقيق طال .. ونفوذ صهر زوجى اتضح أنه أكبر مماتصورنا .. فالتحقيق الذى كان من الممكن أن ينتهى فى أيام طال بفعل فاعل لكى يستمر مفتوحا الى ما لانهاية .. ويسىء الى سمعتى ومركزى .. وزوجى لم يترك مكانا فى الثغر لم يذهب إليه باحثا عن عمل .. وكلما ذهب إلى مستشفى خاص أو إلى عيادة تلقاه المسئول بالترحاب فى البداية وطلب بياناته .. ووعده بالرد عليه خلال ايام . ثم تمر الأسابيع ولايتصل به أحد .. وأبى أغلق أبواب

رحمته نهائيا فى وجهى ، فلااتصال ولا سؤال ،وقد حرّم على أمى وشقيقى الاتصال بى .. وكلما اتصلت به أنا تليفونيا وسمع صوتى وضع السماعة بهدوء رافضا أن يستجيب إلى نداءاتى له بأن يسمعنى .. مجرد أن يسمعنى قبل أن يغلق « السكة » .. ومازلت أنا وزوجى نعيش على ما بقى من مدخراتنا .. لكن هذه ليست المشكلة .. وإنما أسألك ماهى جريمتنا ياسيدى لكى يقاطعنى أبى .. هكذا وبلا رحمة، وما هى جريمتنا لكى يتعرض زوجى لكل هذه الحرب الشرسة فى رزقه وعمله ومستقبله العلمى وأتعرض أنا معه لنفس هذه الحرب فى عملى ومستقبلى .

إننى رغم كل شىء أحب أبى .. ولاأريد منه شيئا ولا « أنظر » إلى ماله ولا انتظره ، لكنى أريد عطفه وحنانه واعترافه بى كابنة وزوجة لشاب شريف مستقيم طيب يتفانى فى إسعادى .. ولم أجد سعادتى إلا معه ، ويكفينا أننا نتنفس الحب والتفاهم والرضا . وحين نلتقى بعد يوم طويل مفعم بالخيبة فى العثور على عمل لزوجى وبالمضايقات والهمسات التى أسمعها فى عملى الذى مازلت موقوفة عن ممارسته، ننسى كل ما لاقيناه من أهوال فى يومناولا نتذكر إلا سعادتنا .. وحلمنا القديم الذى تحقق بعد كل هذه المعاناة .

فماذا يغضب الآخرين منا فى ذلك ياسيدى .. وماذا نفعل لكى نعيش فى سلام ونمارس حقنا فى الحياة .. بلا حروب فى الرزق والمستقبل .. وبلا ضغوط نفسية من جانب أبى ؟ □ .



٥ ولكاتبة هذه الرسالة أقول ،

لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى نتحملها راضين بها لأنها جزء لايتجزأ من هذا الاختيار .. فمادمنا قد اخترنا بملء إرادتنا حياتنا ونحن نعرف تماما ماسوف نؤديه من ضريبة لهذا الاختيار فليس من حقنا أن نشكو منها .. أو نستهولها .

وكما أن للشقاء ضحاياه .. فإن السعادة أيضا قد يكون لها فى بعض الأحيان ضحايا هم هؤلاء الذين نختار نحن سعادتنا على حسابهم .. فإذا ما تحركوا ضدنا دفاعا عن أنفسهم أو ثأراً منا فليس علينا سوى أن نصبر ونحتسب و نلتمس لهم بعض العذر فيما يفعلون ثم نأمل بعد ذلك أن يداوى الزمن كل الجراح .. وأنتما الآن ياسيدتى فى قلب العاصفة وفى قمة هياجها .. وأفضل ماتفعلان هو أن يتشبث كل منكما بالآخر حتى لاتقتلعكما رياحها الهوجاء إلى أن تهدأ وتخمد بعد حين ، فلكل عاصفة مهما طالت نهاية .. ولكل حرب مهما كانت ضارية من يوم تضع فيه أوزارها ، وينصرف بعده كل انسان الى حياته الخاصة .. وكل أملى هو ألا يكون لزوجك من زوجته الأولى أطفال يدفعون ثمن هذا الاختيار طوال العمر .. لكى تصفو لكما الحياة بلا مرارات .. أما أبوك فلا تيأسى من محاولة استرضائه إلى أن يرضى ذات يوم وسوف يفعل لو كان ذا قلب حكيم بعد أن لمس بالتجربة المريرة كيف أشقاك برفضه المتعسف لفتاك من البداية ، وبإصراره على تزويجك وفقا لاعتباراته هو وبغير حساب للاعتبارات الخاصة بك أنت .. ولو أوتى من الحكمة شيئا قليلا لما وقف دون

أحلامك منذ البداية، ولعرف أن من تختارينه ويختارك هو أنسب الأشخاص لمشاركته الحياة ، مادامت معايير الاختيار السليمة متوافرة فيه وما دمنا قد رضينا خلقه ودينه كما أمرنا بذلك الرسول الكريم .. ومن عجب أن بعض الآباء خاصة من ذوى الثراء يتجاهلون هذه الحقيقة مع أنها قديمة قدم التاريخ بل وأقدم منه أيضا . ففى نشيد الإنشاد بالتوراة رفضت راعية الغنم سليمان الحكيم وتاجه وعرشه لأنها كانت تفضل عليه راعيا اختارها واختارته .. أما سليمان الحكيم فقد كرهته لأنه اختارها ولم تختره .. وأما راعى الغنم فقد تغزلت فيه فى نشيد الإنشاد غزلا يعجز خيال الشعراء عن تصوره .. وقالت عنه عبارتها الشهيرة « حبيبى مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائى » فإذا أنَّت « أحشاء » الفتاة على فتى ترضى دينه وخلقه وتتوافر فيه الحدود الدنيا من التكافؤ معها .. فلماذا نقف فى طريق سعادتها المشروعة معه ؟ ولماذا ندفعها إلى الزواج منه بغير وليها – وهو جائز بالمناسبة عند الحنفية – وأولياؤها على قيد الحياة وأولى بشهود زواجها ومباركته .. فقولى كل ذلك لأبيك ياسيدتى .. وسوف يرجع إلى نفسه ذات يوم .. وربما تَفَكَّر فى دلالة ماحدث .. ورضى به تكفيرا له فى الدنيا عن خذلانه لأبيه الشيخ حين جاء يتشفع عنده فى خطبتك لإبن صديقه فلم يرع له حقا .. وأحرجه أمام صديقه وإبنه بهذه الطريقة الأليمة .

فلعله يعفو عن خروجك على طاعته سدادا لدين أبيه هذا عنده .. ولعله عرف بذلك أن الحياة ديون .. وأنه قد جاء وقت سداد هذا

الدين لأبيه ، لأن « من عق أباه عقه ولده » كما جاء فى الحديث الشريف .. كما لعلك أنت أيضا تعرفين ذلك فلا تقصرين فى استرضائه إلى أن يعفو عن خروجك على طاعته .. حتى ولو كان ذلك دفاعا عن حياتك وسعادتك .. أما زوجك فليواصل الكفاح إلى أن يجد عملا آخر ، وليعتصم بالصبر على مايناله من أذى صهره وليتجنب استثارته مهما فعل .. فلقد آثر سعادته على حساب ابنته وعلى حسابه هو أيضا .. وهو أستاذه وصاحب فضل عليه ، وليؤد حقوق زوجته الأولى كاملة وبلا مماطلة وبأقصى كرم تسمح به ظروفه .. وعليك أنت أيضا أن تساعديه فى ذلك .. لكى تندمل الجراح وتهدأ النفوس .. وتشرق عليكما السماء ذات يوم قريب صافية بلا غيوم ، إن شاء الله □

الستار الحديدى

□ أنا رجل فى الثامنة والثلاثين من عمرى ..

متزوج منذ سبع سنوات تقريبا ، ولى طفلتان توءم تبلغان من العمر ثلاث سنوات .. زوجتى تعمل سكرتيرة بإحدى شركات القطاع الخاص ، وتحصل على راتب كبير من عملها يصل إلى ضعف دخلى من عملى بإحدى شركات القطاع العام .. ولكن يعوض الفرق إيراد خاص لى من بعض الأملاك .. ولانعانى من مشكلات مادية حادة والحمد لله .

أما مشكلتى مع زوجتى فهى أنها تتعامل مع الحياة بروتينية بحتة مع عصبية زائدة وعدم إحساس بالأمان للزمن .. فهى تتصرف معى ومع البنتين وكأنها تتعامل مع آلات صماء تدار بأزرار لأداء مهام معينة .. وعندما يخرج أى فرد عن الدور المرسوم له تثور أعصابها وتدخل فى طور من النرفزة والصياح مع اتهام من حولها بالبلادة والتخاذل !

لقد أصبحت أشعر أننى لست زوجاً وأبا ولكننى موظف بدرجة زوج وأب ينبغى على أداء مهام معينة يوميا وفقا لجدول محدد فى أوقات مرسومة مسبقا حتى لايحدث خلل فى حياتنا .. ولكى

تستطيع زوجتى الوفاء بالتزاماتها تجاه بيتها وبالأسلوب الذى يساعدها على الحفاظ على عملها الذى تؤمن إيمانا غريبا بأنه الشىء الوحيد الذى يؤمِّن لها مستقبلها ويحميها من تقلبات الزمن ، بالرغم من أننا نمتلك أرضا زراعية وعقارا ورثتهما عن أبى رحمة الله عليه .. وبالرغم من أنى أشهد الله أننى أحسن معاملتها جهد الطاقة ولايصدر منى مايشعرها بعدم الأمان لحياتها معى .. ولكنها تتصرف وكأنها فى معركة مع الزمن .. فهى فى الصباح تثور على البنتين وعلىَّ عند حدوث أى خطأ أو تأخير لأن هذا سيؤدى إلى تأخرها عن ميعاد عملها مما يعرضها لأن تتغير الصورة الطيبة المعروفة عنها فى العمل !

وبعد العودة من العمل نجلس إلى المائدة فى نظام شبه عسكرى لكى نتناول الطعام بأدب وغير مسموح لأى فرد بأى نسبة خطأ .. فإذا تساقط بعض الطعام من البنتين على مفرش المائدة أو على الأرض ، انفجرت عصبيتها وصياحها بكلمات من نوع « ياغبية ياهبلة الخ » .. فيمضى وقت الطعام ونحن فى حالة توتر وقلق خوفا من أى خطأ ، مع أن معظم أخطاء البنتين تتناسب مع عمريهما ، وفى المساء لاينبغى أن أجلس مع الطفلتين وأداعبهما إلا فى أوقات معينة وظروف معينة تحددها هى .. كأن تكون فى المطبخ لطهو الطعام أو عند انشغالها بتنظيف البيت .. وفيما عدا ذلك فليس من حقى أن أداعب البنتين أو أن أتحدث معهما حديث الأب لأطفاله لأنهما ينبغى أن تكونا جاهزتين تحت الطلب « لأعمال » الاستحمام والنظافة والنوم قسرا فى ساعة محددة كل يوم لابد أن نطفىء لها كل أنوار البيت ، وأن نكتم أنفاسنا خلالها فلا نتكلم ولا نتحرك حتى تروحا

فى سبات عميق .. وكل ذلك لكى يستطيعا الإستيقاظ فى ساعة مبكرة صباح اليوم التالى والنزول معها فى وقت معلوم لتودعهما الحضانة وهى فى طريقها إلى عملها .. ورغم هذا النظام الحديدى الذى تفرضه علينا زوجتى فكثيرا ماتتأخر رغما عنها وتواجه ذلك بالعصبية والتوتر والصياح .

أما إذا دعوتها بعد نوم الطفلتين للجلوس والتسامر معى قليلا كما يفعل كل زوجين .. جاءت كارهة متأففة .. ولايخلو الأمر من سماع بعض الألفاظ من نوع : « ياللا خلصنا بقى عايزه أنام أنا عندى بكره شغل .. انا مش مرحرحة زيك ! » .. فضلا عن أنها دائما مرهقة وتعبانة من العمل والبيت ولاوقت عندها لمشاعر الناس المرحرحين من أمثالى .. حتى أصبحنا لانجلس سويا لمناقشة أمور حياتنا وبناتنا .. فضلا عن أنها تؤمن إيمانا لا يقبل النقاش بأن الحياة العصرية تستلزم تقسيم الأعباء العائلية إلى واجبات متساوية بالسنتيمتر بين الزوج والزوجة ، يجب أن يؤديها كل منهما آليا ودون تفكير أو تقصير أو خلل ! وإلا فهو بليد وخامل ومقصر وليس عنده إحساس بالمسئولية ! أما المشاعر والأحاسيس فلا وقت لها مادام كل طرف يؤدى واجبه ! وقد جربت ذلك منها حين مرضت أنا لفترة طويلة فكان تصرفها معى أنه مادام الطعام والدواء يعدان بالطريقة التى أمر بها الطبيب وفى الأوقات المحددة لها فلقد أدت واجبها تجاهى على أكمل وجه وعلىَّ أن أشكر لذلك وأمتن !

حتى مرات خروجنا القليلة تتم فى مواعيد محددة قبلها بفترات

طويلة ، ولأهداف محددة بدقة وبنظام صارم لايمكن الخروج عليه .. ولايمكن أبدا الاستجابة لرغبة طارئة منى للخروج لزيارة أحد أو للترفيه على الأطفال ونفسينا .. إننى ياسيدى لست ضد الالتزام فى أى شىء ، ولامع النكوص عن تحمل كل انسان لمسئوليته ، ولاضد عقاب الطفل إذا اخطأ بشرط أن يتناسب العقاب مع الخطأ ، ولاضد أن تعمل زوجتى وتحس بنفسها فى عملها مع أنى لا أهتم بعملها ولاأنظر إلى عائده ونستطيع إذا أردنا ان نحيا بدونه .. لكنى ضد التوتر المستمر والآلية الشديدة فى كل شىء ومحاولة علاج الأمور بالعصبية .. فقد تأثرت الطفلتان كثيرا بالعصبية الشديدة التى تعاملهما بها أمهما ، فأصبحتا كثيرتى البكاء وكثيرتى الأخطاء وتكرران نفس الأخطاء التى تعاقبان عليها دون أى فهم .. أما أنا فقد حاولت كثيرا إصلاحها وتغيير أفكارها وتخفيف عصبيتها حتى أنى أدمنت القراءة فى الكتب التى تتحدث عن الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال والأسرة المثالية وفطرة الانسان وضرورة عدم إغفال الجانب الروحى فيه .. مع قراءة الكتب الخاصة بالتعامل مع الأشخاص العصبيين .. وكانت آخر محاولاتى معها أن اصطحبتها منذ شهور معى لاداء فريضة الحج عسى الله أن يهدى النفوس الثائرة وأن تشعر زوجتى بأنها تتعامل مع بشر وليس مع آلات متحركة .. لكن كل ذلك لم ينجح فى تغييرها .. حتى أننى أصبحت الآن أكره العودة إلى بيتى وأظل أسير بعد العمل فى الطرقات إلى أن ينهكنى التعب فأعود للبيت وأتناول طعامى وأنام مباشرة حتى لا التقى بها ولا أسمع ولا أرى مايضايقنى .

لقد فشلت كل محاولاتى معها وأرجو أن توجه لى النصح فيما يجب أن أفعله . أو أن توجه لها كلمة فهى تقرأ أهرام الجمعة لعلها تتأثر بكلماتك الطيبة إن شاء الله . أو إن كان هناك قصور من ناحيتى فأرجو إرشادى اليه □ .

○ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

□ لا لوم عليك ياسيدى ولاتقصير من جانبك ، وإنما اللوم كله والعتاب للسيدة زوجتك لهذا سوف أوجه حديثى إليها مباشرة .

إن غاية الحياة الأساسية هى السعادة ، وكل مانهتم به فى حياتنا ليس فى النهاية سوى وسائل نتوسل بها إلى تحقيق سعادتنا بالطرق المشروعة .. وفيما لايغضب خالقنا أو يعرضنا لعقابه .. فإذا طغى اهتمامنا بالوسائل على اهتمامنا بالأهداف فان محصلة سعينا فى الحياة تكون فشلا ذريعا مهما حققنا من نجاح أو أمجاد .. وبهذا المفهوم فإن عملك وسيلة وليس غاية .. ولاينبغى أن يدفعك حرصك عليه كأنه طوق النجاة الوحيد لك ضد الزمن ، إلى التقصير فى حقوق طفلتيك وزوجك .. أو محاولة فرض نظام حديدى يشقوْن به .. فالعمل يمكن أن يفقده الإنسان مهما بذل من حرص عليه .. كما يمكن له أيضا أن يغيره إذا اقتضت الظروف ذلك .. أما العمر فانه لا يمكن استبداله أو استرجاعه من عالم الغيب لكى نحياه من جديد ونطبق فيه ماتعلمناه من تجارب الزمن اذا ضاع وانقضى فى التوتر والشقاء ومحاولة إخضاع الآخرين قسرا لما يناسبنا نحن وحدنا .. فخففى الوطء كثيرا ياسيدتى

واعلمى أن الملل والروتينية يورثان الاكتئاب .. وأن تجاهل مشاعر شريك حياتك وعدم مجاراته فيها بدعوى ضرورة العمل يقتل الحب ويبلد الأحاسيس ، ويحول الحياة الى كآبة عصرية منظمة لا روح فيها ولانبض .. وتذكرى دائما أن معظم مشاكل الزوجات والأزواج إنما ترجع إلى أنهم لايحاولون أدنى محاولة أن يلتزموا مع أهلهم الأقربين بما يلتزمون به من آداب اللياقة وضبط النفس والتسامح التى يلتزمون بها فى معاملة الغرباء .. مع أن الأقربين أولى بالمعروف وبحسن الرعاية ورقة التعامل .. وانت قادرة بغير شك على التحكم فى عصبيتك وكبح جماح نفسك لكنك لاتحاولين ذلك فى تعاملك مع أسرتك .. وإلا فكيف لم تفقدى عملك حتى الآن إذا كنت تتعاملين مع رئيسك وزملاء العمل والغرباء بهذه العصبية والتوتر الدائمين وأنت موظفة بقطاع خاص يستطيع أن يستغنى عنك بسهولة ؟. إذن فأنت تستطيعين لكنك لاتحاولين .. وتبررين لنفسك كل شيء بأنك مرهقة ، وأنها ضرورات لكى تستطيعى أداء عملك . ومن أقوال زوجة أمريكية سعيدة أنه : لو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزمن بها مع الأغراب لعض كل زوج على لسانه إذا اندفعت إليه قوارص الكلم ! ونفس المبدأ ينطبق على الأزواج. وزوجك .. ياسيدتى لايبادلك عصبيتك ولاتندفع قوارص الكلم إلى لسانه .. ولا يحاول أن يفرض عليك مايراه حقاً له .. فلماذا لاتبادلينه رقةً برقة ومشاركة بمشاركة ؟ ولماذا تتصورين أن كل من فى مملكتك الصغيرة ينبغى أن يخضع لإرادتك ونظامك الحديدى الذى قد يناسبك وحدك بغير أدنى محاولة منك لتفهم حقوق الآخرين

عليك .. إن تجديد الحياة من حين إلى آخر أمر ضرورى لطرد طائر الملل الذى يهدد السعادة الزوجية .. وبعض الحكماء يطالبون الزوجة بان ترتدى لزوجها كل يوم قناعا جديدا كأقنعة سالومى السبعة لكى تنبه مشاعره وتحتفظ بها دائما عند درجة الفوران .. ونحن لانطالبك باقنعة سالومى السبعة أو الستة ،ولكن نطالبك فقط بشىء من التسامح الضرورى مع طفلتيك ،وبشىء من المرونة فى نظام الحياة فى بيتك الذى تفرضين عليه الإظلام التام كل ليلة كأنكم فى زمن الحرب .. وبشىء من الاعتبار لأهمية المشاعر والأحاسيس فى الحياة الزوجية ، وبشىء من الخروج على روتين الحياة من حين إلى آخر ترويحا للنفوس .. وليس كل ذلك عليك بعسير إذا اقتنعت معى بأنه لاشىء فى الحياة يعدل حياة زوجية هادئة وسعيدة وأبناء سعداء أسوياء .

فهل تقتنعين بذلك ؟ وهل تجدين فى نفسك الشجاعة لأن تطلبى المساعدة الطبية من طبيب أعصاب متخصص إذا اكتشفت حاجتك إلى ذلك وهو أمر لاشىء فيه ولا يسىءإليك بحال من الأحوال ؟ □ .


مكتبة المهتدين الإسلامية

الصـــوت الرخيـــم !

□ منذ سنوات كنت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الآداب

شابة فى التاسعة عشرة من عمرى ، ارتدى الملابس الفاخرة ، واركب سيارة ، واستعمل العطور المستوردة ، ولاأفكر فى الزواج ، وأتجاهل ضاحكة مخططات أمى للتقريب بينى وبين إبن إحدى صديقاتها لكى اقتنع به فيتقدم للزواج منى .. وكل شىء فى متناول يدى والدنيا باسمة والقلب شباب والحياة واسعة وعريضة .. وفى هذه الأيام المبشرة بكل خير ركبت سيارة الأسرة ذات يوم وحدى .. وقدتها فى شوارع القاهرة .. فاذا بعربة نقل ضخمة تصدمنى .. فلم أشعر بما حولى إلا بعد أيام .. ووجدت نفسى راقدة على سرير فى مستشفى معصوبة العينين واللفائف تحيط بوجهى من كل جانب وقد تهشمت يداى وساقاى .. وأهلى حولى يواسوننى ولا يصدقون أنى عدت إلى الحياة .. ومرت أسابيع طويلة قبل أن يرفع الأطباء اللفائف عن رأسى وذراعى والعصابة عن عينى .. فاذا بى لاأرى إلا الظلام والأطباء يحاولون التخفيف عنى ويؤكدون لى أن فقدى للبصر مؤقت .. وأنه مأمول الشفاء بجراحة أخرى بعد عام أو عامين ..

فانفجرت فى بكاء طويل .. وتحسست وجهى فوجدت آثار الندوب فى كل مكان منه .. فعرفت أنى فقدت جمالى أيضا مع بصرى .. وغرقت فى هاوية سحيقة من اليأس والقنوط .

وغادرت المستشفى وأنا لاأجد فى أعماقى رغبة فى الحياة .. وبعد أسابيع أخرى بدأت فى اجراء عدة عمليات للتجميل أعادت وجهى إلى ماكان عليه .. لكننى لم أستعد بصرى .. ولا حرصى ولا إقبالى على الحياة .. وفى غمرة هذا اليأس ألحقنى أبى بمركز لتعليم المكفوفين القراءة بطريقة « برايل » لكى أشغل فراغى وأستطيع القراءة .. ورفضت الذهاب إليه فأصر أبى على ذلك إصرارا شديدا .. وبدأت أتردد على هذا المركز ثلاث مرات كل أسبوع رغما عنى .. فكان يوم ذهابى إليه يوما حزينا فى حياتى .. ثم بدأت أتقبل الواقع الذى أرفضه شيئا فشيئا .. وبدأت التفت إلى صوت رخيم أسمعه فى المركز فيمس قلبى رغم أنى لاأرى صاحبه .. ثم بدأت استريح إلى هذا الصوت واقترب من صاحبه المدرس بالمركز .. وأصبحت أذهب إلى المركز كل يوم بلهفة بعد أن كنت أكره الدنيا عند اقتراب موعد ذهابى إليه .. وتلاقت الأيدى وانتقل الاحساس إلى القلب .. ونما الحب فى الظلام لأنه مثلى محروم من البصر .. وتعاهدنا على الزواج . وحين هممت بأن أصارح أهلى بحبى وعهدى معه ، فوجئت بهم يزفون إلىَّ بشرى قرب السفر إلى الخارج لإجراء الجراحة المنتظرة لاسترداد البصر فشغلت بهذا الأمر عن كل شىء .. وتوقفت عن التردد على المركز ..

وسافرت للخارج .. وأجريت الجراحة .. ومرت اللحظات الحرجة بسلام .. وتسلل بصيص من الضوء إلى عينى وعاد إلى بصرى ضعيفا .. لكنه شتان بينه وبين بحر الظلام الذى غرقت فيه شهورا طويلة .. وأصبحت ارتدى النظارة بصفة دائمة .. وعدت إلى بلادى وقد عاد إلى شبابى وحرصى وإقبالى على الحياة من جديد .. وبعد عودتى لمصر بأيام .. تذكرت الصوت الرخيم الذى أخرجنى من عزلتى ، فتوجهت إلى المركز وبحثت عنه .. ورأيته لأول مرة فإذا به شاب أسمر نحيف حلو العينين حاد الأنف شعره أسود ومسترسل على جبينه ، فخفق قلبى له بأشد مما خفق له حين سمع صوته لأول مرة .. وأقبلت عليه بكل لهفة .. فسعد بعودتى وفرح كثيرا بعودة البصر إلى .. لكنه لم يشر إلى موضوع الزواج بكلمة .. ففاتحته أنا فيه ، وسألته بلا مواربة متى نبدأ خطواته .. فحاول أن يحلّنى من وعدى له لاختلاف الظروف الآن بعد أن استرددت بصرى .. لكنى لم أسمح له بأن يسترسل فى الحديث .. وازداد تمسكى به وعرضت الأمر على أهلى وأصررت عليه .. وتحديت الأقارب والصديقات وتزوجته عن حب واقتناع وكان عمرى وقتها ٢٢ سنة .. ووجدت معه بعد الزواج كل سعادتى فهو رقيق المشاعر وحنون ومتفائل ويحب الحياة إلى اقصى درجة ويحبنى بشدة .. وعشت معه حياة سهلة سعيدة فهو ميسور ماديا والحمد لله .. وأنجبنا ولدا وبنتا ساعدنى فى تربيتهما واغرقهما بحبه .. ثم مضت بنا الحياة .. وبعد عشر سنوات من الزواج بدأ الحب فى قلبى يهدأ قليلا ، وبدأت أشعر بشىء غريب تجاهه ، فقد بدأت لا

« أحب » أن يخرج معى فى زياراتى لأقاربنا أو أصدقائنا .. وأصبح ابنى وابنتى هما رفيقى كلما خرجت إلى أى مناسبة .. لكنى لم أدعه يشعر بذلك وساعدنى فى هذا أنه كان يتجنب الخروج كثيرا .

ثم كبر إبناى وبدأت ألاحظ عليهما بعض الأشياء الغريبة .. فإبنى يتباهى دائما بأنى أمه ويقدمنى إلى زملائه ويتجنب الإشارة إلى أبيه .. وكذلك بدأت إبنتى تفعل .. كما بدأت ألاحظ أن إبنى نادرا ما يتحدث مع أبيه رغم محاولات زوجى المستمرة للحديث معه .. فهو إما فى حجرته أو يتحدث مع أخته أو معى .. أما مع أبيه .. فحبل الكلام منقطع غالبا .. .. وذات يوم صارحنى زوجى بمشاعره .. وقال لى أنه يشعر بأن إبنه وإبنته « يخجلان » منه ، فنفيت له ذلك بشدة وثرت ثورة عارمة وناديتهما وواجهتهما .. وقسوت عليهما وذكرتهما بأنه لولا أبوهما ما عاشا تلك الحياة وما وجدا كل مطالبهما .. وما ركبا السيارة .. إلخ . وأنكرا هذا الإحساس ، لكن زوجى ظل حزينا بضعة أيام ثم استعاد هدوءه وتفاؤله مرة أخرى .. واسترحت لذلك وأملت أن تختفى هذه السحابة إلى الأبد .

وبعد أسابيع تصادف أن كان زوجى مريضا فلم يذهب إلى عمله .. ولم يكن إبنى يعرف بوجود أبيه فى البيت فعاد من كليته وقت الظهر ومعه بعض زملائه .. ودخلوا الشقة يتصايحون ويضحكون ففوجىء بأبيه واقفا فى الصالة .. وسأله أبوه عمن معه فرد عليه ردا مقتضبا ثم اصطحب أصدقاءه إلى الصالون وتركه واقفا كما كان فى الصالة !

ويبدو أن أحد أصدقاء إبنى سأله عمن يكون هذا الرجل .. فإذا بزوجى يسمعه من موقفه يرد عليه بأنه أحد أقارب أبى ينزل ضيفا عليهم لعدة أيام .. وسمع زوجى إبنى ينطق بهذا الرد .. فلم يتكلم وانسابت دمعة صامتة من عينيه .. ثم توجه إلى غرفة مكتبه وانتظر خروج الأصدقاء إلى أن خرجوا وخرج معهم إبنه يودعهم .. ثم عاد فناداه وواجهه بما سمع وهو يرجو أن يكذب أذنيه .. فاذا بإبنى الوقح يعترف بما قال .. ووجدت نفسى أهوى بيدى على وجهه وأطلب منه ان يعتذر لأبيه .. فاعتذر .. لكن هيهات ياسيدى أن تشفى كلمات الإعتذار هذا الجرح فى قلب أبيه .. فلقد تغير حال زوجى وحال الأسرة كلها منذ هذا اليوم المشئوم .. واختفت السعادة والسرور اللذان كانا يرفرفان على بيتنا ، فقد اعتصم زوجى بغرفة مكتبه واتخذها مأوى له يعمل وينام فيها ولا يغادرها إلا إلى الحمام .. أو الذهاب إلى العمل .. ولا يكلم أحدا منا ، بل وجاء برجل ليقوم بخدمته ويقضى له طلباته لكيلا يحتاج إلى أحد منا .. وعندما يجيء أول الشهر يلقى لنا بمصروف البيت فى الصالة وبجواره ورقة كتب عليها كلمات جارحة لكرامتى وكرامة إبنى وإبنتى .. ومازالت الحياة فى بيتنا تمضى على هذا النحو الكئيب .. إننى أعرف أن إبنى قد ارتكب جرما كبيرا فى حق أبيه .. لكن ماذا استطيع أن أفعل فى طيش الشباب .. وقد كنت دائما أحثه على حب أبيه .

فهل توجه إلى زوجى – وهو يحب أن تُقرأ عليه كلماتك دائما – كلمة عن العفو عند المقدرة .. لكى يعود الوئام والسلام إلى بيتنا ..

وهل توجه كلمة إلى إبنى هذا الذى تعدى حدود الأدب لكى يعود إلى رشده .. هل تفعل حقا ؟ □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول .

عندى مماأقوله لإبنك ما لاتتسع له أنهار الصحف جميعها .. لكنى لن أطيل فى تكرار معان أفضت فى الكتابة عنها كثيرا من قبل وسأقول له فقط .. إن إبنا يحمل مثل هذا الإحساس البشع تجاه أبيه العطوف المحب لمجرد أنه محروم من إحدى حواسه ، لهو إبن لايشرف أى أب أن يعلن انتسابه اليه ، ولهو جدير حقا بأن ينكره أبوه لاأن ينكر هو أباه .. فلينظر إذن أى دركٍ هابط وضع نفسه فيه .. وليحاول إذا أراد أن يكون جديرا بالانتماء للنوع الإنسانى ،أن يطهر نفسه من هذا الإحساس الدنىء .. وأن يسترضى أباه حتى يرضى ، وأن يتواصل معه وأن يعرف له فضله ويفخر به على العالمين .

هذا عن إبنك ياسيدتى أما عن القصة كلها فإن خبرة السنين تقول لنا أن كل شجرة مورقة تبدأ ببذرة صغيرة تُغرس فى الثرى .. ولقد غرستِ أنت بغير أن تتنبهى لخطورة الأمر بذرة انقطاع الخيوط بين إبنيك وأبيهما حين بدأتِ وهما دون العاشرة من عمرهما تلاحظين على نفسك أنك « لا تحبين » الخروج معه إلى زيارة الأهل والأقارب .. وأن إبنيك قد أصبحا بدلا منه رفيقيك الدائمين فى غدوك ورواحك .. وبالضرورة فى البيت ايضا .. وهكذا تراجع الأب من مركز الدائرة فى الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون دائما إلى

هامشها .. وأصبح لكم مجتمع خاص بكم داخل محيط الأسرة يحاول الأب النفاذ إليه فلا ينجح .. ويتلهف على أن يحادثه إبنه .. فيعزف عنه لأنه مشغول دائما بالحديث معك ومع شقيقته .. فبدأ انقطاع الخيوط منذ فترة طويلة إلى أن بلغ قمته فى هذا المشهد البشع الذى يتنافى مع كل القيم الدينية والخلقية والإنسانية على السواء .

ولن تدركى ياسيدتى بشاعة ماحدث وعمق مرارته فى نفس الأب الذى أغرق إبنه بحبه ومشاعره ورعايته منذ تلقاه قطعة من اللحم الغض لاتدرى من أمر نفسها شيئا ، إلى أن أصبح شابا يغدو ويروح وله كيانه الخاص .. إلا اذا تخيلت حالك لو لم تدركك عناية الله فتنجح الجراحة التى استرددت بها بصرك .. ووجدت نفسك ذات يوم فى مثل موقفه تسمعين بأذنيك ما سمعه .. وتتجرعين مرارته .. ترى كيف يكون حالك وقتها ؟. وأى لوم يمكن أن يوجهه إليك أحد إذا عافت نفسك الجميع كما فعل زوجك واتهمتهم فى أعماقك بأنهم جميعا شركاء فى هذا الجرم سواء بالسكوت عن مقدماته أو بعدم التصدى بحزم كاف له .

إننى ألح على هذه الصورة القاسية لأن مسئوليتك كبيرة فيما حدث .. وفيما سوف يحدث لإصلاح الأخطاء .. فالأبناء يتبعون الأمهات فى معظم الأحوال فى تقديرهن للأب واحترامهن له .. وإسراف أى أم فى استقطاب أبنائها إليها على حساب الأب يثمر غالبا مثل هذا التباعد بين الأبناء والآباء .. لهذا فإن العلاج فى يديك أنت قبل أن يكون فى يد هذا الإبن الطائش .. فابدئى بنفسك ياسيدتى

والتصقى بزوجك الذى احببته وتحديت به الجميع فيما مضى .. واعترفى له بكل فضائله .. وتحمّلى غضبه واستياءه مما حدث إلى أن يصفو لك .. واعلنى بتصرفاتك أمام الجميع أنك تفخرين به .. وأعيديه إلى مركز الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون .. ولاتخرجى إلى زيارة إلا معه ولاتقطعى أمرا دونه .. وانضمى إليه فى غضبه من إبنه حتى يكفّر عن جريمته ويعود إلى رشده .. وقاطعى كل من لايحمل لزوجك مشاعر الحب والولاء والاعتزاز ولو كان إبنيك .

وعندها سوف تعود الأمور إلى طبيعتها وتعود البهجة والسرور إلى بيتك .. وسيجد الأب نفسه يشفق فى أعماقه على هذا الإبن الشارد من غضب ربه عليه .. ومن تنكيل الدنيا به إذا لم يعف عنه بقلب صاف .. وإذا لم يغفر له ربه ماكان من أمره وماجرى .. والسلام □ .

الأيـــام الجميلـــة !

□ هـذه هـى رسـالتـى الثـانـيـة إلـيـك ..

أما رسالتى الأولى فقد كانت منذ حوالى سبعة شهور .. وقد اخترت لها حين نشرتها عنوان « الصوت الرخيم » .

وقد نشرت الرسالة صباح يوم الجمعة .. وقرئت على زوجى وهو فى عزلته بغرفة مكتبه بعيدا عنا .. ونادانى وكنت قد قرأتها قبله وواجهنى بكل شيء فى الرسالة .. وقال لى كلاما اتهمنى فيه بأنى أسأت تربية أولادنا . فوقفت صامتة لاأرد عليه خاصة أنى عرفت أنك أيضا تتهمنى بأنى المسئولة عما حدث .. وبأن إبنى وإبنتى قد قلدانى فيما فعلا .. وأقسم لك صادقة اننى لم أتعمد ذلك .. وتمالكت نفسى وأنا أسمع إهانات زوجى لى لأنى أعرف إلى أى مدى جُرحت كرامته .. ثم هممت بالكلام فغلبتنى دموعى الصامتة فى البداية ثم علا نحيبى ولم أعد استطيع السيطرة على نفسى .. وأجهشت بالبكاء .. فإذا بزوجى ورفيق شبابى وعمرى يقترب منى ويربت على شعرى بكل حنان .. كما كان يفعل حين يسمع بكائى فى أيامنا السعيدة .. وراح يطيب خاطرى بل ويعتذر لى عما قاله وعما فعل .. ثم ابتسم وقال على أية حال ليس أمامنا إلا أن نفعل ماأشار به علينا صديقنا على الورق « يقصدك » .. فوافقته بكل حماس .. وعاهدته على مواجهة طيش إبننا إلى أن يعود إلى رشده ويعرف فضل

أبيه عليه .. وبدأنا منذ ذلك اليوم ١٢/٨ الماضى لانأكل معه ولا نكلمه .. وإذا جاء ليجلس فى مكان نجلس فيه نهضنا منه معا وجلسنا فى غرفة أخرى .. وإذا حاول الكلام معنا فى هذا الموضوع أو فى أى موضوع عام صددناه .. بل وخرجت مع زوجى وإبنتى بدونه .. وسهرنا فى المسرح وجاء يوم عيد ميلاده فى ٣ فبراير الماضى فلم نحتفل به كالعادة ، ولم نقل له أى كلمة .. ورغم أن قلبى كان ينفطر عليه وأنا أرى نظرات الذل فى عينيه وفى نبرات صوته ، حتى كدت اكثر من مرة أضعف وأذهب إليه وأحتضنه وأقبله ، فاننى غالبت نفسى تضامنا مع أبيه .. وحين سمعناه أنا وزوجى ذات مرة يبكى فى الليل ،قاومت نفسى وغالبت دموعى ونهرته طالبة منه أن يكف عن البكاء وأن يذاكر .. ثم جاء بعدها بأيام وبكى أمامنا بحرقة وأمسك يدى أبيه وقبلهما وقبل يدى فلم نستطع إلا أن نغفر له – ومن قلب صاف – كل ما كان من أمره .. وسعد زوجى بإبنه وبلغنا عنان السماء من السعادة حين فوجئنا بإبنى يدعو زملاءه فى الجامعة الذين حدث بسببهم ذلك المشهد البشع إلى البيت يوم ٢٠ مايو الماضى .. ويقدم لهم أباه ويقول لهم إن هذا الرجل العظيم هو أبوه .. وأنه يفخر بذلك .. ولاأستطيع أن أصف لك ما استشعرته فى تلك اللحظة من إحساس الرضا والراحة اللذين انطبعا على وجه زوجى الأسمر الوسيم .. ولا احساس الفرح الذى حاش فى صدرى وعشنا ليلة سعيدة وعادت أيامنا الحلوة .. وأنا أكتب لك هذه الرسالة من

بيتى الذى عادت البسمة والحب والدفء والحنان إلى قلوب كل أفراده .. ولانستطيع أن نفيك حقك من الشكر .. فابنى يقول لك أنه قد تاب عما فعل وندم عليه وعلى كل لحظة من عمره « خجل » فيها من أبيه .. ويطلب منى أن أسألك كيف يكفِّر عن ذنبه هذا ، ويقول أنه يريد أن يراك لأنك قلت عنه فى ردك كلاما قاسيا .. وهو يقسم لك أنه ليس سيئا إلى هذه الدرجة ، لكنها همسات الشيطان لعنة الله عليه .. وإبنتى تقول لك أنك أيقظتها من غفلة كادت تذهب بها .. وأما حبيبى ونور عينى زوجى فيقول لك أنك كنت خير معلِّم لزوجته الفيلسوفة ! تصور .. حتى فى لحظات السعادة لا أنجو من مشاغباته !

أما أنا فأقول انك وإن كنت قد قسوت على ، فإنك قد أيقظت فى قلبى الحب القديم لزوجى الذى كان قد بدأ يهدأ .. حين طالبتنى بأن التصق بزوجى .. فقد فعلت ذلك فاشتعل الحب مرة أخرى كما كان فى الأيام الجميلة .. ورأيت زوجى مرة ثانية وكأننى اكتشفه من جديد .. فالحمد لله الذى أعاد السعادة لأسرتى .. والشكر ترسله دموعى لك والسلام □ .

○ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

الحب ياسيدتى كلهب المدفأة التقليدية يحتاج إلى أن نلقى إليه من حين إلى آخر ببعض قطع الخشب وإلا ذوى اللهب وانطفأ .. وقصتك مع زوجك خير دليل على ذلك .. فحين استقبلت مدفأتكما بعد تلك الظروف المضطربة دفعة جديدة من الأخشاب ، ارتفع

الأوار من جديدٍ ، وتراقص اللهب سعيدا .. وعاد التفاهم والاتحاد فى الرؤية والإحساس .. ووجدتما الحل السعيد لأعقد المشاكل .. وهكذا الحال فى معظم الأحيان .. لهذا فقد حرصتُ فى ردى السابق على أن ألفت نظرك إلى أن علاج اية مشكلة لابد أن يبدأ بعلاج أسبابها قبل محاولة إصلاح نتائجها .. وأنت ياسيدتى قد اقتنعت بذلك رغم تألمك مما جاء فى ردى .. وبدأت بالخطوة الصحيحة لعلاج الأسباب .. فكانت النتائج سعيدة ومبهرة بحمد الله .. وما فعلتِه مع زوجك لمواجهة طيش إبنك يُعد درسا فى التربية يستحق الإشادة .. فلقد توحدتما معا فى وجه شرود إبن غاب عنه رشده .. ولم تستسلما لعاطفتكما تجاهه إلى أن استفاق .. وجاء إليكما نادما .. واسمحى لى ياسيدتى بأن أقول لك أن ذلك لم يكن ليتحقق إلا وأنت فى صف زوجك غاضبة له ولصيقة به .. ولم يكن ليتحقق بعشرات المواعظ والكلمات عن حق الأب على إبنه مع استمرار علاقتك بابنك على ماكانت عليه فى الأيام الخالية .. لهذا فقد أثمر العلاج الصحيح الذى اتبعتماه نتائج صحيحة مع إبن سويٍّ فى النهاية كان شاردا لفترة .. ثم رجع إلى نفسه .. فإذا كان لى أن أضيف إلى ذلك شيئا فهو أنى ماقصدت إيلامك بردى السابق إليك .. وإنما قصدت أن أضعك أمام نفسك وأنا أمشى فى ذلك على الشوك دائما .. لأنى أعرف جيدا أنه يشق على الإنسان أن يواجه نفسه .. لكن ماحيلتى وأنا أعرف أيضا أن الرأى شهادة يُسأل عنها المرء أمام خالقه وليس أمام طالبها .. ومن واجبه ألا يرضى بها غير ضميره سواء أخطأ فى اجتهاده أم أصاب .. فعفوا لإيلامى السابق لك .. وهنيئا لك عودة طائر الحب والسعادة

إلى عشه القديم فى بيتك ، وأهلا بابنك العائد إلى معدنه الأصيل بعد غياب قصير .. ومرحبا به فى أى وقت يشاء بعد أن أصبح جديرا بحب أبيه العظيم وحبك وحب شقيقته .. وجديرا أيضا باحترامى ، لأن العائد إلى الطريق القويم أهلّ لكل الاحترام ، وليعلم أن صدق الندم والاستغفار كفيلان بتطهيره نهائيا من إثمه ، بعد أن عفا عنه أبوه واستحق عفو ربه ومغفرته التى تسع كل شىء .. وسوف يكون جديرا بكل شىء طيب فى الحياة .. وشكرا لك أن أطلعتنا على هذه النهاية السعيدة لقصتك .. وتمنيات صادقة لك ولأسرتك بأن ترفرف عليها دائما أجنحة الحب والوئام والسلام بإذن الله □


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة





للمؤلــف

طبعــة أولــى

١ – أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	٨٦	نفد
٢ – يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	٨٧	نفد
٣ – هتاف المعذبين	قصص إنسانية	٨٨	نفد
٤ – صديقى لاتأكل نفسك	(مقالات)	٨٩	الطبعة الثانية ١٩٩١
٥ – نهر الحياة	قصص إنسانية	٨٩	نفد
٦ – صديقى ماأعظمك	(مقالات)	٩٠	
٧ – العصافير الخرساء	قصص إنسانية	٩٠	
٨ – دموع صامتة	قصص إنسانية	٩١	
٩ – العيوان الحمراء	قصص إنسانية	٩١	
١٠ – اندهش ياصديقى	(مقالات)	٩٢	
١١ – افتح قلبك	قصص ومقالات	٩٢	

تحــت الطبــع :

– أصدقاء على الورق	الطبعة الثانية
– يوميات طالب بعثة	الطبعة الثانية
– نهــر الحيــاة	الطبعة الثانية